

العدد «١٩٨» فبراير ٢٠٠٢

مجلة
الثقافة
الوطنية
الديمقراطية

آدب ونقد

أجمل الأيام التي لم تأت بعد
قصائد ناظم حكمت
رسوم أمه جليلة!

خرافة
التهديد الإسلامي

أرواح الثقافى
الحضارة الإسلامية

الأصولية السودانية والفردوس؟
جار النبي الحلو
حلم على نهر الإبداع

مجلة
آداب ونقد
٢٠٠٢



أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarab.com



أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمocrاطية

شهرية يصدرها حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

تأسست عام ١٩٨٤ / السنة الثامنة عشر العدد ١٩٨ / فبراير ٢٠٠٢

رئيس مجلس الادارة: د. رفعت السعيد

رئيس التحرير: فريدة النقاش

مدير التحرير: حلمي سالم

المشرف الفني وسكرتير التحرير: أشرف أبوالبيز

مجلس التحرير :
ابراهيم أصلان
د.صلاح السروي / طلعت الشايب
د. على مبروك / غادة نبيل
كمال رمزي / ماجد يوسف
مصطفى عبادة

المراسلات: مجلة [أدب ونقد] ١ شارع كريم الدولة / ميدان طلعت حرب / الأهالى
القاهرة / هاتف ٢٩١٦٢٧ / ٢٨٥٧٩١٦٢٧ فاكس ٥٧٨٤٨٦٧

المستشارون

د. الطاهر مكي / د. أمينة رشيد
صلاح عيسى / د. عبد العظيم أنيس

شارك في هيئة المستشارين ومجلس التحرير الراحلون
د. لطيفة الزيات / د. عبد المحسن طه بدر
محمد روميش / ملك عبد العزيز

أعمال الصف والتوضيب
نسرين سعيد إبراهيم

التنفيذ الفني للغلاف
أحمد السجيني

الاشتراكات لمدة عام
باسم الأهالي / مجلة [أدب ونقد]: داخل مصر ٥٠ جنية
البلاد العربية ٥٠ دولارا / أوروبا وأمريكا ٧٥ دولارا

الطباعة
شركة الأمل للطباعة والنشر

الأعمال الواردة إلى المجلة لا ترد لأصحابها سواء نشرت أو لم تنشر
يمكن إرسال الأعمال على العنوان البريدي أو البريد الإلكتروني:
adabwanaqd@yahoo.com
adabwanaqd.4t.com موقع [أدب ونقد] على الانترنت:

في هذا العدد

* أول الكتابة: فريدة النقاش.....	٤
* دراسة الحضارة الإسلامية : الوحدية والروح الثقافية : ميثم الجنابي.....	١١
* مقال الأصولية السودانية وفردوس ماركس: عبد الحميد البرنس.....	٢٩
* كتاب العدد: التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة : أحمد على بدوى.....	٣٥
* ندوة: صدام الحضارات ..مرة أخرى: التحرير.....	٤٣
* الديوان الصغير: نظام حكمت واليوم الأجمل.....	
الذى لم يأت بعد: طلعت الشايب.....	٥٥
* تشكيك : جليلة خانوم أم نظام حكمت: أشرف أبو اليزيد.....	٧٥
* إبداع : العاديون (شعر) : فاروق خلف.....	٨١
* إبداع : المشقة لم تكن في النقد (شعر) : حسن خضر.....	٨٢
* إبداع النص جوهر الروح بوصفه نورا : أحمد الشهاوى.....	٨٤
* إبداع: لم يسمعوا نداءها في الجودة : (قصة) نازك ضمرة.....	٩١
* إبداع : تهوية صوفية عن حال الدال (قصة) : خالد سليمان.....	٩٤
* تكرييم : جار النبي الحلو : عيد عبد الحليم.....	١٠١
* مقال : أدب السيرة الذاتية : نجلاء أبو عجاج.....	١١٩
* دراسة : ظاهرة الأبيسية في الأدب : إبراهيم المنصورى.....	١٢٣
* جرشكل : فانلة ولباس لكل مواطن: طلعت الشايب.....	١٢٩
* مقال : علم اجتماع العلوم: ماجدة أباظة.....	١٣١
* مع الكتب : أشرف أبو اليزيد	١٣٦
* تواصل : التحرير.....	١٤٢
* بطاقة فن : سيف وانلى : ألف.....	١٤٤

الغلاف الأول: نظام حكمت بريشة والدته الفنانة جليلة.

* الغلاف الأخير : ماريا نجيب محفوظ بريشة الفنان سيف وانلى.

* الرسوم الداخلية : للفنانين الكبار يكاثير : عفت

أول المكتبة

فريدة النقاش

يقولون إن كثرة الضحك تميت القلب ، فهل تميت القلب أيضاً كثرة الألم؟ يبدو أن الإجابة هيـ لاـ، فكلما كان الإيلام زائداً كان الوضع أكبرـ..

أكتب الآن وأمامي على شاشة التلفزيون دبابات إسرائيلية تحاصر مقر الرئيس الفلسطيني «ياسر عرفات» في مدينة «رام الله» بعد أن كان الجيش قد قام بإخلاء مقر التلفزيون والإذاعة الفلسطينية وزرمه بالقنابل ثم أشعل فيه النيران ونسفهـ.. وأنظل أقول لنفسي طيلة الوقت وأنا أنفُرْج عاجزةـ: ما جدوى الكتابةـ هل يوسع الكتابةـ أن تسهم في تغيير المشهدـ وأجيب لنفسيـ: بل لابدـ أن تسهم الكتابةـ في تغيير المشهدـ، وإلاـ فلاـ جدوى منها .. لكن التغيير بطيءـ على عكس الإيقاع العالمي المتتسارعـ وتبدلات المشهدـ اليومية التي تكشف الشعور بالسكون العربي المميتـ، وبحقيقةـ أن رد الفعل على المستوىين الرسمي والشعب هوـ أدنىـ كثيراًـ من جسامـةـ الفعل الصهيونيـ وأدنىـ من قدرةـ الشعبـ الفلسطينيـ على الصمودـ وحيداًـ في قلبـ المحتـلةـ، وأدنىـ من لامبـالةـ العالمـ بمسـافةـ آخرـ شعبـ علىـ الأرضـ لاـ يزالـ يعانيـ منـ احتـلالـ أراضـيةـ، وأدنىـ منـ عجزـ الأممـ المتـحدـةـ عنـ تنـفيـذـ قـراراتـهاـ الواضـحةـ التيـ تـقولـ بـعدـ شـرعيـةـ الـاحتـلالـ وـتـدعـوـ لـتصـفيـتهـ دونـ أنـ تـخـطـوـ خطـوةـ عمـلـيةـ وـاحـدةـ...ـ ولكنـ ردـ الفـعلـ هـذاـ هوـ أـقـرـبـ لـالـواقـعـ المـوضـوعـيـ الذـيـ يـقـولـ إنـ بـلـادـانـاـ أـصـبـحـتـ مـحـمـيـاتـ أمـريـكـيـةـ.

ومع ذلكـ فإنـ الفـرـجةـ عـلـىـ المشـهـدـ مـثـلـ السـكـونـ العـرـبـيـ المـمـيـتـ هيـ جـرـيمـةـ

والحد الأدنى من المساندة للشعب الفلسطيني هي عمل ضروري ونحن نعرف أن مبادرات جماعية وفردية تتطرق كل يوم وفي كل مكان ويموت معظمها في المهد بسبب ذعر الحكومة من تفاقم الوضع الاجتماعي - الاقتصادي المأزوم، ومن التوتر المكتوم في أوساط الشعب وهو توتر قابل للاشتعال في أي لحظة .. لكن ذلك كله لا يجوز أن يدفعنا إلى اليأس أو يحطم معنوياتنا .. إننا مدعوون لأن نستكشف تلك الأرض المشتركة بين كفاح الشعب الفلسطيني للتحرر من الاحتلال وبين كفاح الشعب المصري لانتزاع حقوقه الديمقراطية في التعبير والحركة والثروة، فثمة ارتباط وثيق بين كل جوانب الظاهرة التحررية ، ارتباط تبرزه لنا على أفضل نحو التجربة المعرفية والعملية لتحرر الشعوب من الاستعمار وهي تواصل كفاحها الآن للتحرر من قبضة العولمة الرأسمالية ابتناء تحويل مسارها لتصبح عولة للشعوب وتضامنها ، ولakukan الإنسان هو السيد لا السوق، ولتكن القيمة العليا هي العدل لا المنفعة حتى تتحقق سيطرتها على مصيرها في عملية نقى جdale للنهب والاستغلال والاستبعاد الذى تمارسه الإمبريالية العالمية باعتبارها الباطجى الحامى للصهيونية والتوسعة الإستراتيجية ومشروعها للهيمنة الإقليمية.

إننا مدعوون للعمل بلا كلل، لا من أجل فلسطين فقط وإنما من أجل عالم جديد وجميل .. فنحن رغم كل شئ لم نفقد الثقة في المستقبل ولا في اليوم الأجمل الذي لم يأت بعد - على حد تعبير الزميل العزيز «طلعت الشايب» الذى اختار لنا الديوان الصغير من ناظم حكمت وقدم له بمناسبة الذكرى المائوية لميلاد الشاعر التركى العظيم.

ويقدم لنا الزميل أشرف أبو اليزيد صورة قلمية للفنانة «جليلة» أم ناظم حكمت التى يزينه رسماها لأبنها غلاف عدتنا هذا .

وما أحوجنا الآن لاستدعاء الفنانين والشعراء التقديمين العظام الذين أسهموا بابداعهم فى إغناء الوجدان الإنساني على امتداد العمورة، حين أنسدوا ورسموا وغنوا لكل الشعوب مجددين الإنسان ذلك الكائن الفريد. يقول «ناظم حكمت» إنه كان

مسحوراً بالناس على الدوام .. فهل نستطيع نحن الذين نقرأ أشعاره الآن إلا أن تكون مسحورين أكثر بالإنسان الفلسطيني .. بل وبالإنسان في كل مكان وحيثما يكافح من أجل الحياة ضد الموت من أجل الخبر والورود الذي كان شعاراً لآلاف النساء العاملات في صناعة الغزل والنسيج واللاتي أضربن في مدينة لورنس الأمريكية في بداية القرن الماضي مطالبات برفع أجورهن ونحوهن ، ولكن قد أتين من ثلاثة وعشرين قومية هاجر بعض أبنائها لأمريكا .

يقول «ناظم حكمت» أيضاً إنه «دأب بواسطة الشعر على تمجيد نضالات كل الشعوب مهما كان اسمها وموقعها الجغرافي وقوميتها وعرقها في سبيل الاستقلال القومي والعدالة الاجتماعية والسلم» ..

وحين نقرأ كلماته هذه تتنكر جيداً - أنه بالرغم من توحش الامبرالية الأمريكية والدولة الصهيونية - هناك آلاف البشر على امتداد المعمورة يتذمرون الطرائق لساندة الشعب الفلسطيني رغم التعنت والتزيف الإعلامي ، وهناك مئات منهم ذهبوا إلى فلسطين يتظاهرون وهم مثلهم مثل «ناظم حكمت» نفسه الشاعر الذي ولد لأسرة ثرية خرجوا على طبقاتهم ونمط حياتهم المريخ في بلدانهم الغنية ليكون هاديهم في العمل والحياة ، هو الوعي النقدي والضمير اليقظ والبحث عن الحقيقة والعمل على هداها .. فقطعوا آلاف الأميال قادمين إلى فلسطين ليواجهوا جيش «الدفاع» بتصور عارية ومعهم نفر من الإسرائيليين محدود لكنه يبقى رمزاً لاحتمال التغيير في وعي الشعب الذي كان آجداده وأباءه قد عانوا الأهوال على أيدي العنصرية النازية ، وهادئ أتى زمن تمارس فيه مؤسسته العسكرية فظائع مشابهة ضد شعب آخر باسم الأمن الذي يخفى وراءه حقيقة المشروع الجهنمي للتوسيع والاستيطان .

فلا تحفظون بعض الشعر لتوقفوا المذبحة .. هكذا يقول «محمود درويش» أحد أكبر الشعراء العرب المعاصرين الذين يحتاج لاستدعاء روح المقاومة التي يؤججونها مثلاً نستدعى «أراجون» و«لوركا» و«بابلو نيرودا» وأمل دنقل و«الجوهري» و«البردوني» ، وصلاح عبد الصبور و«سميح القاسم» و«مئات من الشعراء الجدد على الساحة

العربية لتبني معهم قوة للروح وطاقة للتجديد حتى نبطل سموم الهزيمة ، ونخرج من أسر الكابة والركود ، ونراكم أعمالا صغيرة سوف تكبر من أجل حرية الشعب الفلسطيني وحريتنا فانتصارنا له هو قبل كل شيء رد اعتبار للنفس ولكل أفكار التحرر العظيمة التي أخذ يكسوها غبار العولمة الرأسمالية والهيمنة الأمريكية والاستغلال الوحشي .

إنه زمن جديد لإعادة التأسيس بدأب والنور عن كرامة الأفكار الكبيرة والقيم العليا لا بمجرد التأمل الحزين إنما أيضاً بالمارسة الفعالة .

إن أخطر ما أنتجته الليبرالية الجديدة وهي تحرر الأسواق وتلجم الدولة وتخلف العملات الوطنية وتلقي بالعاملين إلى طرقات البطالة والضياع هو هذه النزعة الأنانية الضيقية والفردية الغليظة التي تجعل لسان حال كل إنسان يقول : يا رب نفسي أنا ومن بعدي الطوفان . وتكتفل حالة الطوارئ وممارسات الشرطة ببيت الربع داخل التفوس والحض على المشي جنب الحيط وإذكاء روح الممالة والنفاق للمسئولين صغاراً فينغمض في ذاته وفي أسرته على الأكثر ويصبح متفرجاً على ما يجري في الدنيا لا شأن له من قريب أو بعيد ، فإن أحداً لا يطلب مشورته أو مشاركته ، وتصبح غربته مركبة وتشيع حالات التدین الرائد عن الحد وصولاً في أحياناً كثيرة إلى التطرف والعزلة ومعاداة المجتمع وتکفيره . وتتخد القضايا الصغيرة والجريبة سمت القضايا الكبيرة والكلية فتتمتص الطاقات المعطلة وتملأ فراغ الروح . وتطرد الوحشة حين تنشغل جماهير عريضة بثياب المرأة أو بتفسيرها كلمة من كلمات القرآن الكريم أو مسلسل تلفزيوني تافه وهكذا تتم عملية التعويض وملء الفراغات ولعب الأدوار ومع ذلك فإن الواقع أكبر من التزوير والماروحة إنه يفرض نفسه وقضاياها الكبرى على اهتمام الناس . فينشغلون بما تفعله إسرائيل بالفلسطينيين ، ويتبعون بكل جديد ألاعيب الحكومة والتجار لتخفيف سعر الجنيه ورفع أسعار السلع الأساسية وينتفذون غضبهم بوسائل شتى إلى أن يكون انفجاراً ، ويثور صراع مكتوم أو معلن بين إرادة الجماهير وقوة الدولة حول مشروعية التعبير والاحتجاج الذي يتخذ أشكال هبات

وانتفاضات واضربات، المشترك الأساسي فيها جمیعا هو أنها تتم وفق تنظيم جماعي
کانسة في طریقها النزعة الفردية الغلیظة والحلول الفردية الشائعة.. هكذا خرجت
جماهیر غفیرة من أجل فلسطین فی كل الواقع ورغم الحصار وعرفت المصانع
ومؤسسات العمل بل وغیطان الفلاحین أشکالا من الاضربات والاعتصامات رغم
إغلاق الأبواب أمام التحرک السلمی وقتھا أمام عنف المؤسسات المالية الدولية
ومطالبها القاسیة التي تحول المجتمعات إلى غابات يصارع فيها الضعفاء للبقاء على
قيد الحياة وملهؤون من أجل النجاة.

وفي هذا الصراع الممتد والمشعب تبرز مسألة التناقض بين حرية الفرد الإنساني
وتجلیها كاتحد مقتضيات الحداثة وبناتها وبين الروح الجماعية التي يشرطها تحریر
الأوطان والمجتمعات حيث يكون الفرد مروشاً للذوبان في المجموع ضابطاً حركته على
ایقاع عمل مشترك طویل المدى متعدد المستويات ، ولا يندر أن يكون مهدداً بفقد حریته
أو جزء منها أنها منطقة للتوبير بوسع الأدب أن يدخل إليها ليضئها بأدواته وطاقاته
الجمالية ويدخل بها إلى ساحة الجدل العام ويحرر الأدباء أنفسهم من بعض غربتهم
القاتلة وينتج لنا آعمالاً جميلة ودالة.

يواصل الباحث العراقي المقيم في موسکو «میثم الجنابی» معالجة موضوع الأمة
الثقافية التي يرى في العالم الإسلامي نموذجا لها تجسد في إنتاج الفقه والفلسفة
والتصوف والأدب .. ورغم أن البحث يعالج موضوعات شتى مهمة فسوف أتوقف
فحسب أمام النتيجة التي توصل إليها وهي تخص العمل الراهن والملح من أجل
الديمقراطية في العالمين العربي والإسلامي ، ففي متابعته لما أسماه بثنوية الدينى
والدينوى يرى «میثم» أن «ليست الدولة سوى أداة النظام والمصلحة ، وبالتالي
لاتعارض بين المبدأ والمؤسسة فالمؤسسة تمثل أساسا تجارب الماضي والحاضر بما
يخدم وحدة المجتمع والدولة والمبادئ الكبرى للدين الإسلامي تدعى أساسا للوحدة على
مثال الواحد الحق ، ومن ثم فلا معنى «لمجتمع مندى» لأنه جزء من الثنوي

الإسلامي» ..

فإضافة إلى حقيقة أن كل المجتمعات الإسلامية عربية أو غير عربية قد تطورت عبر القرن العشرين في إتجاه الرأسمالية التي يتخلق ضمنها المجتمع المدني شاعت الدولةاليمنية أم أبى وسواء كان هذا المجتمع ضعيفاً أم قوياً بثقاباته وجماعاته وروابطه وأنزابه (إن وجدت) ومؤسسات الخير التي يخلقها ومن ضمنها حتى مؤسسات الزكاة والوقف الإسلاميتين إضافة إلى ذلك فإن الدول الإسلامية العشائرية الأممية الاستبدادية قد استخدمت الدعوة للوحدة على مثال «الواحد الحق» المتضمنة في هذا البحث ليتمكن لنفسها دون آى سند شرعى أو قانونى حق تمثيل المجتمع كله وكأنها مفوضة من الله سبحانه وتعالى حيث تقوم بتأميم المجتمع المدنى الذى يتخلق رغمها عنها وغالباً ما تخرج فى محاصرته وخنقه وتعطيل نموه. ويعيد هذا النص إلى الأذهان شعار جماعة الإخوان المسلمين الذى يقول إن الإسلام دين ودنيا والذى باسمه يفرضون سلطانهم فرضاً على سلوك الناس وطريقة حياتهم وعلاقاتهم ويستبدون بهم حتى وهم -أى الإخوان- ما يزالون خارج السلطة وقد رأينا ماذا حدث فى السودان من عداون على الحريات العامة وعلى مناهج التعليم وعلى النساء والأقليات الدينية بعد أن توالت الجبهة القومية الإسلامية الحكم وحلت النقابات والأحزاب والجمعيات والروابط والاتحادات الطلابية والنسائية مبددة تراثاً عظيماً للمجتمع المدنى السوداني بدأ الشعب فى إنجازه حتى منذ ما قبل الاستقلال لاشك أن ما يقدمه «الجنابى» حول مثال «الواحد الحق» هو حقيقة فى الثقافة الإسلامية ربط الدين بالدنيوى لكن هذا الرابط هو فى أمس الحاجة للانتقاد من على أرضية الحداثة والديمقراطية.

كنا قد نشرنا في العدد الماضي فقرة في أول الكتابة عن مقال «لنجلاء أبو عجاج» عن «أدب السيرة الذاتية في ضوء ما بعد الحداثة ولكن المقال لم ينشر لأسباب فنية وما هي الفقرة مرة أخرى لعلنا ننعش أنفهانا معاً للتفكير في موضوع الواقعية التي تتلمس الكاتبة مظاهر صعودها مجدداً وتقول في تقديمها للموضوع إن الفكر الغربي قد دأب على وضع حدود فاصلة بين أمرين هما الذات والموضوع ، فالذات تخبر العالم وتكون أفكاراً عنه ، أما الموضوع فهو عبارة عن الأشياء الخارجية ، وينبع قصور هذه

المقوله من وجيه نظرى عن التعميم ، ذلك أن الفكر الغربي ليس شيئاً واحداً، فهناك الفكر المثالى والفكر الوضعي والفكر المادى التاريخي الاشتراكى وهذا الأخير لا يضع حدوداً فاصلة بين الذات والموضوع بل يرى أن الذات بوسعها أن تغير الموضوع فى مجرى الممارسة بحيث يتلاعماً مع أهداف البشر وتتغير الذات نفسها أيضاً حين تظهر لديها أهداف ومتطلبات جديدة وتدخل فى علاقات جديدة سواء مع الطبيعة أو مع الأشياء التى خلقتها هى نفسها فى عملية جدلية دائمة حيث تشكل الذات والموضوع نقائص فى وحدة يتداخلان التأثير والتاثير ويتغيران حيث لا شيء ثابت وبحيث تتطور الحقيقة الموضوعية دوماً وأبداً وهذه الحقيقة الموضوعية هي أمر عيانى ملموس يرتبط بظروف المكان والزمان ، ويكن دائماً اختبار الصحة الموضوعية لمعارفنا لأن الممارسة من وجهة نظر الفكر الاشتراكى هي معيار الحقيقة ، أى أن الذات تلعب دورها عبر الوعى والفعالية فى تغيير الواقع الذى يؤثر تأثيراً عميقاً فيها..

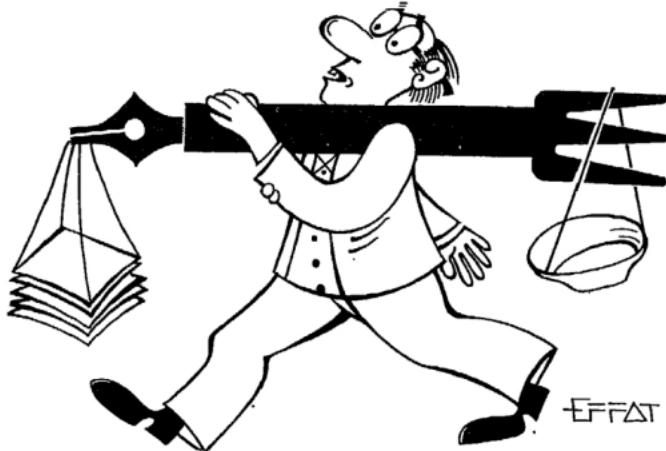
وربما تتوافر لنا فرصة قادمة لمناقشة مقولات ما بعد الحداثة فى ضوء التطور الواقعى فى الأحداث والأفكار على الصعيدين العالى والمطلى والكيفية التى انعكست بها أفكارها فى أعمال الأدباء الجدد وعلى نحو خاص هؤلاء الذين تواصلوا مع الفكر والإبداع العالميين فى طورهما الجديد وأخذوا يكتشفون فى إنتاجهم عن الروابط العميقه وغير المرئية بين الظواهر الواحدة التى تتخذ فى كل بلد شكلاً مميزاً خاصاً به .. أليست هذه هي ضالة المبدعين الأصلاء فى خاتمة المطاف أن يلتقطوا دبيب الحركة الكلية الدائمة فى روح العالم ويعطوهما شكلاً يحمل لهيب أنفاسهم وينسجونه من التفصيات اليومية فى واقعهم المطلى؟.

سوف يكون العدد ما بعد القادرم أى أبريل ٢٠٠٢ هو عدتنا المائتان . ونود أن نذكركم أننا احتفلنا بالمائة الأولى بطريقتنا ونزيرد هذه المرة احتفالاً أكثر ديمقراطية تكون أفكاركم ومقرراتكم فى القلب منه . ولنخخط معاً للمائة الثالثة..
وكل مائة عدد وأنتم بخير.

المحررة

أدب ونقد

دراسة



الحضارة الإسلامية - الواحدية والروح الثقافية

* ميثم الجنابي

الكتاب من إصدارات دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

ليست الواحدية الثقافية قوله للثقافة ، بل هي الوحدة المعتدلة لنسبيها . لأن الجوهرى فى الثقافة الإسلامية هو روح النظام . والنظام فيها هو اعتدال محمد بأولوية العدل . مما يجعل من العدل موشوراً ينكسر فيه قيم الوجود الاجتماعى والسياسي والأخلاقى . فالصراعات الاجتماعية والسياسية الكبرى للقرن الأول الهجرى (قرن الصبرورة العاصفة للخلافة الإسلامية) ارتبطت بفكرة العدل ، باعتبارها إحقاقاً للحق وكان الخوارج والشيعة الأطیاف الأولى لانكسار الرؤية الاجتماعية والأخلاقية في منشور

العدل الإسلامي.

تبليغ هذه الأطيف الأولى في البداية بهيئة إحساس مرهف تجاه معالم الابتعاد الجزئي عن مباديء العدل الإسلامي في خلافة عثمان بن عفان. فقد كان الاحتجاج الأول صامتا ثم خافتًا ثم مدوبا كما هو الحال عند أبي ذر الغفارى، الذى جعل من الآية القرآنية (والذين يكتنون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) شعاره العلى وشكلت الثورة على عثمان وقتلها أسلوبا لشرعية الحديث القائل) لا طاعة لخلوق في معصية الخالق) وليس الطاعة والمعصية هنا سوى أطراف العلاقة الوجданية الأخلاقية بالعدل وتتأثر هذه المواقف الفعالة والإيجابية في البداية بروح الإدانة والاعتراض والاشكاك ، باعتبارها صيغا مباشرة لتحسس الانحراف والابتعاد والزيغان عن الحق.

وليس مصادفة أن تستثير الوعي الاجتماعي والأخلاقي حينذاك قضايا التكفير والكبائر والوعيد والخروج (معارضة التقى) والتوبية والإيمان والإمامنة والواجب معرفته والخير والشر.

فقد ارتبطت ظاهرة التكفير بمسألة الكبيرة باعتبارها ابعادا عن الحق. لذا كفروا في بادئ كل من يقترب نسبا ومعصية واعتبروا من ارتكب الكبيرة كفر «كفر ملة» (خروج عن الإسلام) وأحيانا «كفر نعمة» كما هو الحال عند الأباضية. عارض آغلهم التقى. فقد شددت فرقـة الأزارقة على تكـفير «القـعدة»، الذين لا يقاتلون الظلم والجور، وجعل بعضـهم الإيمـان عـلـم كل حق وباطـل، كما هو الحال عند البيهـسيـة، بينما اعتقدـت الفـرقـة النـجدـية، مـعـرـفة الله والـرسـل وتحـريم دـماء المسلمين المـرـفـعة الـوـاجـبة على كل مـسـلم.

وتحسـسـوا قـيمـة السـلـطـة والـدـولـة بالـنـسـبـة للـعـدـل، بـحـيث جـعـلـت بعضـهم يـقـول «إذا كـفـرـ الإمام كـفـرتـ الرـعـيـة الغـائـبـ منهاـ والـحـاضـرـ» (كـما هوـ الحالـ عندـ البيـهـسيـة)ـ فـيـ حينـ اعتـبـرتـ الفـرقـة الأـبـاضـيـةـ «دارـ مـخـالـيفـهـمـ منـ أـهـلـ الإـسـلـامـ دـارـ تـوحـيدـ، إـلاـ معـسـكـ السـلـطـانـ فإـنـهـ دـارـ بـغـىـ»ـ بـيـنـما توـصلـ بـعـضـهـمـ (كـالـنـجـديـةـ)ـ إـلـىـ إـمـكـانـيـةـ الـاسـتـغـنـاءـ عنـ إـلـامـ فـيـ حـالـ تـمـسـكـ الـأـمـةـ بـالـقـرـآنـ بـيـنـهـمــ كـلـ ذـكـ يـكـشـفـ عنـ أـنـ الـهـاجـسـ الـأـعـقـمـ فـيـ أـخـلـاقـ الـخـوارـجـ وـرـؤـيـتـهـمـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـالـسـيـاسـيـةـ مـحـدـدـ بـفـكـرـةـ الـعـدـلـ وـهـيـ حـصـيـلـةـ وـضـعـوهـاـ فـيـ سـلـسـلـةـ الـمـوـاقـفـ مـنـ النـفـسـ وـالـمـجـتمـعـ وـالـسـلـطـةـ.

وـهـىـ ذاتـ الـحـوـافـزـ الجـوـهـرـيـةـ فـيـ التـشـيـعـ، الـذـىـ جـسـدـ الـقـيمـ الـوـجـدانـيـةـ لـلـحـقـ مـنـ خـلـالـ

نجدتها في شخصية الإمام باعتباره التحقيق المتسامي للإيمان الإسلامية ووجود ذلك انكاسة في منطق التشريع، الذي جعل من الإمامة والإمام قضاياً أصولية وليس فرعية في الدين. فقد أعطى التشريع للإمام بوصفه تجلياً للحق (الله) قيمة جوهرية في ضبط نظام الوجود. بينما تراوحت آراء الجهمية والمرجئة بمختلف مدارسهم عن تياري الخارج والشيعة.

لقد جهد كل اتجاه كبير لتأسيس حقيقة العدل باعتباره اعتدلاً. وجسدت المعتزلة في بداية أمرها أنذاك الإدراك لهذه القضية للمرة الأولى في فكر الخلافة نظاماً فكريًا متجانساً عن العدل وجعلت منه مبدأً نظرياً وعملياً عاماً في مواقفها من قضايا الملك (الوجود الطبيعي) والملائكة (ما وراء الوجود الطبيعي) والجبروت (الفطى الإنساني). ووضع المعتزلة العدل في أول مبادئهم وأكملوه بالتوحيد لهذا سموا أنفسهم بأهل العدل والتوحيد وهي تسمية تعكس الإدراك العميق والشامل لغاية الإسلام وحقيقةه. لقد أرادوا إعطاء الأبعاد الطبيعية ووالما وراء الطبيعة قيمة متجانسة من حلال جعل التوحيد عدلاً والعدل توحيداً وهو توسيف أدى تاريخياً إلى تأسيس الروح الثقافية في الإسلام.

كان التوحيد المعتزلي يرمي إلى جعل الله متسامياً عن إرادات الناس المتغيرة ، وذلك عبر تجريد المتسامي ، باعتباره كياناً مطلقاً قائماً بحد ذاته ، وعانياً كاملاً وخيراً شاملًا وجمالاً تاماً ، يعطي للإنسان إمكانية سموه بالعقل والإرادة المعقولة والعقل الإرادي المتربى بقيم الخير والصلاح والجمال قادر على صنع نظام الوجود وضبطه باعتباره عدلاً. من هنا اجماعهم على أن الإنسان قادر وخالق لأفعاله خيرها وشرها وأن الله منه أن يضاف إليه شر وظلم و فعل هو كفر و معصية ، لأنه لو خلق الظلم كان ظالماً ، كما لو خلق العدل كان عادلاً. وأجمعوا المعتزلة على أن الله لا يفعل إلا الصلاح والخير. إذ يجب من حيث الحكمة رعاية مصالح الناس وهي أمور تعرف كلها بالعقل أيضاً قبل ورود الأنبياء والرسول. وذلك لأن أصول المعرفة وشكر النعمة واجبة بالعقل . كما يقول المعتزلة ، وينطبق هذا أيضاً على قضايا الحسن والقبح الأخلاقيين . إذ ليس ورود الأنبياء سوى ألطاف إلهية لها اعتبر أبو الهذيل ، أن للकفر ثلاثة أوجه وضع فيها «من يجوز على الله في الحكم أو يكتبه في خيره» ، في حين قال النظام ، إن الله لا يقدر أن يفعل بعباده إلا ما فيه صلحهم واعتقد الإسکافي أن الله لا يقدر على ظلم العباد واستبط المعتزلة من آرائهم هذه فكريتهم العامة القائلة ، بأن عالمنا هو أفضل العوالم ومدرك بالعقل

ومن ثم فإن النظام المعقول هو النظام الموجود وإن الإنسان قادر على إقرار العدل فيه لأن وجود العالم يفترض سيادة العدل فيه سواء من حيث أصل وجوده (الإلهي) ومن حيث استمراره في عقل الإنسان.

وشاءت فرق الكلام الإسلامية بهذا القدر أو ذاك آراء المعتزلة سواء من حيث الإقرار ببعض منها ، أو من خلال تحويل إشكالية العدل التوحيد إلى محور تأملاتها اللاموتية .

أما الفلسفة الإسلامية فقد سعت أيضاً لتأكيد قيمة العدل الشامل في الوجود من خلال تركيزها على قضيّا العقل والوجود المعقول (الإلهي والطبيعي) . فقد جعلت الفلسفة الإسلامية من العدل العقلياني - الأخلاقى أصل الوجود والوجوب في العالم وعليه بنت تصوراتها وأحكامها وموافقتها عن الله والإنسان والمجتمع والدولة والحياة والموت والخير والشر والجميل والقبيح . فقد أسس الكندي آراءه عن العقل والعدل ، بينما وضعها الفارابي في تصوره وأحكامه عن الدولة المثلثى ، بينما وضعها ابن سينا في نظريته عن نظام الوجود والمعرفة ، في حين ألف ابن رشد بين التقاليد والحقيقة في مختلف تجلياتهما . لقد ساهمت هذه الآراء والإيجازات الفكرية جميعاً في ترسیخ منظومة الرؤية الإسلامية عن الوجود باعتباره عدلاً وعن العدل باعتباره واجباً .

أما التصوف فقد نشأ بحد ذاته كبحث عن نسب العدل من أجل الانتظام فيها . فالله هو مطلق التجانس ووحدة المتضادات والتناسب الذي لا ينعد في إشعاعه على كل وجود موجود من هنا تسمية أنفسهم بأهل الحق . الحق هو النسبة العادلة في كل شيء ومن هنا أيضاً تلقائية النسبة الحية في ملوك (ميتابونقا) التصوف وملكه (أنطولوجيتها) وجبروته (أخلاقه العملية) ونمودجيتها في وحدة الطريقة والشرعية والحقيقة . أى أن للحقيقة قانوناً وطريقاً جسده المتتصوفة من خلال شريعة الثقافة (الإسلامية) وطريقهم الخاص فيها ، إذ الحقائق الكبرى هي حقائق ثقافية وأصالتها فيها ومن خلالها يتراكم الروح الإنساني الأشمل باعتباره عن العدل والنظام بعل منظومة الغزال وابن عربي من بين أعظمها إنجازاً .

إن سيادة العدل والنظام في مختلف الاتجاهات والعلوم والفنون الكبرى للثقافة الإسلامية يعكس أولاً وقبل كل شيء إدراك قيمة النسبة . فالعدل والنظام هما أولاً وقبل كل شيء نسبة والسبة هي ليست الكمية المعقولة والضرورية لوجود الأشياء فحسب ، بل والأسلوب الأمثل لفاعليتها التجانسة وبهذا المعنى فإنها تنشأ وتتطور على قدر وكيفية

حل معضلة الطبيعي وما وراء الطبيعي في الثقافة.

فقد نشأت الثقافة الإسلامية نفسها على مثال وحيها القرآن باعتباره ممثلاً للصراط المستقيم فالصراط المستقيم وسط، والوسط اعتدال، والاعتدال عدل، والعدل حق، والحق هو النظام الأمثل. بصيغة أخرى، لقد تغلغل إدراك الاعتدال باعتباره النسبة الضرورية والمعقولة لوجود الجماعة والأمة في علاقتها بنفسها (المستوى الطبيعي) وعلاقتها (المأمور الطبيعي). وشق ذلك لنفسه الطريق في العبادات (الروح) والعادات (الجسد). ففي العبادات انطلقت الثقافة من الفكرة القرآنية القائلة، بيان الله يريد بالناس اليسر ولا يريد بهم العسر. وحاولت أن تعطي علاقة الظاهر بالباطن والروح بالجسد ونسبتها الضرورية في الصلاة والصوم والحج والزكاة. فالصلة هي حركة الجسد واللسان والقلب في المكان والزمان (ثلاث أو خمس مرات في اليوم) والصوم هو حركة الجسد في المكان والزمان (شهر في السنة) بالخصوص لله. والحج هو حركة الجسد في الزمان (مرة في السنة أو العمر) في توجهه لله، والزكاة هي حركة الجسد (المالي) في الزمان (مرة في السنة) تزكية وتطهيراً.

ذلك يعني أن الإسلام أشرك الجسد الفردي والجماعي في حركة متناسقة ودائمة وموحدة للسان والقلب والمعدة والنفس في خصوصها للمبدأ الأساسي. أي أنه وحد في الحركة الجسد والروح والزمان والمكان، وخلق منهم كلا واحداً في العبادة مجسداً لنسب المثال الأعلى في الله الواحد والجماعة الواحدة والروح الواحد والجسد الواحد، أي كل ما يبدع الوحدة في الجماعة وتتنوعها في الأفراد من هنا قول ابن عربي «الطرق إلى الله بعد الخلائق، ولا تعارض» وينطبق هذا على العادات أيضاً.

فالفقه الإسلامي هو نموذج لوحدة العقل والأخلاق في تناول الحياة الاجتماعية والاقتصادية والحقوقية. يعني جمهه النسب المعقولة في حل المشاكل بمقاييس المصلحة والأخلاص وفيه أيضاً تتجلّى وحدة الأصول (القرآن والسنة) وتتنوع الاجتهادات وشرعيتها في المدارس المتعددة من شافعية ومالكية وحنفية وحنبلية وشورية وجعفرية وباضية وظاهرية وغيرها.

إن تنوع الانتماء للوحدة (الإسلامية) هو تجلٌ للبحث عن النسب المتعددة للنظام الأمثل مما أدى إلى أن تبدع الثقافة في مجرى صيرورتها مرجعيات خاصة بها أثمرت سيادة روح النسب والنظام، وإبداع ثنوبيات كبرى ساهمت في خلق آلية الاعتدال (العدل) الانضباط (النظام). ففي أسلوب المعرفة أبدعت ثنوية (أو وحدة) المنقول والمعقول

والرواية والدراءة وفي نفط الحياة وحدة الدينى والدينوى وفي نمط التعامل مع «وحي الثقافة» ووحدة التفسير والتؤليل، والظاهر والباطن وفي القانون وحدة الأصول والفروع والاجتهاد والإجماع . وطبقت ذلك على كل تجليات الحياة المادية والروحية.

فالرواية والدراءة، والمعقول والمنقول يؤسسان لضرورة الربط بين الحاضر والماضى وبين التقليد والمعاصرة وبين الإيمانى والعقلى بما يكفل عدم تضادهما وصراعهما الدموى، إذ لم تكن هذه الشنوية تعويضا علميا وضروريا عن غياب الكلمة المكتوبة فحسب ، بل وأسلوبا لحفظ كلمات اللسان الطائرة فى صحراء مقرفة أو المتغفلة فى هوة سخيفة أو الصاعدة إلى ذروة جبل شاهق حالما يكون لها معنى يستحق النقل والرواية انه أسلوب جمع كلمات الأسلاف باعتبارها روحًا ونظمها فى الرؤية العقلية من خلال تshireح تاريخ الكلمة (قائلها ونقلها) وربطهم بسلسلة العلاقة بحيث تتحول جزئيات التاريخ إلى نظام مترابط مدرك في الوجودان (الانتماء الثقافي) والعقل (الرؤية التاريخية) وطبقت الشنوية أسلوبها هذا على قضايا القرآن (من معرفة أسباب النزول ومعنى الكلمة، وكيفية القراءة والناسخ والمنسوخ والعام والخاص وغيرها من الجوانب)، وعلى الحديث النبوي والشعر الجاهلى وحكمة القدماء وأحداث التاريخ المنصرم وغيرها.

وتؤسس شنوية الدينى والدينوى بصفتها مرجعية كبرى لنمط الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحقوقية الخاصة وال العامة إذ تغللت فى مسامات الكينونة الإسلامية وجمعت مكوناتها المادية والروحية فى وحدة معقولة للثابت والمتحول ،المطلق والعابر، ومن خلالها تناولت بالدرس والتحليل التناقضات الواقعية والمحتملة بين الوجودان والعقل وبين الأخلاق المتسامية والمصلحة .لها اضمحل تعارض الدين والدولة والعلم والإيمان وما شابه ذلك .فالدين (الدينى) هو ليس مؤسسة ، بل مبادئ كبرى جامدة للروح والجسد الإسلاميين ضمن حدود الفريضة (أو الواجب) .وليس الدولة سوى أداة النظام والمصلحة وبالتالي لا تعارض بين المبدأ والمؤسسة .فالمؤسسة تمثل أساسا تجارب الماضي والحاضر بما يخدم وحدة المجتمع والدولة والمبادئ الكبرى للدين الإسلامي تدعى أساسا للوحدة على مثال الواحد الحق ومن ثم فلا معنى «لمجتمع مدنى» لأنّه جزء من الدينى الإسلامي.

وينطبق هذا على وحدة العلم والإيمان وعدم تعارضهما .فالعلم هو صفة الله الجوهرية (حسب تقاليد علم الكلام الإسلامي) وهو أكبر فضيلة إسلامية (حسب تقاليد الأخلاق الإسلامية) وهو الجزء الأساسي في العقل الإنساني (باعتباره أساسا من أصول

الإسلام في الفقه والكلام والفلسفة والتصوف). لذا ليست علاقة العلم بالإيمان سوى الصيغة الأكثر تجريدًا لعلاقة العقل بالوجودان وكل منها ميدانه ومستواه ، ووسيلته وغايتها ، ومبدأه ومنتهاه . فالعلوم ضرورية كانت أم تجريبية أم يقينية لا علاقة لنتائجها بالعقائد الكبرى . أى أنها مجرد عن القيم العقائدية الملزمة . فقد توصلت الثقافة الإسلامية عند أغلب علمائها إلى أن معطيات ونتائج العلوم الطبيعية ليست لها علاقة بقضايا الغيبيات الكبرى ، لأن «الميتافيزيقيا الإلهية» هي ميدان الوجودان ومن ثم لا ينبغي أن يتعارض مع ما في العقل من نتائج متربطة على بحثه عن الحقيقة . إذ الحقيقة في نهاية المطاف هي أيضاً وجдан منطق كما أن الوجودان الخالص في نهاية المطاف هو منطق الروح الباحث عن الحق والجمال والحسن.

وشكلت هذه التشوّيات - المرجعية إلى جانب عشرات مثل ثنوية التفسير التأويل، والظاهر - الباطن ، والاجتهداد - الاجتماع ، والطريقة - الحقيقة ، والحكمة الشرعية ، والفلسفة والدين ، والمنطق والبيان ، العناصر الجوهرية للروح الثقافي الإسلامي .

ترتبط على حل الإسلام بإشكالية الطبيعي وما وراء الطبيعي في مختلف جوانب مستويات الوجود الاجتماعي للفرد والجماعة والدولة ، والميتافيزيقا الدينية والقيم الأخلاقية إلى أن تحولت التشوّيات المرجعية الإسلامية إلى عناصر جوهرية مبدعة للروح الثقافي من المعلوم أنه ليس كل مرجعية أو نظام المرجعيات قادرًا على إبداع روح ثقافي خالص . لأن جوهرية الروح الثقافي الخالص يقوم في قدرته على تجاوز الإثنية ومتغيرات الأشباح الإنسانية (من دم ولون وأرض) إلى ميدان العقائد المتسامية .

فقد تبلورت التشوّيات المرجعية الإسلامية تاريخياً ، كأجزاء مكونة لنظام توحيدى . وصنع هذا النظام واحديّة ثقافية أبدعت اعتدالاً في العقائد والأفعال والرؤى والماوراء من خلال نظام المرجعيات نفسه . وأدى ذلك بدوره إلى تفعيل التنوع ضمن الوحدة . وصب هذا التنوع بفعل التشوّيات المرجعية المتكافئة من حيث أوزانها الداخلية في اتجاه تأسيس مقولية البحث عن نسب فضلي وبالتالي عن نظام أمثل .

إن بلوغ الثقافة إدراكاً جوهرية النسب المعقولة للنظام الأمثل يؤدي إلى تسامي إدراكاتها وتنوع إبداعها في توحيد الوسيلة والغاية والعلم والعمل تجاه النفس والآخرين . وتجلى ذلك في وحدة الإبداعات المتعددة للحضارة الإسلامية . الإبداع الأصيل يجري ضمن معايير الثقافة الخاصة . وتكونت صيرورة الوحدة المتعددة في إبداعات المسلمين من خلال الفعل المباشر وغير المباشر للمرجعيات الكبرى في الثقافة نفسها . وجعل ذلك

من الممكن تنوع مدارس الكلام وإجماعها في الدفاع عن عقائد الإسلام الكبرى، كما جعل ذلك من الممكن أيضاً تنوع إبداع المتكلمين فيه. فالذى يجمع الجاحظ والباقلانى وأبن حزم وابن الجوزى على سبيل المثال هو أن كلاً منهم ممثل نموذجي لمدرسته الكلامية. فالجاحظ معتزلي المشرب والمترع ولا يتعارض تمثيله لمبادئ العتزلة مع تميزه الشديد أحياناً عن شخصيات العتزالية وفرقه الكبرى وينطبق هذا أيضاً على خصوصية ابن حزم في الظاهرية والباقلانى في الأشعرية وأبن الجوزى في الحنبلية وهو تنوع يكشف في نفس الوقت عن نموذجيته في إبداع كل منهم حاله. فالجاحظ هو ليس فقط ممثل الفردانية المبدعة ضمن العتزالية فحسب ، بل وممثل المعرفة الموسوعية الإسلامية. لقد أسس في كتاباته للبيان العربي وطابق بينه وبين خصوصية العرب وإسهامهم في الحضارة الإنسانية ، كما لو أنه أراد دمج روح الإسلام الثقافي في القومية . وظل مع ذلك متعالياً عن الانتماء لأى كيان غير الحقيقة وجعله ذلك يكتب (فضل المولى على العرب) ، أن يتب في نفس الوقت عن العرب ضد الشعوبية . وصنف أيضاً كتاباً في الدفاع عن الترك (مناقب الترك) والزنوج (فل السودان على البيضان) وغيرها من المؤلفات التي يكشف فيها عن أن لكل قوم فضائل وحسنات خاصة بهم ومن ثم لا فضل لجنس على آخر . ووضع أيضاً كتاباً عن ذوى العاهات من العرجان والعميان والحوالن والبرصان . لكي يبرهن على أن العاهة ليست عائقاً أمام الإرادة الحرة . لأن الإنسان في نهاية المطاف هو إرادة بما عادها طياع . ووضع هذه الفكرة في قوله «ليس يقع من الإنسان فعل باختيار سوى الإرادة» وأنه «لا فعل للإنسان إلا الإرادة» . وكتب رسائل عديدة عن «الخصوص» و«غض الصناعات» و«القوانى» و«اللوطية» و«المعلمين» وعشرين غيرها يكشف فيها عن طبائع الناس ، باحثاً عن صراع الطبيعي وما وراء الطبيعي في الإنسان ، متتجاوزاً العلاقة الزائفة والتصورات الوهمية . فهو لا يكشف في «الخصوص» عن ميلهم التخريبية وعما في «غض الصناعات» من إفساد للمهن ، بل وعما فيها أيضاً من «فنون متراكمة» في تطور الرذيلة . وينطبق هذا أيضاً على ما في كتاباته عن القوانى واللوطية ، التي دافع فيها عن الحرية الجنسية وفضيلتها بالنسبة لرقى الأمم بوصفها ميداناً يكشف عن فضيلة الجسد . في حين جمع حكمة الأمم في (طبائع الحيوان) . أما الباقلانى فقد مثل نفس اتجاه الجاحظ ولكن ضمن تقاليد الأشعرية ، وذلك عبر تعريف روح الجدل والاحتجاج والدفاع عن العقيدة الدينية . ووضع لهذه الغاية كتاب (أدب الجدل) الذي جسده في (التمهيد) و(الإبانة) و(كشف الأسرار في الرد على الباطنية).

وجعل من مؤلفاته هذه نماذج في كيفية الرد العقلى الفلسفى على المعارضين ونعتز على نفس الاتجاه فى شحنة كتبه الكلامية اللاهوتية، كما هو الحال فى كتابه (فى المعجزات) (الانتصار فى القرآن) وتناول أيضا قضایا السلطة والدولة كما فى كتابه (الإمامية الكبيرة) (الإمامية الصغيرة) (الأمير) وكتب أيضا عن قضایا الفقه والأصول والديانات والعقائد والإعجاز البیانی فى القرآن وغيرها ومارس السياسية دون الواقع فى مخالب الانتقام والرشوة بينما مثل ابن حزم نموذج الاتجاه الظاهرى على أكمل وجه، سواء فيما يتعلق بال موقف من المدارس والفرق الفلسفية والدينية والأديان ، أو فيما يتعلق بجدله اللاهوتى والفلسفى ، كما هو جلى فى (الفصل بين الأهواء والملل والنحل). بمعنى سعيه لفصل بينها بما يستجيب لتصوراته عن الحق والحقيقة . من هنا حدة وصرامة التحليل والانتقاد والتقييم المميز لكتاباته وجسد ذلك أيضا فى أحد أعظم أعماله الفقهية (المحلى) وفى سلوكه الشخصى ، الذى كفه التنازع عن الوزارة فى الأندالس ومع ذلك نراه يكتب (طوق الحمام) بما فيه من رقة وشفافية وحب غرام . وهى ظاهرة نشر عليها فى إبداع ابن الجوزى الحنبلي . فالتقالييد الحنبلية أصرم من أن يتجرأ قلم فيها على خط حروف التسامح والتساهم مع النفس والغير ومع ذلك نشعر فيها على تنوع ضمنه وحدتها . فنراه يكتب كتابا تاريخيا كبيرا مثل (المنتظم) الذى استعرض فيه تاريخ الإسلام وشخصياته ووضع شأن الحنابلة أغلب كتبه ورسائله عن القرآن والسنّة والحديث . ولكن كتب أيضا أحد أفضل الكتب الساخرة، التى جمع فيها (نوادر الحمقى والمغفلين) باعتبارها ضرورية للروح والجسد ، انطلاقا من أن كتب الشجاعة تعلم الشجاعة، ومن يرى آثار الحمقى والمغفلين يعرف قدر العقل أدب التبيّظ وإراحة القلب بالمزحة . حيث اعتبر المزاح صفة مميزة للأشراف وذوى العقول.

كل ذلك يكشف عن أن الوحدة الخفية القائمة وراء تنوع الإبداع الإسلامي تتبع من نظام النسب المعتدلة . فقد تمثلت الثقافة فى حركتها عناصر التهور والانفصال «الغرية والصرامة ، البدعة والسلفية ، التجديد والتقليد باعتبارها نسبا طبيعية وضرورية للإبداع وهى نسب نشعر عليها فى جميع نماذج الإبداع الرفيعة بما فى ذلك فى الشعر والحكاية والموسيقى والخطوط والعمارة .

ففى الشعر نشعر على النماذج الدينية واللهو كما هو الحال عند أبي نواس وأمثاله ونماذج الروع والزهد كما هو الحال عند أبي العتاهية ونماذج الفروضية والبطولة كما هو الحال عند أبي فراس الحمداني والمتibi ونموذج الحكمة كما عند المعري ، أو على

وحدة هذه النماذج كما عند الخيام

ونعثر في الحكاية على وحدة التجليات المتناقضة للحياة بأبعادها الثقافية كما هو الحال في (ألف ليلة وليلة). فالآلاف هو ليس عدداً فقط، بل وحرف الهجاء الأول، والليلة الأخيرة ليست الأخيرة فقط بل الأولى بعد الآلاف، كما لو أنها الصدى الامتناهي في الروح والزمن وهي وحدة صورها أبو العلاء المعرى في (رسالة الغفران) وليس المقصود بالغفران هنا سوى الغفران الثقافي، الذي ينظر إلى التاريخ الواقع والمثالى بعيون الروح المبدع، إذ يستعيد في رؤيته التقديمة عن الإبداع الثقافي الإسلامي تاريخ الروح المجرد والمتسامي في إخلاصه للأنا المتحررة من قيود المصالح العابرة وأباطيلها العديدة المتعددة، إذ ليس مسار بطلها في جنات عنden سوى الصدى الامتناهي للسماع والزمن الإسلامي في تأملهما للقيم والمعانى الحقيقة كما هي. فالسماع والزمن هما شيئاً لا كالأشياء مثل النغم والحقيقة، ففيهما تض محل النسب، لأنهما أدق وأتم تجل للنسب نفسها والذى نعثر على نموذجه الرفيع في تقاليد الحياة واليقطة، كما في قصص (حى بن يقطان) لابن سينا والسهر وردى المقتول وابن طفيف. فإذا كانت الصيغة الطبيعية لعلاقة اليقطة بالحياة تفترض أن تكون الحياة أباً أو أمأ لليقطة، فإن استمرارها لما وراء الطبيعة هي الصيغة المتسامية لجوهرية اليقطة في الحياة وجوهرية السماع في الزمن. فالسماع في الزمن هو كالصوت في الوتر. فالوتر هو مادة (طبيعية) والصوت استمرارها المتسامي وما وراء الطبيعة، والحياة طبيعية، واليقطة استمرارها (لما وراء الطبيعة). ومن هنا توصل الصوفية إلى الحكم القائلة: «إن الناس نائم فإذا ماتوا انتبهوا». ذلك يعني أن إدراك القيمة المتسامية للحياة مرتبط بإمكانية وقدر اليقطة، باعتبارها إدراكاً للعايز فيها. فالملوت يكشف عن أن الحياة الطبيعية شيء عابر كما لو أنها لاشيء ويمتلك هذا اللاشيء بوصفهما نسباً متعارضة. لذا ربط التقاليد الكلامية والفلسفية والصوفية مفهوم الوحي باليقطة وإلهام بالحلم والنام، وهي تقاليد كشفت عن أن المعنى التام هو ذاك الذي يضمحل فيه الواقع والخيال والأنا والهو، أما في إيمان مخلص أو عقل خالص أو ذوق تام باعتبارها تجليات الدين (النبوة) والعقل (الفلسفة) والحدس (التصوف) وحصلت هذه التجليات على نموذجها الأمثل في المراحل التي تتبعها ابن طفيف من حياة اليقطة الوجودية والمعرفية لابن يقطان بوصفها اكتشافاً «خالداً» للنسبة المتجانسة بين الطبيعي وما وراء الطبيعي في الإنسان.

ونعثر في فن الرسم أيضاً على نوازع البحث عن نسب الطبيعي وما وراء الطبيعي

عبر مجانستها في النقطة والخط من هنا سيادة التجريد المتسامي في الرسم الإسلامي وليس مصادفة أن يصل الفكر الإسلامي إلى تصور الله باعتباره جلاء في خفاء وخفاء في جلاء وظاهرها في باطن وباطناً في ظاهر . أى التجلي التام للنسبة التامة والوحدة التامة للمتضادات بمعنى اضمحلال النسبة نفسها والمتضادات في الوحدة . فالخط هو الحركة الدائمة للامتناهي وكل نقطة في الزخرفة الإسلامية هي بداية الحركة ونهايتها ومبدئاً الصورة ونهايتها . فقد مثل الخط الإسلامي الاتجاه المتسامي لعلاقة الروح بالملادة بحيث استطاع تجسيد الله في حروف تتوحد وتتكامل ب الهيئة طائر أو شجرة هائجة تتلذذ بها العين ويتيه فيها النظر . إذ لا حد متناه في هذه الخطوط (الحروف) سوى الهوية المحيزة للجلاء والخفاء .

وشكلت العمارة الإسلامية في بيتها ومساجدها وأزقتها وساحاتها تمثيلاً متجانساً لوحدة الظاهر والباطن بوصفها تجيلاً للنسبة بين المادي والروحي ، المتناهي واللامتناهي الطبيعي وما وراء الطبيعي .

كل ذلك يكشف عن أن سريران المراجعات في الكينونة الإسلامية أدى إلى تكاملها في وحدة ثقافية متنوعة الاتجاهات وكشف نظام وجودها الظاهري والباطني عن كينونة النسب المتوافقة فيه من مرجعيات كبيرة وأدى ذلك إلى ما يمكن دعوه بصيرورة روحها الثقافي المبدع ، الذي صنع على مثاله نماذج واقعية وواجبة للأمة في رويتها ل نفسها ولآخرين .

ففي نموذجها الواجب هي «الأمة الوسط» ، كما صورها القرآن في الآية «أنا خلقناكم أمة وسط» وتجلى هذا الوسط واقعياً باعتباره سعيه للاعتدال وإذا كانت الأمة الوسط تحتوى في مظهرها الأول على محاولة تدليل تطرف الصراع الأهموج بين اليهودية والنصرانية ففي باطنها تحتوى على تدليل الغلو تجاه النفس والله ، أى اتجاه الطبيعي والماوراء الطبيعي في الفرد والجماعة .

فقد سعت الرؤية الإسلامية في مبدئها عن الأمة إلى توحيد الجميع باسم المبدأ الأعلى ، معتبرة تضاد اليهودية والنصرانية انحرافاً عن الحق . فالله هو الله ، والأنبياء رسلاً لهم يهوداً كما تقول اليهود ولاهم نصارى كما تقول النصارى . ومن ثم فلا أفضلية لأحد على آخر . وبالتالي لا أفضليّة لأى كان من (دين أو جنس) إلا بالتقى وهو مبدأ وضعه القرآن في البداية ضمن توحيد العمل (الديني والدنيوي) . حيث نظر إلى تجارب الأنبياء نظرته إلى تجليات متنوعة للإرادة الإلهية في نقل مسار البشرية إلى

الصراط المستقيم، أى إلى الصلاح والخير بوصفهما كفتى الوحدانية وهى رؤية حددت توحيدية الإسلام الصارمة فى تمثيلها وتمثيلها لهذا الصراط. إذا لم ينظر إلى «خاتمتها» سوى نظرته إلى طريق الحق فى تذليل الآنا الدينية الضيقة.

فإلاسلام هو ليس اسمًا، بل فعل الانتماء للواحد. لهذا اعتبر الإسلام أنبياء الماضي وعقلاءه وحكماءه .. اعتبرهم أنبياء وعقلاء وحكماء وعقلاء وحكماء . وجعل من خير الماضي وصلاحه خيره وصلاحه. ووجد ذلك تعبيره المكثف فى الحديث القائل بأن خيركم فى الجاهلية خيركم فى الإسلام فالإسلام بهذا المعنى هو كيان قادر على تمثل الفضيلة وصهرها فى نظامه الخاص. مما فسح المجال أمام إمكانية اشتراك العاملين ضمنه حسب قوانين «الروح الموحد» و«الشراكة العامة». مما جعل من إبداعاته فى كافة الميادين إرثاً مشتركاً للجميع . وأدى هذا بالضرورة إلى اضمحلال روح الاستكبار فيه . لأن اشتراك الشعوب والأقوام فى بناء الروح الموحد هو اشتراك طوعى متكامل لم يتهدد بمؤسسسة ما خارجية دينية كانت أو دنيوية . لذا تحولت الشخصيات الكبرى للثقافة الإسلامية إلى رموز لشعوبها ولعالم الإسلام جميعاً . وهي حصيلة ارتبطت بإزالة الإسلام لروح الاستكبار الداخلى . إذ لا إسلام قومى ولا اثنى ولا مناطقى والتوع فـيه هو تنوع اجتهداته . فهو لا يقمع القومى ، بل يخضعه لروح العقيدة الوحدانية . من هنا استحالة صعود نظريات قومية منه أو نظريات استعلائية أو عنصرية أو فاشية أو ما شابه ذلك.

لقد أدى ذلك إلى افتتاح الثقافة على نفسها داخلياً وافتتاحها الخارجى على الآخرين . مما حدد دور سامحها العميق فيه وتحقيقها المنظومى لإبداعات الأمم أياً كانت بما يستجيب لرجعياتها الكبرى.

فقد نظرت الأمة الإسلامية إلى «وسيطيتها» بين الأمم بمعايير العقيدة الدينية والدينوية . أى بمعايير ثقافتها الخاصة . إذ انطلقت فى موقعها من الأمم الدينية(اليهودية والتصرانة) من المبادئ الثلاثة الكبرى العامة التى يلورها القرآن وهى أولاً : تأكيد مبدأ التاريخ الوحداني الحق، الذى تمثله الإسلام، وثانياً، إظهار مبدأ الوحدانية باعتباره حقيقة أوسع من أن يمثلها ادعاء أى كان . وثالثاً، الإقرار بـأن الإسلام هو التمثيل الخالص للوحدةانية باعتبارها إسلاماً للـ واحد الحق.

وشكلت هذه المبادئ أساساً للمواقف الإسلامية من اليهودية والتصرانة التى يمكن حصرها عموماً فى خمسة مواقف عامة وهى أولاً: ضرورة التمييز بين المحتدى والفاشق

في الأمم السابقة انطلاقاً من أنه «ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون
 آيات الله أثناء الليل وهم يسجدون ويؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون
 عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين» (آل عمران: ٤٤) ومنهم مهتد
 وكثير منهم فاسقون «الجديد: ٣٦». وثانياً : ألا يجرى خوض الجدل معهم «إنطلاقاً من
 الفكرة القائلة «لنا أعمالنا لكم أعمالكم. لا حجة بيننا وبينكم . الله يجمعنا وإليه المصير»
 والذين يحاجون في الله من بعدم استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم» (الشوري
 ١٥-١٦) ثالثاً : محاربة التعصيب والغلو، إنطلاقاً من الأفكار القرآنية القائلة بـأن الذين
 «قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصاري ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم
 صادقين» وقالت النصارى ليس اليهود على شيءٍ وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا
 يعلمون مثل قولهم» (البقرة: ١١٢-١١٣) ووضع هذه الأفكار في الحكم القائل «يا أهل
 الكتاب لا تقاوموا في دينكم غير الحق» (المائدة: ٧٧) رابعاً إدانة الانحراف العملي الذي
 قام به «رجال الدين» عن حقيقة الوحدانية التي يبشر بها الأنبياء . أى كل ما أدى إلى أن
 يتخلوا من «أصحابهم وربانهم أرباباً من دون الله وما أمروا إلا ليعبدوا إليها واحداً»
 (التوبية: ٢١) خامساً : الدعوة لقتال من لا يدين بدين الحق . كما في الآية القراءية
 «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا
 يدينون دين من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم
 صاغرون» (التوبية: ٢٩).

تصريح هذه المواقف في مجرد تحقيق المبادئ الكبرى الثلاث عن وحدانية الاسم من
 «الأمم (الدينية)» بمعنى تعبيرها عن الصيغة الملموسة (التاريخية) للإسلام لا المطلقة فيه
 فالجوهرى في الإسلام بهذا الصدد هو ثلاثة المبادئ الكبرى ، أى وحدة التاريخ
 الوحداني الحق في الإسلام ، وأن الوحدانية أوسع من أن يمثلها أى إدعاء ديني ، وأن
 الإسلام الحمدى (الحق) هو تمثيل للوحدة الكلية الخالصة . ومن ثم فإن تطبيق المكن فى
 «أمة إسلامية» يعني تمثيلها حقيقة المبادئ الكبرى لا الموقف الجزئية . لأن الأمة
 الإسلامية المفترضة هي نموذج للواجب بوصفه وسطاً عدلاً حقاً وهو الأمر الذى يفسر
 تغير الموقف من الأمم الدينية جمِيعاً فى وقت لاحق، بما فى ذلك من اليهود والنصارى
 فقد أصبحت هذه الأمم جزءاً من أمم دينية عديدة . ومن ثم تحول الجدل معها إلى
 أسلوب لتعزيز الرؤية الفلسفية والدينية والأخلاقية والسياسية . أى أنها تحولت إلى جزء
 من تاريخ الرؤية الثقافية لأديان الأمم . وظهرت علوم المقالات والأديان فى استعراضها

تاريخ الفرق (الدينية) إلى جانب تاريخ المدارس الفلسفية . وتدخلت مع تاريخ فرق الإسلام الكلامية ومدارسة الفلسفية . ويمكننا الحديث في الإطار العام عن أربعة اتجاهات كبرى، الأول استعراضي موضوعي كما هو الحال عند التوخيتى فى كتبه (الأراء والبيانات) و(فرق الشيعة) والأشعرى فى (مقالات الإسلاميين) ، واتجاه جدى كما هو الحال عند الباقلانى فى (التمهيد) واتجاه تحليلي مقارن كما هو الحال عند الشهر ستانى فى (الملل والنحل) وترأواحت بين هذه الاتجاهات الأربع الكبرى مدارس عديدة متمايزة من حيث مناهجها وموافقها الجزئية ونتائجها إلا أنها صبت جميعا فى اتجاه تعزيق الرواية الثقافية عن الأمم الدينية . من ثم ساهمت فى إرساء الأسس المعرفية لفكرة وحدة الأديان بصيغة أخرى، لقد توصلت الثقافة الإسلامية ، بما فى ذلك من خلال رؤيتها العقائدية- الدينية عن الأمة إلى إدراك وتأسيس الوحدة الروحية المشتركة بين الأمم (الدينية)، والتى حصلت على تحقيقها الأكبر عن ابن عربى فى (فتحاته المكية) وعند الجيلى فى (الإنسان الكامل). إن توصل الثقافة فى منظوماتها الفكرية إلى ضرورة تأسيس النتيجة الروحية لوحدة الأمم يعكس أولاً وقبل كل شيء افتتاحها الداخلى وكان هذا الانفتاح فى الحضارة الإسلامية مرتبطا أساسا بنظام الوحدانية المتجانسة وهو الأمر الذى يفسر بحث الثقافة الإسلامية فى مجرى تناولها تجارب الأمم الدينية (الدينية) عن العقول فيها ومرزول عقلأ (منطقيا) وروحاً (أخلاقياً) فعندما يتناول البيرونى على سبيل المثال تجارب الحضارة الهندية فإننا نراه يبحث عن «تحقيق ما للهند ممن مقوله مقبولة فى العقل أو مرزولة . لقد قدم تجارب الهند العقلية والروحية والعلمية ، باعتبارها نتاجا إنسانيا هائلا وأخضعها فى نفس الوقت لنطاق الإسلام العقلى والأخلاقى فى تقبل ما يمكن تقبيله ورفض ما هو مرزول فيها . إذ ليس العقل الثقافى عقلأ منطقيا خالصا ، بل هو مجرد تعميم لتجارب الأمم العلمية والعملية وبالتالي ، فالانفتاح على تجارب الآخرين يفترض تقديرها الثقافى وهى حصيلة تراكمت فى مجرى تطور الوعى الذاتى الإسلامي . فإذا كانت التجربة الدينية للإسلام عن الأمة قد توصلت فى أحد نماذجها الرفيعة إلى فكرة وحدة الأديان ، فإن تجارب الدينية أبدعت نماذج عديدة عن الأمم شكلت مساهماتها العلمية معياراً لتحديد هويتها الحقيقة .

بلورت الثقافة الإسلامية فى تحديدتها لهذه الأمم خمسة أنماط كبرى قسمتها على أساس جغرافي وأخر إيداعي وثالث ذهنى ورابع مذهبى وخامس علمي - فلسفى وأدرجت فى التقسيم الجغرافي نوعين الأول مبنى على أساس تقسيم العالم إلى إقاليم

سبعة الجوهرى فيه إظهار ما أسموه باختلاف الطبائع والأنفس التي تدل عليها الألوان والأسن والثانى بحسب الأقطار الأربع التي هي الشرق والغرب والشمال والجنوب الجوهرى فيه إظهار ما أسموه باختلاف الطبائع وتبين الشرائط.

أما التصنيف الذى وضعوا فيه معيار «الإبداع المتميز»، فقد انطلقوا فيه من تقرير حجم المشاركة الجدية للأمم الحضارية الكبرى آنذاك، فى التاريخ الإنساني. لهذا قال البعض مثل ابن المقفع، بأن كبار الأمم الأربع هى العرب أهل الفصاحة والبيان والعجم أهل السياسة والأدب والروم أهل البناء والهندسة والهنود أهل العقل والسحر، وهي فكرة شاطرها الجاحظ بالإضافة أهل الصين إليها باعتبارهم أهل الآثار والصناعة، وكذلك تقسيمه أهل الروم إلى قسمين الأول أهل يونان وهم العلماء والروم أهل الصنائع فى حين اعتبر أبو حيان التوحيدي الفرس أهل السياسة والأدب والحدود والرسوم والروم أهل العلم والحكمة، والهنود أهل الفكر والروية والخفة والسحر، والترك أهل الشجاعة والإقدام، والزنج أهل الصبر والكد والفرح، والعرب أهل النجدة والوفاء والخطابة والبيان.

أما التقسيم حسب الحالة الذهنية فإنه تضمن نوعين، الأول هو ذهنية أولئك الذين يتميزون «بتقرير خواص الأشياء والحكم بأحكام الماهيات والحقائق واستعمال الأمور الروحانية» كالعرب والهنود، والثانى ذهنية أولئك الذين يتميزون «بتقرير طبائع الأشياء والحكم بأحكام الكيفيات والكميات واستعمال الأمور الجسمانية» كالفرس والروم».

أما التقسيم حسب آراء الأمم ومذاهبها فمبني على أساس عقائدي مرتبط بدوره بوجود فرق (دينية) وأخرى غير دينية في نمط تفكيرها حول اشكالات الملكوت (ما وراء الطبيعة) والوجود الاجتماعي والأخلاقي، كما نراه عند الشهير ستانى.

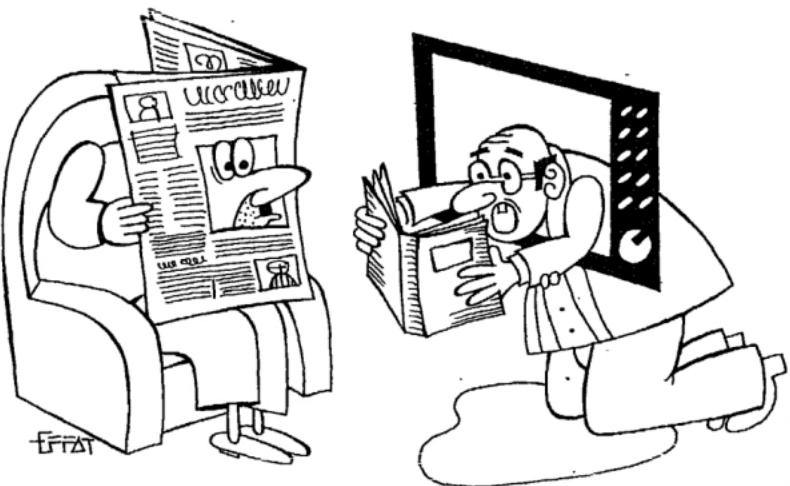
وأخيراً تقسيم الأمم حسب معيار ما إذا كانت أمة علمية أو غير علمية، كما نراه عند ابن ساعد الأندلسي في (طبقات الأمم). فقد انطلق الأندلس من أن الأمم وإن كانت نوعاً واحداً في إنسانيتها إلا أنها تميزت بثلاثة أشياء وهي الأخلاق والصور واللغات . وإن أهم الأمم الكبرى في التاريخ هي: الفرس والكلدانيون (ومنهم السريانيون والبابليون ومنهم هؤلاء العبرانيون والعرب) ثم اليونانيون (والروم والفرنجة والجلالة) وتبعهم البرجتان والصقالبة والروس والبرغر ثم القبط (أهل مصر والسودان من الحبشة والتيبة) وأجناس الترك (الكيماك والخرزوجيلان وغيرهم) وأهل الهند وأهل الصين والفرق الجوهرى بينهم يقوم بمدى اهتمام كل منهم بالعلوم الفلسفية بالأخص فالأم

العلمية ثمان وهي الهند والقرس والكلدانيون والبرتانيون واليونانيون والروم وأهل مصر والعرب . أما الأمم الأخرى فهي أمم لا تهتم بالعلم (الفلسفة بالخصوص) . فالصينيون ، كما يقول الأنجلوسي ، أكثر الأمم عدداً وأفخمها ملكاً وأوسعها داراً ، وحظهم من المعرفة إتقان الصنائع العملية وإحكام المهن التصورية . فهم أكثر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال ومقاساة التعب في تحسين الصنائع والأتراك أمة كبيرة العدد وفضيلتهم التي برعوا فيها أحرزوا خصيلتها معاناة الحروب ومعالجة آلاتها ونفس الشيء يمكن قوله عن الأمم الأخرى (غير العلمية) وأرجع الأنجلوسي سبب ذلك إلى عدم استعمال هذه الأمم لأنكارهم في الحكمة ، ولا راضوا أنفسهم تعليم الفلسفة . وبيني استنتاجه هذا على معايير ثلاثة في تقييم الأمم، الأول هو أن تناول الأمة درجات النفس الناطقة والزهد بالنفس الغضبية والثاني تعلمها وتلبيتها للفلسفة، وثالثاً موقع العلوم الطبيعية عندها . كل ذلك يكشف عن أن تعمق الرؤية التاريخية عن الأمم يتناقض مع تراكم العناصر القافية المتاغمة مع الوحدانية الإسلامية إذ لا تعني الوحدانية الإسلامية تاريخياً واجتماعياً سوى وحدة النوع الإنساني ومثالها في الواحد (الله) . إنها كالحقيقة واحدة بذاتها متنوعة بالصور والتجليات والتتنوع فضيلة في حال سعيه للخير العام وهي فكرة سبق أن بلورها القرآن في آيته «إنا خلقناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله انتم». أي أن للتعددية منظفها الطبيعي والتاريخي باعتبارها واقعاً ومنطقها ما وراء الطبيعي والمثالى باعتبارها واجباً وكل منها يعكس مستوى من الإدراك لما هي عليه الأمم، واحداً ديني (الأمة الدينية) وآخر دينوى (الأمة الحضارية).

لقد أدت منظومة المرجعيات الكبرى في الثقافة الإسلامية إلى روتين متناقضتين عن نفسها والآخرين لا استعلاءٍ فيهما ولا استكبارٍ حيث تجلتا بأسمى وجهتها في إقرارهما بتتنوع الرؤية الثقافية ذاتها عن الآخرين فجمعت التقطيسات الافتنة (الجغرافية والذهبية والإبداعية والمذهبية العقائدية) هي تقطيسات وتقييمات ثقافية . إذ لم تبحث الثقافة الإسلامية في التقطيس الجغرافي عن صفات جوهرية غير أثر الجغرافيا على الطبائع والنفس (اللون واللسان) والشراط (القوانين ونمط الحياة) ، أي عن العناصر الطبيعية والعقلية لوجود الأمم ذلك يعني أنها لم تبحث ولم تؤسس لعناصر اللاعقلانية في وجود الأمم وحتى في حال اعترافها بوجود بعض منها ، فإنها نظرت إليها باعتبارها نتاجاً لضعف النفس الناطقة ولهيمنة النفس الغضبية ومن ثم اعتبارتها صفات زائفة . وهي نظرة عقلانية وإنسانية في مساعيها وغاياتها .

حددت هذه الرؤية الاتجاه الحضاري للثقافة الإسلامية . فهي لم تقترب بتنوع الحضارات فحسب، بل وبرأت مواقفها من هذا التنوع على أساس تمييزها بالفضائل . فعندما حاولت المطابقة على سبيل المثال ، بين حضارة الأمة وخصائصها خصائصها مثل اليونان مع الفلسفة والرومان مع العمارة والفرد مع السياسة والعرب مع البيان والصين مع الصناعة والترك مع الحرب ، والهند مع العقل والشاعرية ، فإنها لم تسع في الواقع إلا لإظهار تمييزها في الفضائل ، لا يعني افتقادها لغيرها من الفضائل . إنها حاولت إظهار فضائل الأمم من خلال تأكيد تنوعها وبالتالي قيمتها بالنسبة للتاريخ الإنساني ككل . لهذا أكد أبو حيان التوحيدي على أن «لكل أمّة فضائل ورذائل ، ولكن قوم محسنون ومساوون ، ولكل منها في صناعتها كمال وتكميل » وهي صيغة تعكس قبول الثقافة الإسلامية لإمكانية تعدد الأنواع وتنوع اجتهاداتها الثقافية في ظل انتمائاتها للكل الإسلامي بمعنى إمكانية توليف «ميزات» وفضائل الأمم من فصاحة وبيان وأدب وسياسة وغيرها في كيانها الثقافي وهي تعددية وانفتاح يتساويان مع إدراك جوهيرية وقيمة الفضائل . لهذا لم تضع الثقافة الإسلامية نفسها وشعوبها فوق الآخرين ولا تحتمهم ، بل طالبت نفسها والآخرين بإدراك وتجسيد القيم العقلانية الأخلاقية للتكافؤ والمساواة .

إن إقرار الثقافة الإسلامية بتنوعيتها (وتتنوعها الداخلي) يعني أيضاً إقرارها بالعدمية الخارجية وبالتالي بإمكانية بناء حضارة إنسانية كبرى ذات ثقافات متنوعة مما يعني احتواعها على معارضه القهر الثقافي و«الهيمنة القطبية» في الحضارات إذ لا يستلزم تطور الحضارات وازدهارها بمعايير العقلانية-الأخلاقية صراعها واحتراها ، بل تنافسها في الإنسانية . لأن المعيار الحقيقي لها كما صاغته الثقافة الإسلامية في تقييمها «العلمي» للأمم حسب عبارة الأندلسي ، يقوم في «نيل فضائل النفس الناطقة الصانعة لنوع الإنسان والمقدمة لطبعه والزهد في أخلاق النفس الغضبية والتفاخر بالقوى البهيمية». إذ حتى النفس الغضبية «نظمها ومدنها السياسية» كما يقول الأندلسي ، إلا أنها نظم ومدن شبيهة بنظم ومدن التمل من حيث العدد والاتقان ولكنها تبقى «مدينة النفس الغضبية والبهيمية» لا مدينة العقل الأخلاقى ، الذي هو قوام «نوع الإنسان» أو حقيقته .



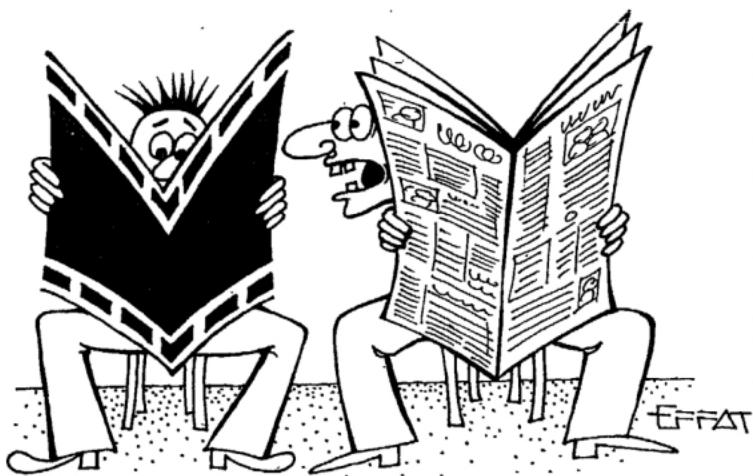
فى أعدادنا القادمة

لouis عوض
صلاح عبد الصبور
إدوار الخراط
أحمد عمر شاهين
شريف حتاته
علاه عبد الهاوى
محمد العلاوى

يكتبون
عن

محمود عبد الوهاب
فخرى صالح
عفاف عبد المعطى
كمال رمزى
شعبان يوسف
مصطفى الكيلانى
محمد كمال

مقال



الأصولية السودانية وفردوس ماركس

عبد الحميد البونس

هل يمكن اعتبار «الرؤية التوفيقية» ، التي ميزت خطاب معظم رواد النهضة العربية ، بمثابة «كعب أخيل» ، إذ لم تقم ، وهى تبحث داخل التراث ، أو فى السلطة المعرفية السائدة ، عن مشروعية ما ، بوظيفتها المفترضة : نقل تصور الإنسان لنفسه والعالم من «خارج» إلى «داخل» ، بما يسمح ، في التحليل النهاي ، بنقض المرجعيات القائمة فوق مستوى النقد ، أو بتحقيق «الحرية» ، كشرط محابيث للتقدم ، أو كجوهر لازم لتجسيد مفاهيم تبويرية جذرية مثل نسبة المطعى الاجتماعى كفعل تاريخى فى المكان(*).
مثل هكذا تيساؤل ، يفرضه تراجع مشاريع التبوير والحداثة العربية من جهة ، وتفاقم

الأصوليات الدينية «الصرحية» كأشكال مؤسساتية وبنى ذهنية فردية محافظة من جهة أخرى، واكتشاف أن أغلب منتجات المشاريع المذكورة تمت من خلال ذات مناهج الثقافة التقليدية السائدة من جهة ثالثة، ما يجعلنا ضمن تيار يواصل التفكير أخيراً في أصلالة تلك المشاريع من حيث كونها تطرح نفسها كأنساق تشكل بدائل طلابية مغايرة للوعي الكائن، فيما هي في الواقع الحال مجرد أيديولوجية أخرى، لا تفارق آليات انتاجها أدوات النظام المعرفى القائم، وتعيد إلى الأذهان ضرورة التمييز بين الهوية بوصفها واقع الجماعة المادى العملى وبين تصور الجماعة لهذه الهوية (برهان غليون)، ..

(*) على سبيل المثال، يبرز هذا الإشكال ، بصورة دالة في مقدمة قاسم أمين لكتابه «المراة الجديدة»، إذ لم يخرج في طرحه البديل لوضعية المرأة آنذاك، عن إطار المراجعات المتعالية المحددة لما هي وضعيتها السائدة، إلا على مستوى تأويل المرجعية نفسها، للأسف، قاسم أمين بلور طروحاته من خلال التبشير في أحسن الأحوال بالتصور الغربي للمرأة، لا من خلال إحداث قطيعة معرفية مع التصور السائد لها ، وهذا مبحث آخر.

وعليه ، يسعى هذا المقال ، على خلفية ملابسات الأزمة السودانية الماثلة ، إلى مقاربة خطاب الحزب الشيوعي السوداني ، من خلال توصيف وتحليل بعض وحداته الدالة، في سياقها العام، على كمون نزعته «اللاهوتية»، التي عملت ، على صعيد حركة الواقع، وبواسطة مفهوم «النموذج»، على تفريغ مفاهيم «التنوير والحداثة» كأجندة مجتمعية ذات أولوية قصوى من مضامينها العقلانية. ويعنى مفهوم «النموذج»، هنا هنا ، معالجة معطيات الواقع المتعدد بوقف تصورات «الماركسية السوفيتية»، بوصفها «حقائق نهائية»، حسبما يذهب إليه مسكوت ذلك الخطاب ما يجعله ، برغم مظهره العقلاني ، خطاباً ماضياً تابعاً ، يقيس «الشاهد» على «الغائب»، على حد تعبير «الفقهاء».

المنحي اللاهوتى المتقدم، يكشف عنه ، بصورة بالغة الدلالة، هذا المقططف ، من قرار المؤتمر الدولى التدالوى لقادر الحزب محل الاهتمام (١٩٧٠/٨/٢١) ، الذى يناقش قضية ما أسماه (قلب السلطة عن طريق العنف) (*)، إذ يقول:

يرتبط بهذه القضية قضية قلب السلطة عن طريق القوة. وهنا أيضاً لا تضييف جديداً هلاماركسية الibernية واضحة فيما يختص بالشروط الازمة لاتجاه التمرد المسلح

مادياً وسياسياً : لكي ينبع التمرد المسلح يتبعى ألا يعتمد على التأmer ، ولا على الحزب، وإنما على الطبقة الطليعة. هذا هو الشرط الأول ... فـ أ. لينين: الماركسية والتمرد المسلح) . هذه هي وجهة النظر الطبقية للأحزاب الشيوعية وهى تقيد بها . وهذا هو الموقف الذى تمسك به المكتب السياسى لحزينا وهو ينظر فى اقتراح تنظيم الضباط الأحرار بالتحضير لتفجير السلطة عن طريق إنقلاب عسكري».

(*) ثلثت الاتهامات ، برغم صعوبية الفصل ، إلى أتنا لا ننسى عبير هذا المقال إلى مناقشة المحتوى المضمنوى للنصوص محل الاهتمام ، بقدر ما ننسى ، إن أمكن ذلك ، إلى توصيف وتحليل الآليات المنتجة لهذه النصوص.

يحيل هذا النص ، عبر صياغته اللغوية الجازمة ، إلى غياب مبدأ «الخصوصية التاريخية» ، بوصفه أحد الأحجار الأساسية داخل بناء جهاز مفاهيمي تشكله الرؤية العلمية للواقع ، فمصدر المعرفة ، هنا ، وهو التأويل السوفيتى الرسمي للماركسية الليينينية ، يقع ارج التسبيبة ، في المطلق ، إذ لا يتم التعامل معه «جدلياً» ، ولا فرق ، وفق هذا السياق (هذه هي وجهة النظر الطبقية للأحزاب الشيوعية وهى تقيد بها)(*) بما بين المعنى الاجتماعى التاريخى مجال حركة الحزب الشيوعى الجنوب افريقي وذلك المعنى مجال حركة الحزب الشيوعى الفرنسي ، أو السعودى .. إلخ.

هذا المعنى ، تدعمه ماهية الآليات المنتجة له ، وهى ذات الآليات المنتجة للخطاب الالهوتى ، الذى تحكمه رؤية مانوية حادة ، حيث العالم منقسم ، بصورة مسبقة أزلية ، إلى وجهتى نظر ، متعالية وخاضعة ، فهناك ، على سبيل المثال ، آليات «النقل» / «الشرح» / «الاتباع» / «الالزام» وهى ، فى مجملها ، دوال ، أو شواهد ، على معرفة «قبلية» ، وليس «بعدية» قائمة على التجريب والمقاربة النقدية لمعطيات الواقع.

ويمكن القول ، بكلمات أخرى ، إن النص ، فى علاقه اشتباكه اللاجدلية مع «النص الليينى» من جهة و«اقتراح الضباط الأحرار» من جهة أخرى ، عمل استخدام المنتج الليينى المشروع ، بسياقه الاجتماعى التاريخى ، كما نج للشرعية الاجتماعية السياسية الواقع السودانى ، بدايات حكم المشير جعفر نميرى (١٩٨٥-٦٩) وبقبيل إعدام عبد الخالق محجوب السكرتير السابق للحزب محل النظر والاهتمام (٢٨ / يوليو ١٩٧١).

(*)تسويد النصو موضوع هذا المقال من عندي-الكاتب.

لقد قادت عملية إنتاج المعرفة، على هذا النحو «الابتعادي» إلى إحداث اختلال جوهري في وعي هذا الخطاب ، بالوظيفة الاجتماعية والأيديولوجية لمفهوم «الحزب»، في المجتمعات ال拉أسمالية»، بمعنى الليتيتى نفسه، فبعيدةً عن الاتفاق أو الاختلاف حول مفهوم الطبقة الطليعة في السودان كبلد زراعي -دعوى بامتنان، إلا أن التعويل على هذه الطبقة في تحركها ذاتيا ، (لكي ينجح التمرد المسلح) ، ب الرغم تخلفها التاريخي ، ينفي تلك الوظيفة المرجعية المعتمدة لدى الخطاب محل الاهتمام بلأنقد ، ألا وهي جلب الوعي إلى الطبقة صاحبة المصلحة في التغيير من خارجها نتيجة ذلك التخلف؟!

هذه النزعة «اللاهوتية» التي تسببت ، ضمن عوامل تاريخية أخرى ، مثل التعليم البنكي «Banking Education»، كان لأبد ، ايثما يكتمل النسق الميتافيزيقي الدال عليها، من رسم فردوس مرتجي ، يعطى للخطاب قوته الدافعة ، سواء على مستوى المؤسسة والأفراد الحاملين له كعقيدة ، أو على مستوى عمليات الاستقطاب الدائرة في حقل الصراع الاجتماعي والأيديولوجي العام ، ويعمل من جهة أخرى على استمرارية ما يمكن أن نطلق عليه تعبير «الإيماء الطليعي»، من حيث كونه فردوس متحقق عيانياً. ما وسم هذا الخطاب ، على صعيد تجلياته التاريخية ، بطابع «التبشير»، في حقل يضم مجتمعات متخصمة بالمعتقدات بالنموذج السوفيتى للماركسيـة ، الذي يبدو ، في كتاب عبد الخالق محجوب «الماركسيـة وقضايا الثورة السودانية»، وهو في الأصل تنص التقرير المقدم إلى مؤتمر الحزب الشيوعي السوداني الرابع (أكتوبر ١٩٦٧) بوكاته أدلة الخطاب محل الاهتمام وموضوعه في أن «من ذلك:

«إن ظهور (النظام) الاشتراكي كتقييض تاريخي للنظام الرأسمالي وتطوره (الهائل) هو (مكتسب ثوري) لعمال وشعوب (العالم) أجمع (ويوفر) إمكانيات النمو (اللاحق) للحركة الاشتراكية والتحررية العالمية».

(*)التفويس من عندي - الكاتب.

لكن هذا الطابع «التبشيري»، لم يتجل ، كما يوضح النص السابق ، على نحو صريح ، يكشف تهاجمه وإنما تبدي بوق المعلن دائمـا ، خلف ستار كثيف من العقلانية الزائفة ، وهي عقلانية قوامها: استخدامـا بالغ التعميم لا يتجاوز الدوال إلى مدلولاتها على الصعيد

المطلي للجهاز المفاهيميي للماركسية كرؤية بديلة تناقض في جوهرها مختلف وضعيات الاستغلال . تصخيم المنجز السوفيتى المادى على نحو دعوى « والإيحاء » بوصفه نمو نظام ثان من المعانى حسب بارت بحتمية إتباع التصورات السوفيتية كطريق وحيدة لبلوغ (الفردوس الاشتراكي).

هكذا ،مرة أخرى ،حال هذا الاشتغال الاجدى ،ما بين الخطاب محل الاهتمام وهذه التصورات دون إدراك التحولات الجذرية ،التي كانت تتم داخل بنية ذلك الفردوس العياني صوب(الانهيار) بحيث ظل الخطاب يردد نعمته التبشيرية الحالة ،حتى قبيل إعلان(البروسترويكا) ،مؤكداً فى إحدى وثائقه الداخلية بيقين لا يتسلل إليه الشك خلال العام ١٩٨٧ على أن « المنظومة الاشتراكية حققت تقدماً ملماوساً جميع فروع الشاطئ الإنسانى وانعكس (ذلك) فى تحسين ملموس لشعوب بلدانها اجتماعياً ومائياً وروحياً . وهو، كما نعلم، ما نقضته واقعات الانهيار المشار إليه ، بقسوة شديدة ، لا تزال صدمتها سائنة وسط أعداد كبيرة من اتباع الأيديولوجيين ، الذين رفض أغلبهم التسلیم بما جرى دون إدخال مفهوم المؤامرة إلى مسرح الأحداث ،كأن يكون غورباشوف أحد عملاء وكالة الاستخبارات الأمريكية « السريين »؟!

إن اعتماد هذا النهج اللاهوتى ،فى مقاربة معطيات الواقع السودانى ، لم يقتصر فى ختام التحليل ،على شقىه الاتباعي والتبشيرى فحسب وإنما تدها ،كما تكتمل الدائرة وعلى نحو سافر إلى وضع النمودج ،أو الفردوس الاشتراكي القائم ،فى موقع (المقدس)، بما لزم ذلك من حماية تجاهه نقه ،أو المساس بحرمه ، بملابسنة لا تفتقر إلى العنف المادى داخل حقل الصراع الأيديولوجي أحياناً.

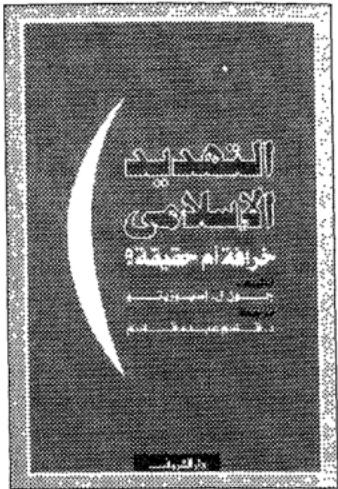
حاولنا خلال المقال قدر الإمكان تجنب استخدام هذه الأداة الأيديولوجية (إن) . يبرز هذا الملمح ، بشكل دال ،خلال سبعينيات القرن الماضى ،حين أصدر كارييللو أحد قيادات الحزب الشيوعى الإسبانى كتابه الهام « الشيوعية الأوربية والدولة » حيث أوضح فيه ،كشاهد عيان ،إذ عاش حوالي أربعين عاماً متقدماً فى الاتحاد السوفيتى بعد الحرب الأهلية الإسبانية(١٩٣٦) مدى تكلس التجربة السوفيتية ،وصيرورتها دوغماً ، بل ولا فاعليتها حتى داخل خصوصيتها التاريخية ،ناهيك بالتألى عن ضرورة تعميمها على صعيد عالمي . آنذاك زراء كارييللو ،التي أثبتت التاريخ دقة أحكامها النقية لاحقاً إلى

عدته اللاهوتية ذات الصيغة البلاغية القديمة «منافحة».

«لو بعث تروتسكى من القبر لما عبر عن أفكاره بهذا الفصاحة وقد يز كاريللو غلة التروتسكين المعاصرين فى صياغة الفكر التروتسكى الموجل فى الذاتية النابعة من الهزيمة الماحقة التى سحقت جنوره وثماره على يد لينين والبلاشفة».

تقليدية هذا النص ، لا تتوقف عند حدود امتداده ، على قصره ، بالاستعارات والصفات وأحكام القيمة المجانية والثانية المذهبية داخل حقل معتقد واحد ، هو حقل النظرية الماركسية ، كما لا تتوقف عند استعارة التكنيك اللاهوتى فى بيان العاقبة على مستوى الاختيار والسلوك ، حيث يتوعد النص المارقين ، من خلال مفهوم «العبرة» بما أسماه «الهزيمة الماحقة» ، فحسب ، وإنما تتجاوز كل ذلك إلى عملية تشکيل المعنى نفسه ، فهو جملة واحدة ممتدة من البدء إلى المنتهى ، مسار قدري بامتياز ، تغيب داخله الفواصل أو النقط أو علامات الترقيم ولا تتخalle وقوفات ، أو جمل اعتراضية ، توضح نسبية الفكر وتدرجاته وتعقيده وحرakan انتاجه الجدلی ، فالمنهج اللاهوتى المستخدم هنا ، أى بوصفه رؤية مسبقة للعالم ، لم يضع ، فى صدارة اهتماماته ، وهو يقارب آراء كاريللو المفارقة ، سوى إعادة اعتبار المقدس ، كمفاهيم ومقولات قبلية واقعة فوق مستوى النقد.

من جهة أخرى ، يكشف ذات النص ، إذا استخدمنا بعض المصطلحات الإعلامية المتداولة ، عن ماهية «القائم بالاتصال» الذى يدرك هنا ، وعلى نحو مسبق ، أن رسالته ، لاستهدف وصف وتحليل آراء كاريللو ، بما يسمح ، فى المحصلة النهائية ، بعرض معالها الجوهرية ، وفقاً لما يمكن أن نطلق عليه تعبير «ديمقراطية الكتابة» ، أو «جدلية المعرفة» ، فهو يؤدى وظيفته لا كقائم بالاتصال ، بل للبوابة » ، كحارس للبوابة ، يقوم بمهام توجيه الجمهور المستهدف لـ«قطيع» ، أو تأمين مصدر المعرفة الوحيد للأفراد حوامل الخطاب محل الاهتمام كعقيدة من تسلل معارف « Dixille » ، قد تزرع بنور الالاتناع بينهم ، وليس من بين الآليات المنتجة لها «الاتباع» ، أو «الركون إلى المسلمات» بائنة حال؟!.



جون إسبوزيتو

التهديد الإسلامي: خرافة أم حقيقة؟

ترجمة: الدكتور قاسم عبده قاسم عرض: أحمد علي بدوى

هل هناك تهديد إسلامي؟ إذا كان المعنى أنه يمكن أن يكون هناك تهديد عربي أو تهديد يهودي مسيحي فالإجابة نعم . فالإسلام مثل اليهودية والمسيحية قدم طريقاً للحياة وهدى به حياة الكثيرين ، إلا أن بعض المسلمين مثل بعض المسيحيين واليهود قد استغلوا أيضاً دينهم لتبشير العداون وال الحرب وإضفاء الشرعية عليه ، وكذلك الغزو والاضطهاد في الماضي والحاضر.

"أدب ونقد"

جون إسبوزيتو استاذ بجامعة جورجتاون الأمريكية ؛ يدرس بها مادتين، قد تبدوان متباليتين... ولكن الحياة ما فتئت تثبت لنا ان الإمام بهما معاً كان أهم ما يلزم المفكر المهم بقضائياً عصرنا، فاحداهما هي الفكر الديني، والأخرى هي الشؤون الدولية! وتعرف عنه أعماله العلمية التي استهلها، سنة ١٩٨٠، بـ"بإشرافه على تحرير مؤلف جماعي بعنوان "الإسلام والتنمية : الديانة والتغير السياسي الاجتماعي Islam and Development : Religion and Change Sociopolitical" بعنوان "الإسلام في تحول : افاق مسلمة" Islam in transition : Muslim perspectives" صدر في نيويورك سنة ١٩٨٢، وفي السنة التالية استقل بالإشراف على تحرير مؤلف جماعي آخر هو "أصوات الإسلام المتبعث" Voices of Resurgent Islam ، ثم أصدر سنة ١٩٨٧ مؤلفه "الإسلام في آسيا : الدين والسياسة والمجتمع" Islam in Asia : Religion, Politics and Society ، وفي سنة ١٩٩٠ أشرف على تحرير مؤلف جماعي رابع بعنوان "الثورة الإيرانية : وقوعها الشامل" its Global Impact ، ثم شارك جون فول وآيفون دناد بالإشراف على مؤلف جماعي خامس هو "الإحياء الإسلامي المعاصر" The Contemporary Islamic Revival : A critical Survey and Bibliography ، صدر سنة ١٩٩١ ، وهي نفس السنة التي شهدت ظهور الطبعة الثالثة من مؤلفه "الإسلام والسياسة" Islam and Politics والطبعة الموسعة لمؤلفه "الإسلام" Islam ، ثم في سنة ١٩٩٢ أصدر جون إسبوزيتو كتابه The Straight Path : The Straight Path . Islamic threat : myth or reality

وقد قدمنا عرضاً للطبعة الثانية (نيويورك - أوكتوبر ١٩٩٣) من الكتاب الأخير في مجلة "آخر ساعة" القاهرة على امتداد خمسة أسابيع بدءاً من عدد ١٠ أكتوبر ٢٠٠١، وذلك استمراراً لللتزام بطارأساسي هو، من حيث الموضوع، يحيط بالتراث الشرقي في مطانه الأصلية منظوراً في مرآة المراجع الغربية، على أن يستهدف الشكل الكيف لا الكم، إذ يتنظم، في بلوغه القراء، صفات "أدب ونقد" أو ما لا يقل عنها تماماً، شأن "رسالة المشرق" (دورية مركز الدراسات الشرقية بكلية أداب جامعة القاهرة). ييد أن المجالات السيارة قد تؤدي، بفضل "انتشاريتها" إذا صح التعبير، شيئاً من الغرض.

وليس من بين ما يمكن أن يرضي الباحث ما يفوق ظهور اكمال تطبيقي لمجهوده بقلم مشهود له بالرفقة، وهو ما تم في نوفمبر ٢٠٠١ إذ صدرت ترجمة الأستاذ الدكتور قاسم عيده قاسم لأحدث طبعة للكتاب (نيويورك - أوكتوبر ١٩٩٩) إلى العربية بعنوان "التهديد الإسلامي" : خرافة أم حقيقة؟، وإذا كان الرضا الأمثل وليد فضل الباحث نفسه في ذلك التضليل؛ فإن ما يسمى بتوارد الخواطر يتلخص الصدر أيضاً؛ لأنه مؤشر على عاقية ذهنية ووعي فكري تتمتع بهما بینتنا الثقافية ولا ينتظر، من كيان حضاري في عظمة مصر، ما هو دونهما.

وكتابات إسبوزيتو، بشهادة كثير من الباحثين العرب وغير العرب، تتسم بالحياد والموضوعية، وهو يستحق التقدير بكل من المقاييس الكيفي والكمي؛ فهو حين يتصدى

لت disillusion ظاهرة ما يفعل ذلك بناة ودقة وانصاف، وفي الوقت نفسه يثري قارئه بكثير من البيانات والمعلومات العامة، وهو في هذا الكتاب - الممتد على إحداثيين : رأى يصل الماضي العريق بالحاضر المتعدد، وأنقى يتيح مسحا شاملًا لكل المناطق التي تعيش فيها الان من المسلمين أغليان أو أقليةات - يجمع بين تأمله في تماثل المسيحية بالاسلام أو تباينها عنه، وفي حركة دول عدم الانحياز، وفي مشروع عبد الناصر التاريقي، وفي الاسلام في أفريقيا، وفي الحركة الأدبية لكتاب العرب المسيحيين، وفي دخن المسلمين للرأسمالية، وفي الصراع العربي الاسرائيلي ، وفي حركة شباب مالابيزيا، وفي الحرب الباردة، وتنرى في سطورة أسماء "الإمام محمد عبد" و"السلطان عبد الحميد الثاني" و"الإمام على بن أبي طالب" وـ"منظمة أمل" وـ"عیدی أمین" وـ"کمال انتورک" وـ"قاسم أمین" والمفكير الفرنسي "ريمون ارون" وـ"ابن رشد" وـ"ابن سينا" وـ"أبو الحسن بنی صدر" (أول رئيس لنجمهورية ایران) وـ"الرئيس السوداني عمر الشیشیر" وـ"مهدی بازرگان" (رئيس حکومه ایران بعد الثورة) وـ"الرئيس التونسي زین الدين بن علي" وـ"المفكر مالک بن نبی وـ"بنیظیر بوتو" وـ"ذو الفقار على بوتو" وـ"بوكاسا" وـ"الحبيب بورقيبة" وـ"الرئيس الامريكي الأسبق جورج بوش والأسبق عليه جيمي كارتر" وكثير غيرها من الأسماء.

يقوم المؤلف باستقصاء للاصول التاريخية للإسلام بهدف أن يعرف بها عوام القراء في الغرب، أولئك الذين لا يعرفون عن المسلمين سوى انهم جماعة من المتظاهرين يهتفون "الموت لأمريكا" او يرفعون شعارات الابادة باسم العقيدة، ولكن اسبوبيته يمهّه أن يذكر هؤلاء القراء بأن رجالاً ونساء من كل الأعراق والأصول والطبقات الاجتماعية والخلفيات الثقافية في كل أنحاء العالم وعلى مر كل العصور قد وجدوا في الإسلام يقيناً أغنى حياتهم وغير منها، وأدمهم بمعنى الكلمات مثل "الجماعة" وـ"التضامن" وـ"المسالمة". ومن ثم فقد خصص جانباً من الكتاب لعرض تاريخي يبدأ من نشأة الإسلام الأولى - حيث رجع إلى صحائف السيرة النبوية، كذلك التي أملأها ابن إسحاق - ثم يمر بعصر الخلفاء الراشدين وتكون الدولة الإسلامية على انقضاض امبراطوريتي الروم والفرس، ويختتم بتاريخ موجز للأمپاطورية العثمانية.

كذلك قد ألقى المؤلف الضوء في مواضع كثيرة من كتابه على كفاح المسلمين في الهند، ومنهم احمد خان (١٨١٧ - ١٨٩٨) الذي كرس حياته، والاحتلال البريطاني في عنفوانه، لخلاص طائفة مسلحي الهند؛ وكان له هدفان : أن يقوّي عود تلك الطائفة المنكسرة المندحرة، وأن يؤكد لسلطات الاحتلال أن الإسلام لا يشكل تهديداً للمصالح البريطانية، وفي الوقت نفسه كانت جهوده للتصدي موزعة على جهتين : علماء الدين الذين أذكروا على البريطانيين أي صفة مغايرة لصفة "اداء الإسلام"، والبريطانيين أنفسهم الذين لم يعتنوا بال المسلمين الا على أنهم خطر سياسي متصل بحكم عقيدتهم ذاتها، ولم تفلح حجج احمد خان التي ساقها للاتفاق بان المسلمين داخل دولة غير مسلمة أقرب إلى الاحتراط ضمن القوى المعاملة منهم إلى أي توجه آخر، في حين أن معاصريه وأبناء دينه أدانوا وبالغته في مهادنة الغرب ؛ حتى أن الأمر بلغ به قبول لقب "مير" من الملكة فيكتوريا.

وإذا كان اسيوزيتو قد ربط بين احمد خان وجمال الدين الأفغاني بحكم تزامنهما واهتماميهما الواحدة بمصير امتهما الإسلامية مهما كان الطريقان متباينين ؛ فإنه قد ربط نفس الاسباب بين طه حسين ومحمد اقبال (١٩٣٨ - ١٨٧٥) الذي كان هو الآخر تحديثياً في دعوته إلى الإصلاح، كما جمع بين ثقته تعليماً تقليدياً وتحصيله معرفة وثقافة بالغرب : كان قد درس في كل من إنجلترا، التي نال منها شهادة في القانون، وألمانيا التي درس فيها الفلسفة ونال منها الدكتوراه وفي الهند عمل بالمحاماة ولكن له دخل التاريخ باشعاره الفلسفية، وقد عرف عنه رأيه في ضرورة استيعاب الصحوة الإسلامية للمنجزات الفكرية الأوروبية. وكان يقول ان المسلمين في أيامه يعيشون حقبة كتلك التي شهدت في أوروبا الإصلاح البروتستانتي وإن اضاعة فرصة الإلقاء من دروس التاريخ حين يجلو صورة مارتن لوثر امر يوسف له. وقد اراد اقبال للMuslimين ان يعيثوا من جديد كامة قوية لا ان يبقوا في كتف مجتمع اكابر كاذبة مستكينة ؛ ومن ثم كان اقرب إلى الأفغاني منه إلى احمد خان.

و عند اسيوزيتو ان التحديث الإسلامي، وإن بدا أساساً حركة ذهنية، قد كان له تأثير كبير على الجماهير التي امست تتصدى للغرب من موقع استعادة أمجاد الماضي ؛ وبذا ضخ الدماء في عروق نضال الشعوب ضد الاميرالية.

وكأن اسيوزيتو قد افتتح كتابه بتحديد معنى "الأصولية" Fundamentalism، فذكر ان المصطلح ليس مقصوراً في استخداماته على الإشارة إلى نهج المسلمين المتشددين وحدهم، ولكنه أصلاً يتسع ليشير إلى كل تمسك بحرافية ديانة ما أيا كانت تلك الديانة، بل انه سرطان في ذهن النصف الغربي يأخذ حركات العقيدة المسيحية في القرن العشرين، و بذلك فإن جون اسيوزيتو يؤثر منذ بداية الكتاب أن يعتادقارئه مصطلحاً بدلاً هو "الاحياء الإسلامي" Islamic revivalism أو اخر هو "النضالية الإسلامية" Islamic activism، وكل منهما أكثر ارتباطاً بطبيعة الإسلام وتاريخه. وإذا كان جون اسيوزيتو يدقق في اختيار المصطلحات وتحديد مقاumiها عن وعي بما عرف دائماً عن الإسلام من الاخذ بتقليدي "التجديد" و"الإصلاح" فإنه لم يغفل كون مفاهيم التطور في احياء عالم ما سوى الغرب، بما فيها المناطق التي ضمت المجتمعات الإسلامية، قد شملت بلا شك "العلمانية" و"الاقتداء بالغرب"، على أنه يرسد أيضاً تغييراً طرأ على تلك المفاهيم منذ بداية سبعينيات القرن العشرين، فزعامت تلك المناطق، سواء في الأنظمة الحاكمة أم على رأس حركات المعارضة، باتت تحنكم إلى الإسلام كمرجعية في السياسة وليس في التشريع فحسب، ليس لأنها كان غالباً ظهر فجأة، ولكن، في تحليل اسيوزيتو، لنجاح التوسيع بمنظومة للمفاهيم الذهنية كانت دائماً ماثلة، وقد تبليغت موقف تلك الز عمارات من قطب الاميرالية الغربية : الولايات المتحدة الأمريكية ؟ فمنها ما انجر إلى تحالف معه وثيق، شأن العربية السعودية وباقستان، ومنها ما عاداه بلا هواة شأن ليبيساً وليران.

ويسترسل المؤلف في توصيفه للنموذج الإيراني، مشيراً إلى ما سمي بتصدير ايران للثورة، وفي تحليله ان تصدير الاسلام الثوري قد نبع لدى الخميني من منظور ايديولوجي عام هو تفسير للإسلام يجمع بين أحد نباتات القومية الإيرانية ديني الجذور وبين يقين بأن مهمـة المسلمين هي نشر الاسلام بالموعظة وضرب المثل الأعلى ،ولكن أيضاً بالثورة المسـلحة.

و قبل التعرض لمصر كنموذج لتربيه انتجت نباتات مناظرة يمر إبوزيتو بردود الفعل باسم الإسلام في بلاد الشرق التي تكتب بغيرات المحتلين، والحركات القومية التي تأثرت بمحمد بن عبد الوهاب في شبه الجزيرة العربية وبالمهدى في السودان وبالسنوسى في ليبيا وبالقولى في نيجيريا وبجاجى شريعة الله في البنغال وباحمد بزلوي في الهند ويجمال الدين الاقطانى في مصر والدول التي جال بها.

ومن المناسب في هذا الموضع الإقسام لتحليلات جون إبوزيتو للكفاح السياسي الذي استظل في مصر بالاسلام، وبوجه خاص رصده لمسيرة كل من حسن البنا وسيد قطب؛ فعنه ان حسن البنا زعيم الاخوان حتى مقتله عام ١٩٤٩ ، ما كان توجهه السياسي إلا صوب مبادىء الاسلام الاولى. وانه إذا كان قد أدان الغرب، مثلاً فعل معاصره أبو الأعلى المودودي، فائضاً لأن تلك المبادئ تأبى ما في الغرب من استعمار أحمر (أي الشيوعية)، ولكن أيضاً من استعمار أبيض (أي الرأسمالية، والتبريران لجون إبوزيتو). ولإبوزيتو هنا "تاريخ" جدير بالاعتبار : فهو يرى أن جماعة الاخوان المسلمين بعد مقتل حسن البنا وإن ظلت في الظاهر نفس التنظيم، انقسمت من الداخل إلى فصائل متعددة، وأن استراتيجية الاخوان السياسية عدت، بفعل ذلك الانقسام، غير محسومة؛ تتباين بين انماذجين متقابلين: التطور والطفرة؛ وهذا لأنه بعد وفاة حسن البنا لم يتقنع زعيم مفرد بنفس سلطته؛ فخلفته في منصب المرشد العام، وكثرة من الاخوان معه، بقوا على حذر من مواجهة مباشرة مع النظام، وأغلب رجال الحرس القديم، عن وعي تام بسيطرة الدولة، أثروا احداث التغيير عن طريق الموعظة والفعالية الاجتماعية. بينما استمال خطاب سيد قطب أفراد جناح أشد نضالية، وبوجه خاص المتذمرين من الشيوعية.

وقد بز سيد قطب في الخمسينيات كصوت رئيسي لجماعة الاخوان وكاشد منظريها تأثيراً على الاطلاق : كان التزامه وذكاوه ونضاليته وأسلوبه الأدبي ** قد جعلاه مؤثراً على نحو خاص في سياق تصادم متزايد بين الجماعة ونظام حكم قمعي. وما جرى من تحوش الحكومة بالاخوان في سنة ١٩٥٤، على اثر محاولة اغتيال عبد الناصر، وسجن سيد قطب وتعذيبه لما نسب اليه من تورطه في تلك المحاولة، لم يزد الرجل إلا راديكالية ولا وجهة نظره الا حدة وتصادمية. وخلال عشر سنوات من السجن، داخل ما يشهيء معسكر الاعتقال، كتب بزيارة مستكلاً اجزاء تفسيره للقرآن "في طلال القرآن" وأيضاً أهم كتاباته السياسية في الاسلام العقادي تأثيراً: "معالم في الطريق" وقد بات فكره انذاك يعكس رؤية ثورية جديدة هي وليدة سنوات سجنه وتعذيبه الطويلة.

رأى سيد قطب العالم الذي تحاول الحركات الاسلامية أن تحد نفسها فيه مكاناً عالياً تسوده مجتمعات غير اسلامية وتحكمه حكومات قمعية، والمجتمع راه مقسماً إلى معاشرتين لا ثالث لهما: حزب الله وحزب الشيطان: أولئك المستعمسيكين بشرع الله والآخرين المناهضين له. والحركة الاسلامية هي قلة من الصديقين يريد بحر من الجهل والجهالية أن يجرفها، وقد نسب إلى الجاهلية مجتمعات الدول الاسلامية وحكوماتها لأنها في الحقيقة ملحدة أو كافرة. وهذا استخدم التوصيف التاريخي الكلاسيكي للحقيقة السابقة، تاريخياً، على الإسلام لادانة المجتمعات الاسلامية بانها غير اسلامية أو ضد الإسلام. والسبب، عند سيد قطب، في انها كذلك هو أن العالم الذي محوره الله قد أحل محله آخر محوره الادمي. وأكد سيد قطب على تشنئة طليعة : جماعة من المسلمين المخلصين، في قلب المجتمع الأوسع الذي هو فاسد ولا ايمان له.

وقد تأسست سيد قطب بن انشاء نظام اسلامي للحكومات هو مبنية على، وبالتالي فهو ليس خياراً ولكن قضاء. وخلص سيد قطب، من اعتباراته الواقع الأفعال السياسية على بدء الأنظمة السنطوية الإسلامية. إلى أن حماولات القيام بتغيير من داخل الأنظمة السياسية الفرعية انساندة في الدول الإسلامية هي حماولات عقيدة. وأن الجهاد هو السبيل الوحيد لترسيخ نظام اسلامي جديد. أصبح الجهاد كتضليل مسلح يدفع عن الإنسان الظلم هو الذي يشار لصادقي الإيمان إليه كمخرج من الأزمة الراهنة، وقد وقف الإسلام على حافة انكاره، تهدده الحكومات المناهضة له وقوى الاستعمار الحديث؛ وأي من المسلمين رفضت المشاركة أو المترددين عليهم أن يعودوا ضمن أعضاء الله. وباتت صيغة سيد قطب نقطة البدء للكثير من الجماعات الراديكالية. وهكذا تعايش الخياران: التطور، وهو وسيطة تركز على التغيير الثوري للمجتمع من أدنى إلى أعلى، والثورة: الإطاحة عن طريق انعكاس بتنظمة الحكم (غير الإسلامية) السادنة. هذان طريقان، شبيهان بالتأمين، تستشر فهما حركات الإسلام السياسي.

و عند سيد قطب أن الغرب هو عدو الإسلام والمجتمعات الإسلامية التاريخي والمتأسلم، وهو خطر سياسي وثقافي ديني في نفس الوقت؛ وخطورته الجلية والحالية ناجمة لا عن سلطنته السياسية والعسكرية والاقتصادية فحسب، ولكن أيضاً عن قبضته على النخب المسلمة التي تحكم وتوجه بمقاييس اجنبية تعرض هوية مجتمعاتها وروحها للخطر. بل إن سيد قطب كان أكثر تماديًّا من مقتنياته اللاحقين حين أعلن نخب الدول الإسلامية وحكوماتها ملاحدة ينبغي على كل المؤمنين أن يشنوا عليها الحرب، حرباً تكتسب صفة القدسية من هذا الاسم : "الجهاد".

وفي سنة ١٩٦٥ قامت الحكومة المصرية على نطاق واسع بعمليات قمع ضاربة استهدفت الإخوان المسلمين إذ اتهموا، من جديد، بتدبير مؤامرة أخطبوطية على حياة عبد الناصر وعلى نظام الدولة ، واعتقل منهم الآلاف وعنوا، بينما في الآخر من إلى خارج البلاد أو أصبهوا، بالاصطدام المعروف في دوائر الكفاح السياسي، "تحتبن". أما سيد قطب فقد مات، مع من ماتوا، على المشنقة بعد اتهامه بتزعم تلك المؤامرة التي قال عنها جيل كبييل سنة ١٩٨٦ في كتاب له عن "الطرف الإسلامي في مصر: النبي وفرعون" (وقد ترجمة أحمد خضر إلى العربية بعنوان "النبي والفرعون". الناشر : مكتبة مديولي سنة ١٩٨٨). إن ما سمي بمؤامرة الإخوان المسلمين الجديدة قد أتى ك بشفاء منوجيا من شأنه أن يمكن الزعيم من أن يعيد توحيد الشعب خلفه". (والقرفة مأخوذة من النص الإنجليزي لكتاب اسبروزيتو الذي يومن على كلام كبييل قائلاً إن الذين تأمروا من بين الإخوان لقلب نظام الحكم قد أدوا عبد الناصر بوسيلة ملائمة يحول بها الانتباه بعيداً عن مشاكله المحلية والدولية).

وفي ظرف خمس سنوات من اختفاء سيد قطب، وتشتيت الإخوان، فوجئ أولئك الذين ظفوا أنفسهم عليهم بخفايا الحركة فأعلنوا هامة برؤية العناقاء تتبعـثـ من رمادها، ولدهشة الكثريـنـ غداً خليفة عبد الناصر في رئاسة مصر، وهو أنور السادات نائب رئيس الجمهورية حتى موته عبد الناصر في سنة ١٩٧٠ ورفيق كفاحه، والذي كان عضواً بهيـاتـ المحاكمـ التيـ أدانتـ الإخـوانـ المسلمينـ، راعـياًـ لـابـتعـاثـ مصرـ الإسلاميـ، فـردـ لـجماعـةـ الإـخـوانـ اـعتـبارـهاـ وأـسـبـغـ عـلـىـ التـنظـيمـاتـ الطـلـابـيةـ الإـسـلامـيـةـ رـعـاـيـةـهـ.

وبعداً من سنة ١٩٧٠ أخذ الإخوان المسلمين يعيدون بناء التنظيم، معتقدين عن وعي سياسة اصلاح معتدل في ظل حكم الرئيس السادات. وكانت صورتهم أصلاً في آذان الكثيرين كتلك التي لفول من رجال مسنين مهزومين مذعورين. وإلى حد ما بدت هذه الرواية صحيحة في أوائل أيام السادات. وقد أنسنت الحكومة علاقة عمل مع المرشد العام للأخوان المسلمين، عمر التيساني، الذي كان السادات قد أطلق سراحه. أما الجماعات الراديكالية فقد رأت قيادات الإخوان أن انكسارها تحت وطأة تجربة السجن هو الذي أغوى الحكومة باستئصالها. وفي الحقيقة إن الفصيل المعتدل من الجماعة هو الذي تغلب بينما كون الأعضاء الأصغر سنًا، وقد دفعتهم تجربة السجن نحو الراديكالية ومثلت تفسيرات سيد قطب الحرافية والنضالية الهالما لهم، جماعات سرية تحية منها هو الإطاحة، عن طريق العنف، بالنظام. وقد توصلت الجماعة إلى تعايش سلمي مع حكومة السادات. وفي حين أنها ظلت غير معترف بها كحزب سياسي فإنها تمكنت ثانية من العمل في العلن: تنشر رسالتها وتتصدر المجالات وتشي مؤسسات مالية وأخرى للشئون الاجتماعية. وقد عاد عندد الإخوان المسلمين الذين بقوا طويلاً تحتبيث، وأولئك منهم الذين قضوا سنوات في المنفى، ليعلموا مرة أخرى إلى جانب زملائهم الذين أفرج عنهم من السجن، واستمرروا في استقطاب أعضاء جدد من بين رجال الأعمال والموظفين والأطباء والمهندسين والمحامين الذين ترجع جذورهم الاجتماعية إلى الطبقة الوسطى أو ما يدنوها. وتدفق التمويل من "الإخوان" الذين يعملون في بلاد النفط الغنية، مثل دول الخليج والعراق، ومن رعاة مثل العربية السعودية. وفي حين أن الجماعة لم تلتزم الصمت فإبانها خافت من نقدتها للحكومة، مشددة على التعاون. وتحاشت قيادة الإخوان باستمرار العنف والتصدام وجهرت بانتقادها للجوء الجماعات الراديكالية إلى العنف. وإذا كانت الفترة الممتدة بين سنتي ١٩٥٤ و١٩٦٥ قد تميزت بتصادمات متتالية ومجايبة لنظام الحكم بالعنف؛ فإن الإخوان المسلمين في الحقبة اللاحقة لعام ١٩٧٠ قد مروا بتحول لا مراء فيه؛ من حازين بوضوح إلى أسلوب التغيير السياسي الاجتماعي عبر سياسة اعتدال ودرج تقبل التعديلية السياسية والمديمقراطية البرلمانية، وداخلين في تحالفات سياسية مع أحزاب وتنظيمات سياسية لادينية وبالمثل مقررين حقوق الأقليات. وحتى في أواخر السبعينيات، عندما استشعروا حنق السادس من جراء تزايده استقلاليتهم (استكثارهم باتفاقيات كامب دافيد وتعديلات قانون الأحوال الشخصية، وشجبهم المزير للولايات المتحدة وإسرائيل)، فإنهم واصلوا رغم كل شيء التزامهم بخط جماعات الضغط والنقد. وجماعة الإخوان المسلمين، وإن أبدت تحفظها مع انشغالات الجماعات المتطرفة، فإنها ظلت صامدة في إنكارها للعنف والارهاب وبقيت بدقة بالغة داخل حدود القانون المصري.

على أن جون أسيوزيتو يرى أن الجماعات المتطرفة التي تحدت سلطة السادات في أوائل عهده، ومنها تنظيم الجهاد. هي التي استرعت القدر الأكبر من الاهتمام؛ فقيادات تنظيم الجهاد، وما هو إلا استئناس لفول تنظيم سابق أعدم زعماؤه بعد إحباط مؤامرتهم التي عرفت باسم قضية الفنية العسكرية في سنة ١٩٧٤، قد تكونت، هي و غالبية أعضائه، من شرائح من فئات المجتمع المدنية والعسكرية والدينية، وجمعت بين رجال من أفراد الحرس الجمهوري والمخبرات العسكرية، ومن الموظفين والعاملين بالإذاعة والتليفزيون، وبين جامعيين أساتذة وطلاباً.

وقد نطق بميرات اعمالهم منشور عنوانه "الفرضية العائبة" حرره أحد المنظرين لهم هو أصلًا، بحكم مهنته، كهربائي. وقد جاء فيه أن الجهاد هو السادس من أركان الإسلام وأن الكفاح المسلح قد كتب على جميع المسلمين المخلصين حتى يداوا مجتمعًا فاسدًا، وأن ساحة الجهاد الأولى يجب أن تشهد القضاء على الكفرة من الحكام، فتلك هي نقطة البداية. وإلى جانب تنظيم الجهاد وجدت تنظيمات أخرى، حملت أسماء من قبيل التكفير والهجرة" و"الناجون من النار". لم تجد وسيلة للنضال السياسي سوى العنف والإرهاب. وكما قال روبن رايت في كتابه السخط المقدس: حقن الإسلام النضالي "فإن "اغتيال أنور السادات، واحتجاز الرهان في لبنان، وحوادث اختطاف الطائرات، كل هذا يجسد حقن إسلامياً لـ تعدد تقضيها الفة به لصيقة".

إلا أن جون إسبوزيتو، الذي يلح في كتابه على التفرقة بين إسلام متطرف وأخر معتدل تحيى في الشرق وفق تعاليمه مسامحة وحكومات معتدلة، يتخذ وجهة نظر مختلفة لما يقول به روبن رايت وكثير من أصرابه في الغرب، ومن أبرزهم برنارد لويس الذي درج في كل كتاباته على تصوير الإسلام ضاغتنا على الغرب عن غيره من هوبيته الماضية اليهودية المسيحية وقويته الحالية العلمانية. كما أنه يذكر أصحاب أفلام في الغرب، منهم ولIAM فاف ومورتون زوكerman (صاحب مقال "حذار من الستاليين المتدينين") وأيموس بيرلموت ودانيل بليس ولوIAM سافير وشارلز كراونتهايمر (صاحب مقال "ایران : الموزع الأوركسترالي للشعب")، استثمروا غفلة قرائهم عن حقائق الأمور كي يزيغوا الأمور ويشوهوا الإسلام، لأنهم الان قوة عالمية، بقوة عالمية فقدت وجودها تماما أو كانت، هي الشيوعية. أفيريدون إذن أن يروا مواطنיהם اليوم مرتعين من الإسلام كما كانوا بالامس مرتعين من الشيوعية؟ أو، بتعبير جون إسبوزيتو نفسه، أن "يحل الخوف من الخطرا الأخضر محل الخوف من الخطرا الأحمر" !.

وإذا كان جون إسبوزيتو، على طول صفحات كتابه هذا، قد دلل على عبئية هذا التصور: فإنه قد استهل الكتاب بكلمة موجزة وثاقبة لكاتب آخر هو باتريك بوكانان الذي قال في مقالة له بـ **الصحف الأمريكية**: "إن الإسلام، في عرف بعض الأمريكيين الباحثين عن دعوه جديد نختبر فيه جلدنا وقوتنا، هو الخصم الأثير. على أن إعلان الإسلام عدوا للولايات المتحدة هو رجعة بالعالم إلى ما عاناه من حروب، منها ما سميت بالباردة، في عصر كان نظمه قد انقضى. أما إذا لاح احتمال لعودة ذلك العصر فلهذا ما لا يتمنه أحد. لأنّه من غير المنظر أن يحرز الغرب في هذه المرة نفس النصر المدوى الذي أحرزه في سابقتها".

* التهديد الإسلامي : خرافات أم حقيقة؟. تاليف جون ل. إسبوزيتو. ترجمة د. قاسم عبد قاسم. (٤٢٠ صفحة من القطع الكبير). الطبعة الأولى. دار الشروق ٢٠٠١ (١٤٢٢ هـ).

** كان سيد قطب في مقمة من الفتوى مكرًا إلى إداع نجيب محفوظ، بشهادة نجيب محفوظ نفسه الذي ضد إليه أنور المعاذري.

[صدام الحضارات.. مرة أخرى!]

إبراهيم العجلوني
 أنور الزعبي
 إيتيل عدنان
 توماس فريدمان
 جمال سند السويفي
 جورج طرابيشي
 حازم صاغية
 حسين الهنداوي
 خالد الحروب
 روجر أوين
 صبحي حديدي
 صبرى حافظ
 طلعت الشايب
 على حرب
 غازى القصبي
 غنى هيئيل
 كامل شياع
 ليلي صبار
 مالك شبل
 محمد سبيلا
 محمد عابد الجابري
 محمد ناصر النغزاوى
 مكسيم رودنسون
 موقف محاذين
 ناصر الدين الأسد
 وليد نويهض

على مدى أسبوعين نشرت مؤخراً جريدة (القدس العربي) التي تصدر في لندن استفتاء موسعاً استطاعت فيه آراء عدد كبير من أبرز المفكرين في الوطن العربي والعالم حول الاعتداءات التي شهدتها أمريكا في 11 سبتمبر الماضي، وكيف أنها أعادت تسلط الضوء على أطروحة الباحث الأمريكي صموئيل هنتنگتون الموسومة بـ «صدام الحضارات» التي تنبأ من خلالها أن يكون الصراع الكوني القادم، في جانب منه، هو بين الإسلام من جهة والغرب من جهة أخرى، بعد انتهاء الحرب الباردة وزوال الصراع بين الغرب الرأسمالي والمبنية الاشتراكية بقيادة الاتحاد السوفييتي.

القسم الثقافي في الجريدة، والذي يشرف عليه الشاعر والكاتب أمجد ناصر، قدم عدداً من الأسئلة، فيها: هل تعطي الحرب الراهنة أطروحة هنتنگتون التي بدأ قبل أحداث 11 سبتمبر مجرد فرضية خالية مصداقية الآن، وهل نعيش حرباً لها فعلاً مقومات ثقافية ودينية كما تصورها بعض الفoci والأقلام العربية، وهل حرب لها هذه الملامح من مصلحة العالمين العربي والإسلامي، فإذا كان الجواب بالنفي كيف يمكن تفادي الانجرار إليها، وما هي الصورة الممكنة لتعايش الثقافات في عصر العولمة؟ وفي الصفحات التالية تقدم (أدب ونقد) مقتطفات مختارة من هذا الاستطلاع الهام، الذي شارك في إعداده شاكر نوري ويعيسي القيسى ومحمود قرنى وحكت الحاج والظاهر الطويل، كما تابعت الكاتبة الأردنية فادية فقير الجانب الإنكليزي من هذا الاستفتاء.

العالمن العربي والاسلامي هما هدف الصراع

اذا ربطنا بين الواقع والنتائج قد نذهب الى ان ما حدث في العقود الاخيرة منذ اتفاقية سايكس بيكو و وعد بلفور ثم مذانق اف ١٦ وصواريخ مروحيات الاباشي وب ٥٢ في فلسطين والعراق وافغانستان وسواها. انما هو تدمير للبني والهياكل الاساسية وانتزاع لامكان القوة من الاعماق في البلاد التي تقف او قد تقف في وجه الدولة الكبيرة ومصالحها. وبذلك تنهي لها السيطرة على تلك البلاد وعلى ما يجاورها ويحيط بها وتصبح وحدها المحكمة بمصالحها ومقدراتها!! ولا يستطيع العالمن العربي والاسلامي تقادى الانجرار الى هذا الصراع لانهما هما هدف الصراع. وهم في صميم معركته. ولكنهما يستطيان مداورته وتتجنب بعض أثاره اذا اتيح للقادة والحكام فيما توحيد الكلمة والصف. وخوض هذا الصراع بموقف موحد صادق.

ناصر الدين الأسد

مفكر من الأردن

الإسلام لا يمتلك الوسائل

السياسة الأمريكية لم يعد بإمكانها أن تدعى بأنها تدافع عن الحرية و العالم الحر ، والذين يواجهونهم هم عبارة عن وحوش . والمسألة أن القوة الوحيدة القادرة على إيقاف الأمريكيين هي القوة الإلهية التي تدعى الإسلام . وكلنا يعلم أن الإسلام ليس حركة بسيطة أو موحدة عبر العالم ، ونعلم بأن هناك الإسلام الإصلاحي والحديث . ولكن هذا الإسلام لا يمتلك الوسائل من أجل ضمان استقلالية اقتصادية وسياسية للبلدان المسلمة كما يطمح المواطنون ، دولة توفر فيها حرية التعبير ويسودها القانون وتنتعاش فيها الأقليات والثقافات المختلفة . والأمريكيون لا يريدون فهم أن دعم إسرائيل اقتصادياً وعسكرياً ، كما يفعلون منذ عقود متعددة ، يكرس سياسة إسرائيل الاستعمارية والإجرامية ضد الفلسطينيين ، ويكرس مشاعر الظلم التي يشعر بها العرب الفلسطينيون والعربيون والمصريون .. ومسلمو إيران وأسيا . نظام عالمي جديد سيقوم في العالم لكن الأمريكيين لا يصيرون أسياده .

ليلي صبار

كاتبة من الجزائر تقيم في باريس

حقيقة الوحدة والتعدد

الراهن ان اصواتنا علي اتنا واحد متماسك، متجانس ومتميز ، ومضينا ، باسم رسالة خالدة ما في سياسات كبت الاقليات وقطع المعارضين والمتشرقيين ، لا يفعلان الا تحيطنا بوصفنا جوهرنا تقليا لا تدانيه الاخلاط والمغایرة . وفي هذا ، نقوم نحن بتنميط انفسنا ، قبل ان يبادر الي تحيطنا اي عدو ، عنصرياً كان ام شبه عنصري . واما تقادى الانجرار الى ذلك فيبدأ من ادر اكنا لحقيقة العلاقة بين الوحدية الإنسانية ، وبين التعدد والتتنوع داخل كل واحد من مكونات هذه الوحدية . والا دراك مسؤولية أولها الجهر بحقيقة الوحدة والتعدد ، وهو ما تتقرع عنه سياسات لا تأخذ ايها من الديان (اليهود مثلا) بجريرة بعض معتقداتها . ولا تأخذ ايها من الشعوب (الأمريكان مثلا) بجريرة بعض معتقداتها . وبالطبع لا تبرر القتل العشوائي للمدنيين كائنة ما كانت الاسباب السياسية والذرائع .

حازم صاغية

كاتب من لبنان يقيم في لندن

لماذا كل هؤلاء الارهابيين مسلمون؟

لا أحد يستطيع القول إن المسلمين أرهابيون، هذا شيء سخيف، ولكن البعض يتساءل: لماذا كل هؤلاء الارهابيين مسلمون؟ هذا يدفعهم للتساؤل مرة أخرى عن صلة هذه الاعمال ليس بيدهم بالضبط ولكن بالطريقة التي لقنوها من خلالها الدين. هناك أرهابيون يهود وقد كتبت عنهم عندما كنت مراسلاً للنيويورك تايمز في إسرائيل، منهم أولئك الذين قاموا بتفجير رئيسي بلدي نابلس ورام الله. وأنا أسمي ذلك، علي سبيل المثال، أرهابياً يهودياً ليس سؤالاً غير منطقي بالنسبة للأمريكيين إن يتتساءلوا لماذا كل هؤلاء الذين قاموا بتفجيرات 11 أيلول (سبتمبر) ينتهي إلى الدين الإسلامي. لا استطيع، كأمريكي، أن أجيب على هذا السؤال أظن أن المسلمين هم أجرد مني بالاجابة عنه.

توماس فريمان

كاتب صحفي أمريكي

تضارُفَ مستويات

صدام الحضارات قائم إذن ولم تصنعه نظرية الطرف القوي ولا هواجس الطرف الضعيف. وهو باق وسيبقى ليس بقوة أو مقاومة الثقافات والأديان التي أكرر القول بأنها ليست وحدات متجانسة، بل نتيجة تضارُفَ مستويات التطور الاقتصادي والتاريخي الذي يفرض تعارض المصالح والسياسات.

كامل شياع

كاتب وباحث من العراق يقيم في بروكسل

لا يحق لنا أن ننتقد الإسلام

في بلد فولتير وديدره لا يحق لنا أن ننتقد الإسلام. يمكن أن نهين البابا والكاثوليكية ولكن لا يحق لنا لا انتقاد الإسلام ولا اليهودية. وأعتقد أن المسيحية هي الديانة الأكثر تطوراً بين الديانات الثلاث لأنها الأكثر تقدماً للنقد والنقد الذاتي. أعتقد أن الإسلام يمكن أن يتطور أكثر فأكثر. لنأخذ مثلاً برلسكوني الذي قال: إن الغرب يتقوّى على الآخرين. ويمكن أن يكون برلسكوني لصباً ولكنه محق. عندما نقول إن الحضارة العربية في الأندلس كانت متقدمة على الحضارة الغربية آنذاك، وهذا صحيح. إذن في فترة من الفترات تكون حضارة معينة أكثر اكتمالاً وإنجازاً من الحضارات الأخرى. في الوقت الحاضر الألمان أكثر اكتمالاً من الفرنسيين.

غبي هينينيل

كاتب ومحلل فرنسي

سكتت عن الإرهاب أو صنعته

في الغرب، وفي الولايات المتحدة بالذات يوجد كتاب وملئرون وساسة وناشطون مدافعون عن حقوق الإنسان أو عن مصالح الشعوب، وهؤلاء يقفون موقفاً نقدياً مما يجري. انهم يعارضون الحرب الدائرة في أفغانستان ويوجهون اللوم للمؤسسة الأمريكية الحكومية، بحسبها، أذ هي قد سكتت عن الإرهاب أو صنعته ورعته، ثم ثاتي الآن لطالب بمحاربته بعد وقوع الكارثة.

والانسان يسأل ليس فقط عن العمل الذي ينفذه، بل يسأل ايضاً وخاصةً عن العمل الذي يخلق شروطه أو يسهل قيامه أو يحضر عليه ويمهد له. بهذا المعنى تحمل الولايات المتحدة المسؤلية عما جري لها ولو كان المنفذون من الخارج، تماماً كما ان بن لادن قدم الذريعة لأمريكا لكي تشن الحرب على أفغانستان. ومن المفارقات في هذا الصدد ان أفغانستان قد صدرت لنا جمال الدين الأفغاني زعيمًا من زعماء النهضة الفكرية، فيما نحن صدرنا لها من يعمل على تدميرها مثني وثلاثة ورابع.

على حرب

فيلسوف من لبنان

التصفيق الشارعي

الخطاب الهانتهعني يلف الغالية الكاسحة: من خطباء المساجد إلى رؤساء الأحزاب الشعبية، إلى كتاب الأعمدة في الصحف إلى مقدمي برامج الحوارات الفضائية ووصولاً إلى جمهرة من المثقفين يكتبون وعينهم ممددة على التصفيق الشارعي والاستحسان التجيبي الذي ستلقاء كلماتهم عند السامعين من دون أن يشعروا بوخزة ضمير لمشاركتهم في جريمة تشويه الوعي والدعوة إلى حروب الأديان. علينا أن نقول بملء الفيه إن العفن الذي يتزرع بيننا يتيح لكل خصم وفرة في المتاد ويكتفى أي عدو مؤونة البحث عن دلائل وشواهد تثبت ما يريد أن يثبت من تهم وأوصاف.

خالد الحروب

كاتب وباحث من فلسطين يقيم في بريطانيا

أطروحة تستهدف التبسيط

تتضمن أطروحة هنتنگتون مغزى براغماتيا لا علاقة له بالفلسفة لأنها أطروحة تستهدف التبسيط، وهذا التبسيط لا يمكن أن يتيح التأمل في موضوع هام كموضوع الحضارات. ولا اعتقاد أن هناك صراع حضارات بل هناك حلقات متسلسلة من الحضارات لا يوجد إدراها يتحقق على الآخر كما يتصور بعض الأغيباء لأن كل حضارة تحمل في أعماقها بذور حياتها واستمراريتها وعصرها الذهبي.

مكسيم رومنسون

مفكر فرنسي

الغرب يعاني

إن الغرب الآن يعاني من نتاجه السياسي والحضاري على المستوى البشري. ولكن، يعاني أيضاً من انتاجه التكنولوجي، والذين ضربوا نيويورك لم يضربوها بتقنية إسلامية ولا بعلوم إسلامية ولا حتى بعقيدة إسلامية، ضربوها بأخر ما انتجها الغرب من تقنيات. التاريخ هكذا، العالم في صراع. فإذا أراد الغرب واراد العالم والمسلمون واراد كل من في العالم من اصناف البشر التعايش، وهذا شيء اصبح يفرض نفسه، فيجب ان تحل مشاكل الماضي.

محمد عابد الجابري

مفكر من المغرب

صدام

في الحقيقة ثمة صدام بين الفقراء والأغنياء، وهذا الصدام يصبح صداماً بين القوي والعاجز.

لينيل عدنان
شاعرة من لبنان

مصالح ذات تدرج هرمي

هنتنفتحون نفسه بضررٍ إلى الاعتراف بأنَّ ما ينتمي اليوم ليس حالة صراع/صدام بين الحضارات، بل هو هيكلية مصالح ذات تدرج هرمي، يضم الولايات المتحدة في الرأس، ثانية طبقة تضمًّ مجتمعات ودولًا مثل أوروبا وروسيا والصين والبرازيل والهند، تلته ثالثة طبقة ناجمة عن امتزاج أو تناقض مصالح القوى الإقليمية في علاقتها بالجوار: بريطانيا مع المحور الفرنسي – الألماني، اليابان مع الصين، الأرجنتين مع البرازيل، الخ...

صبيحي حديدي
ناقد من سورية يقيم في باريس

جميع الأصوليات

من سوء الحظ أن فرضية هنتنفتحون هذا التي تمثل نزعة انغلاقية ونزعة حضارية مركزية من نوع ما يطلق عليه المركزية الائتية ، أراد من خلالها هنتنفتحون أن يؤكد على تفوق حضارة بعينها وقوتها دولية بعينها، هي أمريكا. من المؤسف أن هذه النظرية نفسها وجدت لها في السوق الثقافية العربية أنصاراً كثراً يبنونها عن وعي أو عدم وعي وعن طيب نية أو سوء نية، بمعنى آخر أن نظرية هنتنفتحون ساقت المياه إلى طاحونة الأصوليين من جميع الدروب سواء كانوا من الأصوليين الإسلاميين أو الأصوليين اليهود أو الأصوليين الهندوس أو الأصوليين الكاثوليك أو البروتستانت أو الأصوليين السيخ ، فجميع الأصوليات بلا استثناء، يجعلها قاسم مشترك واحد رغم ما يمكن أن يكون بينها من عداء أيديولوجي وديني ، هذا القاسم الذي يجعلها هو الاعتقاد بأن العالم بالفعل مؤلف من خنادق ومن قلاع متخاربة وليس لها من جامع سوى الحرب. فجميع الأصوليات، بطريقة ما، تحلم بتجديد نوع من الحروب الصليبية أو الجهادية التي تعيد تأسيس العالم في لجنحة أو في فضاءات منفلقة متخاربة ومتصادمة.

جورج طرابيشي
مفكر من سورية يقيم في باريس

افتراضات

لما كان نموذج الحرب الباردة الذي كان سائداً في الفترة الماضية لم يعد مؤهلاً لتقسيم الواقع والآحداث المعاصرة وبالتالي لم يعد مناسباً للتوقعات فان افتراض نماذج أخرى بات امراً ملحاً لإنجاز المهمة.. والنماذج المرشحة والتي يمكن طرحها هنا عديدة منها نموذج (نهاية التاريخ) الذي يفترضه فوكوياما.. او نموذج (الفوضى) الذي يفترضه

بريجنستكي، ونمودج (العلومة) على اساس واحدي الثقافة او امركة العالم الذي يفترضه البعض، ونمودج انقسام العالم قسمين على اساس الغني والفقير او الشمال والجنوب او التقدم والتخلف، ومن ثم نموذج (صدام الحضارات) الذي يطرحه هنتقعون.. لقد ناقش هنتقعون جميع هذه الفرضيات ليخلصن الى ان نموذج صدام الحضارات هو الاكثر قدرة على تفسير ما يجري من احداث ووقائع والتبيؤ بأحداث المستقبل.. وحين يصل هنتقعون الى هذا لم يكن يقصد تكريسه نموذجا حتىما تنتهي اليه الامور كما قد يشاء ولكن كنمودج معتمد يمكن في ضوئه تعديل المسار نحو توجهات معدلة ومقومة او صنع نموذج يكون اكثر ايجابية منه ويتمثل النموذج المطروح بالسعي الى التعديلية الثقافية بدلا من الصدام.. وبالتالي تصور نظام يقسم على ست او سبع حضارات معترف بها في آن.. يقول هنتقعون في اخر كلام له ان صدام الحضارات هو الخطير الاكثر تهديدا للسلام العالمي والضمآن الاكيد ضد حرب عالمية هو نظام يقوم على الحضارات .

د. أنور الزعبي

كاتب وباحث من الأردن

أطروحة عزلة غربية

تبعد أطروحة هنتقعون في جانبيها النظري أطروحة عزلة غربية - مسيحية متعالية بالمعنى الحضاري والديمocrطي ، وتسعى لترجمة علاقتها مع خطوط التصدع باختصار شديد تاركة الجنوب والشرق خارج التاريخ، كما فعل فوكوياما.. غير ان هذا الخطاب الاصناني المفعم بالداروينية الاجتماعية، سرعان ما يكشف عن قلب الظلماء داخله، ويستثير من التوراة لعبة المستعمرين الاولى، وهم يتحدون باعتباط عن تنظيف المستنقعات من الحشرات والبرابرة باسم الرب والذهب.

موفق محاذين

كاتب وباحث من الأردن

سلة واحدة

لقد وضع صاموئيل هنتقعون المسلمين والكونفوشيوسين، علي ما يمايز بين هذين العالمين، في سلة واحدة، فما هو السبب في ذلك؟ الجواب هو: صحيح أنهما عالمان مختلفان تماما، ولكنها يمثلان العدد ، أي الكثرة، وكم تخاف القلة القليلة المتخصصة حتى في البلد الواحد من العدد .. إن القلة القليلة من سكان الأرض تؤذ أن تروض الكثرة الكثيرة انطلاقا مما يسمى بالعلومة الرأسمالية وأن توجهها في كل ما يتعلق بحياتها ووجودها، تماما مثلما فعلت الديانات المختلفة، وكانتا اليوم بزاء دين ذيوي جديد يقوم على الرأسمالية. وكان يمكن للعلومة أن تكون خيرا محضا لأغلبية سكان المعمورة ملائمة الفوارق بين الأعراق والديانات بتقليل الفروق المجحفة بين مستويات العيش في مختلف أرجاء الأرض. ولكن هذا لم يكن، فقطار العلوم السريع لا يمكن هذه الأغلبية الكثيرة من الصعود اليه دون شروط قاسية.

د. محمد ناصر الفزاوي

كاتب وأكاديمي من تونس

ليست الحقيقة كلها

ما قاله هننتعون ليس كله خارج الموضوع، فهناك الكثير من المقومات الثقافية والدينية في لعبة صراع الامم الا انها ليست الحقيقة كلها.. فالى جانبها هناك لعبه المصالح الكبري ومحاولات القوى السيطرة على مصادر الطاقة (القوة) لمنع الضياع من التقدم وقطع الطريق على الشعوب صاحبة الارادة من استكمال عناصر قوتها. والمشكلة ان بعض القوى والاقلام العربية لم تفهم من الاطروحة سوي قشورها الصدامية و الحضارية بينما عميقها الحقيقي يطال الصراع الاستراتيجي على الخطوط الجغرافية (الفاصلة والرابطة) في منطقة يعتقد انها ستتحول الى مركز نقل اقتصادي - بشري في القرن الجاري، فالاكتشافات الجغرافية في نهاية القرن الخامس عشر نقلت النقل الاقتصادي من البحر المتوسط وطريق الحرير (طرق التجارة القديمة) الى الاطلس (أمريكا - أوروبا) فظهر العالم الجديد على حساب القديم، والآن بدأ موسم الهجرة الى الشرق اذ ان مختلف الدلائل تشير الى انتقال النقل الاقتصادي من المحيط الاطلسي الى المحيط الباسيفيكي. وال الحرب الجارية الان في افغانستان وجوارها لها تداعيات كبيرة سياسية وثقافية وهي في عميقها الاستراتيجي طويلة ليس في جانبها العسكري بل في قدرتها على تعديل الموازين لمصلحة كفة الاطلسي.

وليد نويهض

كاتب وباحث من لبنان

هدف سياسي

الأحداث الحالية تتشارك فيها مجموعة من العوامل، ويلاعب فيها الدين دورا، الا ان الدور الاكبر، والاخطر، يبقى للسياسة. ارهاب بن لادن لا يستند الى الوهابية ولكن الى تجربته السياسية في افغانستان. وارهابيو مصر لم يخرجوا من تعاليم القرآن الكريم ولكن من تعاليم سيد قطب، وهي مصبوغة تماما بطبع الاضطهاد السياسي الذي عانت منه حركة الاخوان المسلمين وقتها. ومذابح الجزائر يجب ان تفسر في ضوء التجربة السياسية الجزائرية، لا في ضوء الایات والاحاديث، وقضية فلسطين ليست صراعا بين الاسلام واليهودية، ولكنها مواجهة بين القومية الصهيونية والقومية العربية (وممن المعروف ان القادة البارزين في كل من هاتين القوميتين لم يكونوا من الاصوليين!). ولا يختلف الامر عند الانتقال الى الموقف الغربية. امريكا الان ليست معنية بالقضاء على الاسلام، وهي مهمة مستحيلة على اية حال، ولكنها بصدق تحقيق هدف سياسي وهو رد الاعتبار اليها بعد الاحداث التي هزت مكانتها كدولة عظمى. والغربيون الذين سارعوا الى تأييد امريكا لا يعنيهم ان يحكم افغانستان الملا عمر او الجنرال دستم بقدر ما يعنيهم الا يصيب لندن ما اصاب واشنطن ونيويورك.

غازي القصبي

شاعر وكاتب وسفير المملكة العربية السعودية في بريطانيا

مع الغرب أم مع الشرق؟

من ضمن الطرح الصحيح الذي طرحته هننتغتون ان اقوى حضارتين الان تشكلان خطورة على الحضارة الغربية هما الكونفوشوسية والاسلامية في هذا العالم الذي انفرد فيه الولايات المتحدة بالسيادة او انفرد فيه الحضارة الغربية بالسيادة بذات الحضارات الاخرى تستدعي المقدس لديها وتستدعي ماضيها وتمسك به لكي تجيب عن سؤال من نحن بدلا من السؤال السابق نحن مع من: مع الغرب أم مع الشرق؟ الكونفوشوسية التي تنتظم عدة دول من جنوب شرق آسيا تشكل تهديدا بسبب نموها الاقتصادي الذي يعتقدون انه لم يتحقق الا لأنهم مختلفون عن الحضارة الغربية. الحضارة الاسلامية تشكل خطورة على الغرب لعدة اسباب اهمها النمو السكاني الرهيب مع الفقر. الاقتصادى الذي يمكن ان يؤدي الى هجرة الى الغرب او بروز توجهات يسمى الغرب توجهات ارهادية لتغيير انظمة الحكم وتصدير الافكار التي تتحول حول الجهاد وتحقيق العدالة الاجتماعية من وجهة نظر دينية وخاصة بعد ان فشلت جميع انظمة الحكم في هذه المجتمعات في الخروج بها من ازمتها الاقتصادية.

طاعت الشايب

مترجم كتاب صدام الحضارات الى اللغة العربية

انقسامات بين العرب والمسلمين

ما من ثمة نزال بين الثقافات بل هو ادراك متزايد لنقطة القوة والضعف لدى الآخر. بعض المسلمين قد يحسون بالغضب، واعتقد ان لدى الاغلبية احساس متصاربة جداً، التعاطف مع ضحايا الهجوم على نيويورك، والاعتقاد بأن أمريكا تستحق ما حل بها، وأحساس بالعار ان المسلمين فعلوا ذلك باسم الاسلام. ليس هذا ذات علاقة بالتحديث والحداثة، كما اراد لنا البعض ان نفهم، انما بالاخفاق في انجاز نمو سريع ثمة ايضاً ضعف الممارسة الديمقراطيّة، حكام في منتهي الرداءة، وانقسامات بين العرب والمسلمين كما رأينا منجيلاً في حرب الخليج. التنطيطية الاعلامية متصاربة بدها بالتفطّيّة الفجة نفسها مرروا بخطف الاعلام وجعله منابر لأراء وتعليقات تتبّعية عما ستزول اليه الحرب وعما يجب القيام به لاحقاً. على المتفقين ان يتحدثوا ويكتبوا بصراحة.

روجر أوين

أستاذ ببرنامج الدراسات العربية المعاصرة بجامعة هارفرد

الحروب الفدرة

الذي لا ريب فيه ان صموئيل هننتغتون رجل محظوظ الى ابعد درجة في حظوظ المغامرين، والا فما شأن مقالة ينشرها قبل عشر سنوات ثم يطورها الى كتاب حتى تكون لغو الليل والنهر على مدى البساطة كلها؟

وكيف يمكن لامشاج من متهافت الافكار ان تندو خطابا للعلوم العسكرية التي تقوها الولايات المتحدة، وان كان خطابا مسكتا عنه في معظم الاحيان، ومزورا دون تأثيرات اعلامية كأنها المخازيق بيد الاعبين؟ كان اول حظوظ هننتغتون ان الغرب اليوم، سواء الامريكان او الاوروبيين، قد عدم الفلاسفة الكبار امثال شيفنلر وشونبوري وجون ديوبي ووليم جيسم، وان المشتغلين بتاريخ الفلسفة من الاكاديميين لم يتذوقوا اطروحته - لسبب او اخر - بالنقد والتحليل، وان السوية الذهنية للسياسيين الامريكان متدينة الى الحد الذي يسمح باحتساب كلامه في صراع الحضارات نظرية ذات طابع فلسفى شمولى، ناهيك بها تعلة ومسوغة للمطامع الاستعمارية المتتجدة، وللحروب الفدراة التي يشنها الغرب ضد العرب والمسلمين.

ابراهيم العجلوني

كاتب ومحرك من الاردن

تناقضات

لا أعتقد بأن هناك ما يسمى بـ صدام الحضارات ، بل إنها أطروحة مصطنعة من أجل تبرير الأزمة. بلا شك هناك تناقضات بين العالم المادي والعالم الروحي . وهذه التناقضات موجودة في الغرب أيضا والتوجه المادي هو الطاغي. ليس هناك صدام حضارات بين شرق وغرب فيما عدا القول إننا في وضعية الحرب وهناك شروhat يجب أن تقدم بالنسبة للجماهير في الغرب . والعنصر الثاني الذي يؤكّد على عدم وجود صدام حضارات هو وجود تكامل الحضارات اليوم . ونرى ذلك في مسألة السياح وتبادل الأفكار والتجارة والدبلوماسية والثقافة في عالمنا الحالي . بل هناك نوع من التوحيد، مثل العولمة التي تعمل على توحيد العالم وجعله قرية صغيرة.

مالك شبلي

محرك من الجزائر مقيم في باريس

بناء حوار ومناقشة علمية و موضوعية و مسئولة

ان هناك سائل كثيرة لتجنب الانجرار الى ما يسمى بـ حرب الحضارات ويتوزع الجهد الرئيسي في ذلك بين الحكومات ونخبة الاكاديميين والمتخصصين ، ولوسائل الاعلام ومراكز البحث والدراسات دور مهم ايضا ، وتفرض الامانة العلمية والمسؤولية الملقاة على عاتق هذه الجهات ان تؤدي دورا في بناء حوار ومناقشة علمية و موضوعية و مسئولة لاشكاليات العلاقة بالغرب ، وربما يكون جزء من الازمة التي يعيشها من يحاول ان يتعامل بشكل موضوعي مع هذه الاشكالية انه يجد نفسه محاطا بترااث طويل من الخطاب العدائى الذى انتجه روى ايديولوجية اختلفت كثيرا ولكنها اتفقت في هذه الناحية ، وعلى سبيل المثال فلن الجماعات التي ناصبت الغرب عداء مطلقا مع اختلف دواعي العداء لدى الغربيين ، واتبع ذلك مشكلة اخرى هي ان عقليات القاريء العربي العادى تشكلت عبر قراءة هؤلاء و اعتادت هذا الاسلوب .

الجانب الآخر من الصورة ان الغرب بمفكريه وخبراته وحكوماته واعلامه لابد ان يتحمل مسؤوليته التاريخية والانسانية عن ايقاف سيناريو الصراع، وعليه ان يبذل جهدا حقيقة لفهم طبيعة الفكر العربي والاسلامي وازالة الشكوك ازاء سياساته التي تثير حفيظة العرب والمسلمين وتؤكد صورته لهم كطرف لا يهم بقضياتهم ومصالحهم.

د. جمال سند السويدى

مدير مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية
مقدمة متهافة

لا شك ان انجاز كثير من المعلقين العرب الى ترديد مقوله صراع الحضارات المنهافتة، ينطوي على قدر من الافلات الفكري. فقد انجرت نفس الاقلام من قبل الى ترديد مقولات نهاية التاريخ، والنظام العالمي الجديد، والشرق اوسيطية وغير ذلك من المقولات التي يبلورها مفكرو المؤسسة الامريكية، او حتى ذيولها الصهيونية في منطقتنا العربية. ثم تردد لها المؤسسة الاعلامية التابعة للمؤسسة السياسية في منطقتنا العربية، والتي لا استقلال لها باستثناء منابر نادرة لم تسلم عقليتها النقدية للمؤسسة السياسية، ولم تقع في و هاد تبني فكر العدو، والتتحول الى حسان طروادة له. وربما يعود مثل هذا الاتجاه الى تبعية المؤسسة العربية ومنظريها للمؤسسة الامريكية والصهيونية. وربما يكون سببه هو غياب المشروع العربي المستقل وتلقيه مشاريع الاخرين لان الطبيعة تكره الفراغ، ومن لا مشروع له عرضة لتبني مشاريع الاخرين. وربما يرجع هذا الانجرار الى نقشى الانحطاط الكفري، والكسل العقلى في الواقع العربي الذي يعاني من التردي السياسي والحضاري على السواء. وربما يكون احد تجليات ما يمكن دعوته بعقلية الهزيمة المناقة التي خربت اللغة، وزيفت الافاظ وخلطت بينها بذاءة صفقة. فقسمى الهزيمة انتصارا، والتبعة لمخططات العدو وعيها بالمتغيرات الجديدة، وخيانة المبادئ الوطنية مرونة استراتيجية، والاستسلام الذليل سلام الشجاع، والهرولة للارتقاء في احضان العدو بعد نظر واستجابة للغة العصر. وكل ربما من هذه الribمات تحتمل التأمل والتفكير.

د. صبرى حافظ

**أستاذ الأدب العربي الحديث في كلية الدراسات الشرقية
وال Africana بجامعة لندن
ابتزازات فلسفية**

نظريه صدام الحضارات، فهي في نظري، كانت مستندة بالقوة قبل احداث ١١ سبتمبر لتصبح مستندة بالفعل بعد الاطاحة بحكومة طالبان وشبه احتلال افغانستان من قبل الولايات المتحدة. ولا استبعد شخصيا ان يخرج علينا هنتفتون بعد سنوات وربما قليلة بكتاب اخر يتبرأ فيه من نظريته هذه كما فعل تماما قبله زميله مفكر مؤسسة رائد التابعه للبناغون فرانسيس فوكوك بما الذي اعلن العام الماضي عن براعته جملة وقصيلا من نظرية نهاية التاريخ والرجل الاخير التي صار يصفها بعد ان ظل يمطرنا لعشرا اعوام بالعد والتضام عبر محاضرات وندوات ومقالات انترنت لا تخصي ولا تحصر بابتزازاته الفلسفية عن مطلقة انتصار جنة سماها بوش الاب النظام العالمي الجديد . فهناك في الولايات المتحدة طريقة تعتقد قيم السوق في الفكر ايضا.

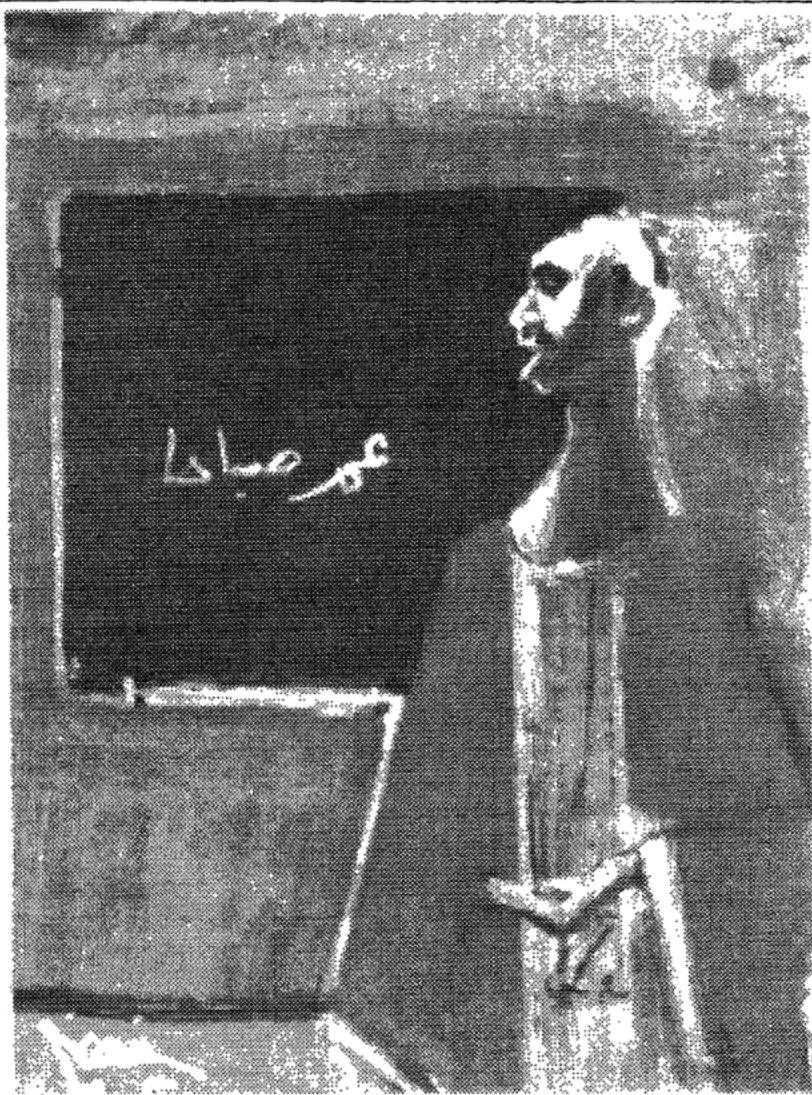
حسين الهنداوى

رئيس تحرير القسم العربي بوكالة يونايدرس انترناشونال

اما التكيف او الافول

من الديهي اذن انتا أصبحنا اليوم أمام حضارة واحدة ساهمت فيها كل الحضارات الكبرى السابقة، الصينية والهندية وال العربية الإسلامية... هذه الحضارة الحديثة راندها الغرب بشقيه الأوروبي والأمريكي، حتى وإن ذابت فيها مساهمات الحضارات السابقة. لكن مقابل وحدة الحضارة الحديثة التي يتحكم فيها الغرب، هناك الثقافات المعروفة التي ذابت مساهماتها الحضارية السابقة في مصهر الحضارة الحديثة التي أصبحت ذات ملمح غربي، والتي أصبحت اليوم في وضعية دونية رغم إصرارها ومتابرتها ومعاناتها من أجل استدراك تأخرها التاريخي، ومن أجل اللحاق بركب تطور تاريخي يترايد كل يوم تسارعاً. وعندما نقول حضارة واحدة، فالمقصود أن هناك طريقة واحدة للتحليل الكميائي للمادة، وقوانين فيزيائية واحدة، وتركيبة واحداً للخلية، وطريقة واحدة لصناعة الكمبيوتر، وأسلوبوا واحداً لارتياح الفضاء. وبعبارة أخرى، فالأساس الفلسفى لوحدة الحضارة هو وحدة العلم نفسه. مقابل ذلك، نجد أن الثقافات العرقية دخلت في دينامية تناقضية جديدة قائمة، ووجدت نفسها في وضعية تمزق بين ماضيها وحاضرها، بين صورتها المثالية عن ذاتها وواقعها الدونى، مما ييسر لها تطوير آليات دفاعية وابريرية قوية. هذا التحدي طرح على الثقافة المسيحية ذاتها، لأن الحضارة العلمية التقنية الحديثة لا تستشى أية ثقافة، فهي تتضع كل الثقافات في وضعية حرج ومحرج، إما التكيف أو الافول. الثقافة العربية الإسلامية، من حيث هي إحدى أقوى الثقافات العرقية، وجدت نفسها أمام هذا التحدي الكوني القاتل. في مرحلة أولى، أبزرت وطورت آليات توفيقية مع الحضارة الحديثة كلّها، وركّزت على مساهمة الحضارة العربية الإسلامية في إنشاء الحضارة الغربية الحديثة، لافتة بمناقبها للتّراث اليوناني والشرقي عامّة، بل عبر مساهماتها الخاصة في الطب والفالك والرياضيات والكمياء والفلسفة وغيرها. كما ركّزت – بجانب إبراز أصيبيّة العرب – على عدم التناقض بين الإسلام والعلم، وعلى عدم التناقض بين الثقافة العربية الكلاسيكية. لكن، في مرحلة ثانية، مع تلاحق الهزائم وخيبات الأمل والتّعثرات في اللحاق بقطة التّطوير المترنحة، دخلت الثقافة العربية الإسلامية في مرحلة رد فعل سلبي، وفي الارتداد إلى كنف الماضي دون أن تتوقف أو تخلي عن مطمح اللحاق بالغرب، لكن مع غلبة آليات دفاعية ثقافية. ولعل الثقافات العرقية ذات الطابع التقليدي، ستتجدد نفسها اليوم، أمام تحدي جديد قوي، يتمثل في أن مواكبة الحضارة التقنية الحديثة، تتطلب أيضاً تطوير آلية التّحديد الثقافي والفكري، والخروج من دائرة رد الفعل السلبي تجاه الثقافة الحديثة.

محمد سبيلا
منكر من المغرب



للفنان سيف وائل: المرايا

الديوان الصغير



ناصر بريشه الشابة منها طاعت: مصر



ناصر بريشه الشابة فكتـ. برـ. كما

ناظم حكمت
والبيوم الأجمل
الذى لم يأت بعد . . .

طلعت الشايب

مائة عام على ميلاد ناظم حكمت

١٩٠٣-١٩٦٣



الأيام بذور ..

تبت وتردھر فی أکف أطفال العالم



العودة إلى ناظم حكمت ضرورة . هي احتياج دائم لا ينبعى أن يكون مرتبطة بذكرى ميلاد أو غياب ، فالشعراء الذين خرجوا من رحم الحياة ينشدون للناس وللحياة لا يغيبون. كلماتهم باقية على الجدران وفوق الأرصفة وفي الميادين كما هو باق عزفهم على الكمان للصادمين في المعركة الأخيرة. العودة إلى ناظم حكمت وغيره من شعراء الكون ضرورة واحتياج ، ذلك لأننا لم نفقد الثقة في المستقبل ولا في اليوم الأجمل الذي لم يأتي بعد. ولأن قصائد شعراء الإنسانية الذين أطلقوا أغنية الإنسان حمامه بيضاء في فضاء العدل والحرية قادرة على طرح الأسئلة الكبرى وعلى تجميع كل أحزمة الضوء في سهل

واحد، وعلى رؤية العدو المقترب وعلى أن تعطى كل ما لديها .. عقلها وفكيرها «الحرية العظيمة، حتى لا يتبقى وطن واحد أسيرا ولا إنسان واحد مستعبدًا على وجه الأرض.

أغنيات ناظم حكمت تخرج إلى الهواء الطلق ، فهي لا تستطيع أن تقلل حبسته قلب

وحيد ستانزه مسدلة خلف باب الزمن وصوت مثل صوت ناظم حكمت لا يغيب ما دامت

في البحار أسماك تشرب القهوة بينما أطفال في فلسطين والعراق وأفغانستان لا يجدون

الحليب! .

هذا الشاعر الفذ الذي لم يكن يجب أن يتكلم عن فنه كثيرا ، أجبره بعض الأصدقاء ذات يوم على كتابة مقدمة لبعض أعماله فكتب:

«إن كاتب هذا الكتاب شاعر تركي عادي يعتز بأنه أعطى قلبه وعقله وقلمه وعمره كله لشعبه من جهة أخرى فإن هذا الشاعر دأب بواسطة الشعر على تمجيد جميع نضالات كل الشعوب مهما كان اسمها وموقعها الجغرافي وقوميتها وعرقها في سبيل الاستقلال القومي والعدالة الاجتماعية والسلم وقد اعتبر انتصارات هذه الشعوب انتصارات لشعبه هو، وهزائمها هزائم له ، كما اعتبر أتراحها أتراحا وأتراحا لشعبه بالذات (...)

إن جذور شعري تضرب عميقا في تراب وطني غير أنني أردت أن أستطيل بأعصابه إلى كل الأرضى .. تلك الأرضى الواسعة دون حدود في الشرق والغرب ، في الشمال والجنوب .. إلى الحضارات التي شيدت فوق هذه الأرضى .. إلى عالمنا الكبير».

وهكذا كان يرى نظام حكمت في البدع الحقيقي صورة مصغرة للحياة ذاتها ببعديها الطبيعي والاجتماعي ، الأمر الذي جعله يحاول أن يبتكر في شعره صورة جديدة لهذا العالم المفكك من حولنا ، بإعادة تركيبه وإعطائه معنى جديدا انطلاقا من الواقعى ووفقا لرؤيه وتجربة خاصة. وهكذا جاءت قصيده ممارسة كيانية وأخلاقية ممارسة في معرفة أغنى للعالم وفي كشف أوسع عن جمال الحياة وفي «تحويل الوجود إلى نشيد» كما يقول أدونيس.



جاء ناظم حكمت المولود في سالونيكا (١٩٠٢/٧) إلى الإبداع من عائلة

أرستقراطية مثقفة، كان جده ناظم باشا المولوى يكتب القصائد الدينية والعلمية بلغة تركية بها قدر كبير من الكلمات العربية والفارسية، كما كان والده حكمت ناظم باشا فنصلما فى هامبورج ومديرا فى الخارجية التركية وواحدا من أبرز قيادات حزب الاتحاد والترقي، وكانت أمه جليلة رسامة وقارئة جيدة ذات اطلاع واسع على الثقافة الفرنسية. يتذكر ناظم أنه كتب قصيده الأولى فى استنبول وهو فى الثالثة عشرة من العمر، كان حريق هائل قد شب فى المنزل المقابل لهم فتملكه الفزع وبعد أن تحول المنزل إلى رماد كتب قصيدة بعنوان «الحريق» جاء وزنها مطابقا لتلك الأصوات الباقة فى مسمعه من قراءة جده لأشعاره. قصيده الثانية كانت وهو فى الرابعة عشرة تقريبا وكانت عن الحرب العالمية الأولى التى مات فيها خاله. بعدها جاءت قصيده الثالثة وهو فى السادسة عشرة على الأغلب وكانت هذه المرة عن قطة أخته، قرأها الشاعر التركى الكبير يحيى كمال (كان صديقا لأمه) استاذة فى مدرسة البحرية، فطلب أن يرى تلك القطة الموصوفة فى القصيدة، وبعدها تتبأ له بأنه سيكون شاعرا جيدا... ذلك لأنه استطاع أن يجعل «تلك القطة القدر» و يجعلها تبدو رائعة فى قصيده على عكس حقيقتها. وفي السابعة عشرة نشر ناظم أولى قصائده «عند أشجار السرو» التي صاحبها له الشاعر الكبير.

ترافق إلى سمعى آذين ينبعث من غابة السرو سألت نفسى : أيكى أحد فى هذا المكان؟ أم أنها الربيع. وحيدة تردد هنا نكريات حب عتيق؟ ظننا أن الموتى يضحكون حين تسدل فوق عيونهم الستارات .

السود، أم ترى أن الموتى الذين أحبوا فى حياتهم بما زالوا بعد موتهم ينحوون مع أشجار السرو؟

ومع الاحتلال استنبول من قبل دول الوفاق ، توالت قصائده ضد الاحتلال مواكبة مع النضال فى الأناضول. درس ناظم لفترة قصيرة في «ليسيه جالاتاسارى» في استنبول، ول فترة أخرى في مدرسة البحرية التي تركها لاعتلال صحته ووفى الأناضول اكتشف أن بلاده كانت تخوض حربها ضد الجيوش اليونانية بخيوط هزيلة وأسلحة عتيبة «اكتشفت الأمة وحربها، ذهلت، خفت، أحببت، وأصبت بالدوار فأحسست بضرورة كتابة كل ذلك

بصورة مختلفة ولكنني لم أفعل فقد كنت لا أزال بحاجة إلى هزة عنيفة أخرى .
عمل ناظم بالتدريس فترة من حياته في «بولو» حيث جعله الاتصال المباشر بالشعب
وبالفالحين وخاصة بسماعه المباشر لما يحدث في روسيا السوفيتية ،جعله يشعر
بضرورة التعبير شعراً عن أشياء كثيرة مسكت عنها، أشياء جديدة.

بدأ ناظم حكمت نشاطه السياسي عام ١٩١٨ مسؤولاً في تحرير «المطرقة والمنجل»
جريدة الحزب الشيوعي التركي الذي انضم إليه في العشرينات ، ودرس الاقتصاد
والاجتماع في جامعة موسكو (١٩٢١ - ١٩٢٤) وبعد عودته وعمله بالكتابة حكم عليه
بالسجن والنفي لكنه استطاع الهرب إلى موسكو ، وبعد أن عاد «سرا» هذه المرة في عام
١٩٢٨ تم اعتقاله ولم يطلق سراحه إلا في عفو عام سنة ١٩٣٥ ، ثم حكم عليه بالسجن
مرة أخرى في عام ١٩٣٨ لمدة ٢٨ عاماً وأربعين شهر لقيامه بنشاط معاد للنازية ولفرانكوا
قضى منها ١٢ عاماً في سجون مختلفة قبل أن يطلق سراحه على أثر موجة احتجاج
عالية وحملة واسعة للإفراج عنه نظمتها لجنة في باريس كان من بين أعضائها بيكتاسو
وبول روبيسون وسارتر . كانت التهمة المباشرة الموجهة إليه هي تحريض جنود البحرية
التركية على التمرد عن طريق قصائده التي وجدوها معهم وبخاصة «ملحمة الشيخ بدر
الدين» (نشرت عام ١٩٣٦) وهي عن فلاح ثائر على الحكم العثماني في القرن الخامس
عشر .

وقد وصف صديقه «بابلو نيرودا» معاملة السلطات له بعد القبض عليه ومحاكمته
وتغذيبه على سفينة حربية وكيف كان ناظم يقاوم ذلك كله بالغناء .. فقد
استطاع أن يقهر معدبيه بتزييد أناشيد الجنود ومواويل الفلاحين كما يقول هو في روايته
«العيش شيء رائع يا عزيزي».

وفي السجن تعلم ناظم الرسم والنسيج وحفر الخشب وأخذت قصائده التي كان يتم
تهريبها طابع المباشرة والتحريض مع تفاؤل لا حدود له . في رسالة إلى زوجته من السجن
يقول إنه في الأيام الأولى لم يكن يعرف شيئاً عن الذين يشاركونه السجن، لم يكن
مسموحاً له بالكلام مع أحد.. كان يكلم نفسه وعندما يكتشف أنها ثرثرة ذاتية

فارغة. يتحول إلى الغناء وبعد وقت قصير تحول السجن إلى ساحة عمل وإبداع ،فقد حول صموده وحبه للحياة السجناء والسجناني من حوله إلى أصدقاء» كما يقول «سارتر». كانت قصانده تهرب من سجن «بروسته» لتنشر في أنحاء بلاده (سرا) ومنها إلى العالم الواسع بعد أن خصص لها الشاعر «أراجون» زاوية بارزة في مجلة «ليتراتير فرانسيز». أما عن فترة السجن الثانية في حياة «ناظم» والتي امتدت أثني عشر عاماً متصلة «فيقول : بمقدار ما كانت سنوات سجنه مريرة كانت مبدعة، كان يفهم أنه حتى بعد اندحار الفاشية في الحرب العالمية الثانية أن فاشية جديدة ستظهر ، وأن سجنه سيطول. إنه يوصي بالعمل من داخل السجن ورغم المرض والأبواب الحديدية والجو الرصاصي التقيل الذي يطالعه من النافذة ،والحر الشديد الخانق في الصيف ومرض ابنه «محمد» بالسل والتواطؤ على قتله بيد بعض السجناء ،فقد ظل متقائلاً محباً للحياة. مهتماً بكل ما يدور من حوله في السجون التركية وما يدور خارجها في وطنه والعالم ،يكتب ويترجم وينظم الشعر ويساعد زملاءه السجناء وزوجته وولديها ويناضل عبر ظروف صعبة ومعقدة ضد الظلم الواقع عليه وضد عدالة خاطئة وضد كل ما يشوّه الحياة و يجعلها تعيسة إلى حد مرير» وفي السجن دخل في إضراب عن الطعام امتد ١٨ يوماً بالرغم من إصابته بأزمة قلبية حادة وبعد الإفراج عنه في عام ١٩٥٠ هرب في قارب صغير خوفاً من محاولة اغتياله.

تتذكره «سيمون دوبوفوار» فتقول : «روى لي ناظم أنه بعد عام من الإفراج عنه كانت هناك محاولات لقتله بسيارة في شوارع استنبول الضيقه وبعدها حاولوا ارساله لاداء الخدمة العسكرية الاجبارية على الحدود الروسية بالرغم من انه كان في الخمسين من العمر ، لكن الطبيب الذي فحصه وقال له إنه يمكن أن يموت بعد نصف ساعة في الشمس ، أعطاه شهادة إعفاء طبي .

هرب ناظم عبر البسفور في ليلة عاصفة قاصداً بلغاريا حيث التقطته سفينة شحن رومانية . وفي كابينة الضياد وجد نفسه أمام مفارقة ساخرة ... ملصق كبير عليه صورته وتحتها عبارة «انقذوا نظام حكمت». والمصحف المبكي - كما يقول - هو أنه كان قد أطلق سراحه قبل عام. وفي الخامس والعشرين من يوليو ١٩٥١ أُسقطت عنه الجنسية وعاش حتى آخر العمر بين صوفيا ووارسو وأخيراً موسكو، وبالرغم من إصابته بأزمة قلبية حادة

للمرة الثانية في ١٩٥٢ إلا أنه كان كثيرون الأسفار «حاملاً أحالمه معه» يذهب إلى روما وباريس وهافانا وبكين والقاهرة وغيرها.. «الأمريكيون فقط هم الذين لم يعطوني تأشيرة دخول» «كنت مسحوراً بالناس على الدوام» «أخوتى .. لا تظروا إلى شعرى الأشقر .. فاتأ أسىوى .. لا تظروا إلى عينى الزقاوين .. فاتأ أفريقى .. الأشجار عندي لا تتظل جنوعها تماماً كما هي حالها عندكم .. كسرة الخبز في بلادي علاقة بين شدقى الأسد، عند المناهل تنام .. الغيلان .. يأتي الموت قبل بلوغ الخمسين في بلادي أنا .. تماماً كما يفعل عندكم» وهكذا بقي ناظم حكمت حتى آخر يوم في حياته محباً للإنسان وللحياة، مليئاً بالأمل والتتفاؤل، لم تستطع قضبان السجون الصدمة أن تمنعه من رؤية أبعد نجم في السماء «أحب وطن إلى هو الأرض .. حين يأتي أجلى .. غطوني بسطح الأرض».

إلى جانب الشعر، كتب ناظم حكمت المسرحية والرواية والقصة والنادرة الطريفة والرسائل، في المسرح سار على نهج برخت في المسرح الملحمي منذ مسرحيته الأولى «الجمجمة» (١٩٢٢) وفي العام نفسه أصدر «منزل رجل ميت» التي ركز فيها على جشع ونفاق أسرة من الطبقة المتوسطة .. بعد ذلك وتواتل أعماله المسرحية: «آدم المنسى» ١٩٣٥ - «فرهاد وشيرين» ١٩٦٥ - «سبحات» و«البقرة» ١٩٦٥ - «بجوار المدفأة» - «المسافر» ١٩٦٦ ، يوسف ومينوفيس ١٩٦٧ وله في الرواية «سيف ديموقليس» ١٩٥٩ - «الدم لا يقول ١٩٦٥» و«العيش شيء رائع يا عزيزي» ١٩٦٧ وهي الرواية التي كان قد فرغ من كتابتها قبيل وفاته في ١٩٦٣ و«جاعت بناطقة باسمه تترجم حياته وتحكي خصوصيات كان قد أخفاها حتى عن المقربين والأصدقاء». ولتححدث عن كفاحه السياسي وتضاريس حياته .. عن فرحة وحزنه» «كان ناظم قد أسرّ بفكرة الرواية لصديقة الرسام الباريسي - التركي الأصل «عبد الدين دينو» ثم حمل المسودة معه إلى باريس بعد أن وضع لها عنواناً : «أى المرافى تعبّر هذه السفينة بآلاف الأشرعة» بوعند قراءة النص من قبل الأصدقاء الباريسيين أقرّوا بذن العنوان طويلاً وأن هناك فراغات لابد من امتلائهما من قبل المؤلف نفسه، وفي ربيع ١٩٦٣، أى قبل وفاته بشهور أرسل النص منقعاً إلى باريس وأضعوا له عنواناً جديداً «العيش شيء رائع يا عزيزي».

ولناظم أعمال في القصص والنواذر منها: «الكلب ينبح والقالة تسير» ١٩٦٥ - «سحابة حزينة» ١٩٦٣ وعدد كبير من الرسائل التي نشرت بعنوان «وسائل من السجن

إلى كمال طاهر» ١٩٦٨ و«ابني، حياتي، طفل محمد» ١٩٦٨، ورسائل إلى أسرة فالانور الدين». ١٩٧٠.

٣

قبل وفاته بعامين، كتب ناظم حكمت في الحادي عشر من سبتمبر ١٩٦١ وفي برلين «الشرقية أذاك» قصيدة بعنوان «سيرة ذاتية» تنتهي بعبارات تقول «خلاصة الكلام أنها الرفاق.. هي حتى لو كنت اليوم سأموت غما في برلين، فانتي أستطيع أن أقول بأنني عشت إنساناً، أما كم سأعيش بوماذا ينتظرنى بعد، فلا أحد يعرف» وقبل الوفاة بفترة قصيرة كتب (في ١٩٦٢) قصيدة بعنوان «مراسيم جنازتي» وفي السابع من مارس في العام نفسه، توقف قلب الشاعر الإنسان تلك التفاحة الحمراء على أثر أزمة قلبية ثالثة لم تودعه نافذة المطبخ بنظراتها ولم ترفع الشرفة الغسيل المنشور قليلاً حتى يمر جثمانه. دفن ناظم حكمت في «موسكو» وتصاعدت الحملة التي كان يقودها شقيقه في تركيا لإعادة الاعتبار والجنسية إليه، واستعاده رفاته لكنه يضم تراب قرية صغيرة من قرى الأنضول جسد شاعر إنسان عاش الحياة نضالاً وشعرًا ولم يعشها نزوة عابرة بكاه القراء والشرفاء والمناضلون في أربعة أركان المعمورة بورثاه صلاح جاهين في قصيده الشهيرة «بكائية إلى ناظم حكمت» :

مت متاثر بجرحك القديم؟

بعدما قلنا خلاص،

عم تاظم طاب وقاعد في الجنينه هكتبة الاسكندرية

يقرأ في الجنال ويكتب جوابات...

قالوا : مات

مش خلاص كنا انتهينا؟.

مش مسحنا مطرح القضايان بتيسير عينينا..

مش دواك جباته م الهند ، م الصين واليابان

من بلاد التلنج من باندونج وجزيرة سيلان

من هنا في القاهرة؟.

مش صحيت ومشيت وجيت طليت علينا؟.

من سنة مش جيت وطلبت ع الغيطان
ولقيتها بين إيدين الفلاحين؟.

من سنة مش جيت وطلبت ع المصانع
ولقيتها بين إيدين العاملين؟.

من سنة، مش جيت ودورت هنا
ع الولد اللي ف قصيتك «بور سعيد»
قلبه كان تفاحه خضرا ومات شهيد
مش لقيته من جديد؟.

ولقيت قلبه حديد؟.
ولقيت شعرك على لسانه نشيد؟.
ولقيت شعرك بيتجسد على مر الزمان؟.
ليه تموت ياعم ناظم،
قبل ما «أزمير» تغنى لك كمان؟.
كنت عشت.

ذهب الشاعر، وعاشت قصيده .. روحه .. التي نعود إليها لإعادة حرث الأرض مرة أخرى لكي تعود الطيور للشدو والأطفال للفرح و«الغيطان للفالحين» و«المصانع لأيدي العاملين». و«ياعم ناظم».

يا من آمنت بأن الأيام بذور سوف تنبت وتزدهر في أكف أجمل الأطفال الذين لم يولدوا بعد، في اليوم الأجمل الذي لم يأت بعد، ما أروع أن تفكّر بك عبر ضوضاء الموت وفوضى الحياة وغطرسة القوة وعولمة الاستغلال وعيث السنوات الأولى من القرن الواحد والعشرين.

ط. ش



المختارات



خطوات ناظم بريشة رسام الكاريكاتور التركي: فانو علي

ديوان ناظم حكمت

ترجمة

- واكييم استور
- طلعت الشايب
- فاضل لقمان
- نزيه الشوفي

قصائد ليلة ٩

<p>يا من تشبهين صفة السماء الريبيعة مشعلانا نارا في البراري ليلا ، الآمس النار ، الآمس الماء الآمس القماش الحرير الآمس الفضة الآمسك أنت حبيبتي يا من تشبهين النار المتقدة تحت التجوم أنا محاط بالناس ، إنني أحبهم أحب الحركة ، أحب الفكر ، أحب نضالي أحبك أنت يا حبيبتي فأنت إنسان في قلب نضالي ..</p>	<p>(١) أجمل البحار ذلك الذي لم يزره أحد بعد ، أجمل الأطفال : ذلك الذي لم يكبر بعد ، أجمل أيامنا : تلك التي لم نعشها بعد . أحلى الكلمات التي وددت قولها لك : هي تلك التي لم أقلها بعد .</p>
<p>(٢) تهافتت على الأرض ورحت أتأمل التراب ، أحدق في الأعشاب أمعن النظر في الحشرات ، انظر إلى الأغصان المكسوة بالأزاهير الزاهية</p>	<p>الساعة ٢١ صغير البوق غمر الساحة هادئ أوصدت أبواب المهاجر طالت مرة السجن هذه المرة .. ٨ سنوات .</p>
<p>(٣) أنظر إليك يا حبيبتي يا من تشبهين الأرض الريبيعة مستلقيا على ظهرى أرقب صفة السماء</p>	<p>الحياة مفعمة بالأمل يا حبيبتي الحياة مسألة باللغة الجدية مثل حبى لك .</p>
<p>(٤) أتأمل أغصان الشجر أتتابع أسراب البعير الطائرة أراك أنت حبيبتي</p>	<p>جميل أن أفكرك ذلك يبعث على الأمل إنه أشبه بسماع أجمل الأغانيات</p>

(٨)

حبي لك حبيتي
يثير في أعماقي سعادة،
مثل سعادة التنفس العميق في غابة
الصنوبر

يصدق بها أجمل الأصوات في الدنيا

غير أن الأمل وحده لم يعد يكفي
حرفتني أن أنشد الأغانى
لا أن أبقى أستمع إليها فقط.

(٩)

مثل سعادة غرس الأسنان في تفاحة
مكتنزة تكاد تنفجر ،
في يوم شتوى شفاف كبلور ناصع .. لا
خدش فيه!!.

قلما أحزن على ما فات

- باستثناء تلك الليلة الصيفية
حتى آخر ومضات عيني الزرقاء
تحمل إليك بشرى الأيام المقبلة

(٦)

«الخلية ملأى بالعسل»

أعني: عيناك مغمورتان بالشمس

عيناك يا حبيبيتي، عيناك جدا
ستصبحان تربا
في حين سيبقى العسل مستمراً يملأ
أعداداً جديدة من الخلايا

(٧)

إذا كان نصف قلبي هنا أيها الطبيب
فنصفه الآخر هناك في الصين ..
مع الجيش الزاحف نحو النهر الأصفر،
وكل صباح أيها الطبيب
كل صباح .. عند شروق الشمس
يعدمون قلبي في اليونان
وفى كل ليلة أيها الطبيب
عندما ينام السجناء ، ويغادر الجميع
المستشفى
يطير قلبي
ليحط على منزل مهدم في «أستانبول»
وبعد عشر سنوات

أمنا الطبيعة ستعلن ساعة الانصراف
ذات يوم
قالة: «لقد انتهى الضحك والبكاء يا
ولدى»

وستعاود الحياة التي لا ترى .. ولا تتكلم
ولا تذكر.. دورتها اللامحدودة.

<p>فى بورسعيد ،كان «منصور» يطوف الشوارع يكتب العيش بمسح الأحذية.. حافى القدمين ورأسه حليق، عمره عشر سنين منصور التحيل الأسمى كنواة البلح ساحر الصوت ، ينشد دوما دون انقطاع تراتيل لم تبرح فمه: «ليل ياعين» أشعلوا النيران لتشتعل بورسعيد .. مات منصور فيها برأيت اليوم وجهه كان فى صحيفـة . وسط الموتى صغيرا ..</p> <p>رباعية</p> <p>مستدق الصغر ..«ليل يا عين ..كنواة البلح».</p> <p>ترجمة: نزهة الشوفى</p> <p>* التقاول</p> <p>أكتب أشعارا لاتصل إلى المطبعة ،ولكنها ستطبع أنتظر رسالة تحمل بشرى قد تصل يوم وفاتى . ولكن وصولها مؤكـد</p> <p>سيغدو العالم تحت إمرة الإنسان،</p>	<p>ليس لدى ما أقدمه لشعبي الفقر سوى هذه التفاحة تفاحة واحدة حمراء هي قلبى هذا هو سبب الذبحة الصدرية أيها الطيب، ليس النيكوتين وليس السجن ..وليس تصلب الشريانـ. فى الليل ، أحدق عبر القضبان.. ورغم الثقل الذى يطبق على صدرى إلا أنه ما زال ينبعض مع النجوم البعيدة .. البعيدة .. ترجمة: ط. ش</p> <p>رباعية</p> <p>مادمت تحب ، وبقدراً ما تحب ، وما دمت مستمراً في تقديم كل شيء لن تحب ، وعلى قدر عطائـك ..أنت شابـ!</p> <p>ترجمة: ط. ش</p> <p>* بورسعيد</p> <p>هناك لاتحصل على السفن هناك تتدنو الشمس، دون سحب</p>
--	--

واكتفوا بالقاتل فى غياب السجون
فإنك ستتم هناك عشرة من السنين
بل خمس عشرة سنة إضافة إلى المدة
التي ستقضيها بعد،

دون أن تقول:

«ليتني لحت معلقا بطرف حبل
مثل راية ترفرف»

إنك ستبقى مصرًا على الحياة بعناد
قد لا تكون الحياة مليئة بالفرح بعد،
غير أنها دين بدمتك
أن تعيش يوماً إضافياً
كيلا للدُّعوِّ

. واجب عليك.

قد تبقى في أعماق السجن وحيداً
متكتئاً على أحد جنبيك
كما لو كنت صخرة في أعماق بئر،
ولكن على جنبك الآخر
أن يندمج بزحمة الحياة الصاخبة
حتى ترتقيف مستجيناً لأبسط حركة
تحديثها ورقة ذابلة.

عذب أن تنتظِر الرسائل وأنت في
الداخل
أن تنشد الأغاني العاطفية
أن يطَّلع الصبح وأنت مثبت ناظريك

دونما نفوذ للدولة أو للمال
ربما بعد مائة عام.. لا يأس
ولكن ذلك سيتحقق دون ريب

ترجمة : ف. ل

* حلم إبراهيم

رأيت حبيبتي في الحلم

رأيتها عارية الصدر تسير وسط
السحب
مثل القمر

أقف ، تقف . أنظر إليها ستنظر إلى
الدموع تتشال قطرة قطرة ، على أسلاك
الهاتف

سلك الهاتف يعني نبأ

والدموع تعنى الفرح

وابراهيم على استعداد لأن ينام في
السجن

عشر سنوات أخرى

شريطة أن يكون حلمه حاملاً بشرياء..
ترجمة ظـش

نصائح إلى مرشحي السجون

إذا ما كنوا عن تعليقك على المشنقة
لأنك لم تيأس من العالم
ومن وطنك ومن الإنسان،

ذلك ممکن .. شریطة ألا تسود تلك
الجوهرة
النائمة تحت ثديك الأیسر!

ترجمة : ف. ل

* **أسد في قفص حديدي**

انظر إلى الأسد في القفص الحديدي
حق في عينيه عميقاً:
مثل خنجرين من الصلب العاري
تلمعان بالغضب
لكته لا يفقد كبرياءه
رغم أن الغضب ينتابه ويزول عنه
يزول عنه ويتناهياً.
لن تجد مكاناً لطوق
تضعه حول رقبته الغليظة
التي يكسوها الشعر
رغم أن آثار السوط
ما زالت تلهب ظهره الأصفر
إلا أن أرجله ممتدّة
وتنتهي على شكل مخالب نحاسية
وخلصلات لبدته تتنصب شعرة شعرة
فوق رأسه المختال
الغضب ينتابه ويزول عنه،
يزول عنه ويتناهياً،
وطيف أخى على جدار الزنزانة

على السقف ،
ذلك عذب، ولكنه محفوف بالأخطار
انظر إلى وجهك بعد كل حلقة
أنس عمرك
احترس من القلم
ومن نسمات أمسيات الربيع الباردة
آخر ص أيضاً
على تناول حستك من الخبز حتى اللقمة
الأخيرة،
واحذر من نسيان الضحك ملء الفم...
 فمن يدرى؟
قد تقلع المرأة التي تحبها عن حبك
لا تستهن بالأمر!
فتلك مسألة جادة تحدث لدى السجين
شعوراً كما لو أن غصناً أخضر قد
قصف.
سيُأن تحلم بالورود والبساتين وأنت
في الداخل
جيد أن تعلم بالغابات والبحار
الصالحة.
أوصيك بالقراءة والكتابة على الدوام
إضافة إلى تعلم الحياة ونصب المرايا
ليس مستحيلاً أن تقضي في السجن
عشراً من السنين، خمس عشرة وأكثر،

إذا لم يكن مأحودا من التراب،
إذا لم يكن موغلا في أعماق التراب،
إذا لم يكن مادا جنورا قوية في التراب!
ترجمة: ف. ل.

يُظْهِرُ وَيُخْتَفِي ..
يُظْهِرُ وَيُخْتَفِي ..!
تَرْجِمَةً : طَش

* قصائد صغيرة

عزيزى كمال
لقد شجعني كل ما تقوله عن قصائدى
الصغيرة إنها لم تعجب «رشيد» فانتقدتها
إنما بطريقة المدح قائلًا إنها لا تليق بي.
لكن، فى هذا المجال أنا أعتمد عليك وعلى
«بيريا» وهذا يأخذ مني ساعة واحدة
لذلك فائنا لا الحق الفسرر بأى إنسان،
فهذه الساعة الصغيرة أستطيع أن أحافظ
بها لنفسى (.....) والآن إليك بعض العينات
من القصائد الصغيرة من الساعة ٢١ إلى

۱۹۴۵ آپلول (۱)

لقد جعلوا منا أسرى
لقد رمونا في السجن:
أنا من هذه الجهة من الجدران
وأنت من تلك
ما يحدث لنا ليس خطيرا إلى هذا الحد
الأسوء بالنسبة للإنسان
هو أن يحمل السجن في داخله

أسندت ظهرى إلى الجدار ..
الآن ... لا أفك فى الموت ..
لا أفك فى الحرية .. ولا فى زوجتى
أنا والشمس والأرض ..

شجرة

* الكلام

يتعرف الكلام في الفضاء.

بوعي أو دون وعي
هاهنا سقط أغلب الناس،
أناس شرفاء مجدون وطيبون،
ويستحقون أن تحبهم كما أحبك

٢٠ أيلول ١٩٤٥

ما أجمل أن أفكر بك،
إنه شيء مليء بالأمل
كم يضفي إلى أحلى الأغانيات
ينشدها أحلى الأصوات في الدنيا
لكن الأمل لم يعد يكفيني،
فانا لم أعد أريد سماع الأغانيات،
أريد أن أغනيها بنفسي

٢ تشرين الأول ١٩٤٥

الهواء يجري ويغيب
والنسمة نفسها لاتحرك أبدا غصن
الكرز نفسه
والعصافير تزقزق على الشجرة:
الأجنة تزيد أن تطير
الباب موصد: نريد أن نقتحمه ونفتحه
وأنا إنما أريدك أنت:
لتكن الحياة جميلة مثلك،
وصديقة مثلك،
وحبيبة مثلك

أعرف جيدا بأنه لم ينته بعد
عيد الشقاء هذا
لكنه سينتهي يوما..
حلمت بك هذه الليلة:
كنت جالسة على ركبتي .
رفعت رأسك وأدرت نحوى عينيك
الواسعتين من ذهب.
وكنت تطرحين على الأسئلة
شفتكا الرطبتان تنفتحان وتتغلقان
لكننى لا أسمع صوتك
وفي الليل ، فى مكان ما، مثل نباً مضى
تدق الساعة.
أنا أسمع فى الهواء ضجيج اللانهاية
ضجيج الخلوى
وفى قفصه الأحمر صوت «ميمو» كتارى
وقرقة البذور التى تشق التراب
وتترفع فى حقل محروث
وضجيج جمهور، قوى بحقه «مظفر
شفتكا الرطبتان تنفتحان وتتغلقان
دون انقطاع،
لكننى لا أسمع صوتك
لقد أفقت غاضبا،
كنت قد نمت على كتابى
وأتسائل بكل هذه الأصوات .. هل كانت

إذا كان الوطن يعني : ما يدخل صناديقكم المقلقة.	ترجمة: واكيم استور	صوتك؟.
ما في دفاتر شيكاتكم	* خائن الوطن	
إذا كان الوطن يعني: الموت على الأرضية جوعاً،	« لا يزال نظام حكم مصر على خيانة الوطن،	
إذا كان الوطن يعني : ارتجافا من البرد شتاء ، وموتا بالملاريا في الصيف،	فقد قال : أصبحنا شبه مستعمرة للإمبريالية الأمريكية»	
رذا كان الوطن يعني : أن تشرب دمائنا القانية في لعامل.	هذا هو ما نشرته إحدى صحف أنقرة على ثلاثة أعمدة	
إذا كان الوطن يعني: مخطبا بآيدي	بنحروف سوداء ..سوداء صارخة.	
الأغوات،	في إحدى صحف أنقرة بجانب صورة	
إذا كان الوطن يعني : كتابا أصفر وكرياجا بيد البوليس،	الأدميرال «وليمسون» وهو يضحك محتلا مساحة ٦٦ سنتيمترا مربعا ضحكة عريضة	
إذا كان الوطن يعني: قواعد أمريكا	أوصلت فم هذا الأدميرال إلى أذنيه.	
قبليه أمريكا ، أسطولا أمريكا ومدافع،	الميزانية الأمريكية منحتنا ١٢٠ مليون ليرة هبة ١٢٠ مليون!	
إذا كان الوطن لا يزال يرثى تحت كابوس ظلامكم العفن ،	قال «حكمت»: نحن شبه مستعمرة	
فأئنا خائن لمثل هذا الوطن.	أمريكية	
هيا اكتبوا الماشتتات السوداء	نعم ! أنا خائن للوطن إذا كنتم أنتم	
واملأوا الصحف الصفراء فنظام حكمت لا يزال مصر ، كل الإصرار،	الوطنيين	
على خيانة هكذا وطن!.	وإذا كنتم أنتم من محبي الوطن..	
ترجمة : ف. ل	فأئنا خائن لهذا الوطن!	
	إذا كان الوطن يعني : مزارعكم	

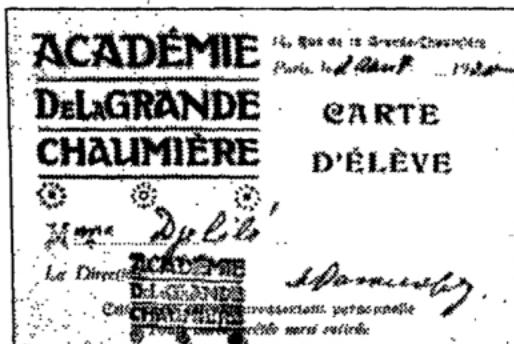


برعت الفنانة جليلة حانون في رسم البورتريهات والصورتان لإبن أحصيها وأمها

- ٣- العيش شئ رائع يا عزيزى- رواية
ناظم حكمت -ترجمة نزية الشوفى.
دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت- ١٩٨٩.
- ٤- ناظم حكمت : السجن، المرأة، الحياة
حنا مينا -دار الأدب- ١٩٧٨.
- ٥- «ناظم حكمت» : أشعار تسهر على
الإنسان -جابر العايرجي -أدب ونقد
ـ ١٩٩٠.

المصادر:

- ١- مجموعة الأعمال الشعرية الكاملة
لناظم حكمت ترجمة فاضل لقمان (دار
الفارابى -الجزء الأول(١٩٨٧)-الجزء
الثانى (١٩٨١) -الجزء الثالث
(١٩٨١)-الجزء الرابع (١٩٨٧)-الجزء
الخامس(١٩٨٧) -الجزء السادس(١٩٨٧).
- ٢- رسائل من ناظم حكمت -ترجمة
واكيم استور -منشورات وزارة الثقافة
السورية -١٩٩٥ .



بطاقة عمرها أكثر من
٨٠ عاماً حلت اسم (الطالبة)

جليلة

« جليلة خاتوم أم ناظم حكمت رائدة الفن التشكيلي في تركيا »

· أشرف أبو اليزيد ·

كرست جليلة خاتوم حبها لابنها الشاعر ناظم حكمت، وكانت سندة في أكثر من مناسبة، وهو شاب غض، أو حينما بادرته الحياة بمصاعبها بسبب آرائه وأشعاره، وخاصة أنها انفصلت عن والد ناظم في سن صغيرة. ولا شك أن تمرد الشاعر التركي المعروف كان يستمد عنفوانه من أمها.

فخلال سنوات سجنها في مدينة بورصة التركية، ولكن تكون إلى جواره، استأجرت جليلة بينما قريباً من السجن. وكان من بين مواقفها الأشهر للدفاع عن ابنها حين علقت لافتة على جسر (غلطة) تعلن دعوتها لجمع توقيعات لدعم ناظم حكمت الشاعر السجين، وكان قد بدأ إضرابه عن الطعام. أثارت دعوتها الكثرين، وسدت الجماهير الطريق فوق الجسر. وحين ظهرت الشرطة، وأخذت جليلة للسؤال عن مدى تورطها في المظاهرة، وعن وضع اللافتة لها فوق الجسر، أجابت بأن التوفيق على اللافتة يقول: جليلة الرسامنة.

البدايات: أكاديمية فنون نسوية!

تعد الفترة الواقعة بين العام ١٩٠٨، والعام ١٩٢٣ وهي ما سميت بمرحلة الدستور الثانية أحد أهم الفترات في تاريخ تركيا وتحولها إلى النموذج الغربي وهي المرحلة التي شهدت ظهور الحركة الفنية النسوية في تركيا. وفي العام ١٩١٤ أنشئت أكاديمية الفنون الجميلة النسائية والتي استمرت حتى العام ١٩٦٦ (وكان في مقابل ما يسمى أكاديمية الفنون الجميلة للرجال) وارتبطت حركة الفن النسوية في تركيا باسم الفنانة ميهري خاتوم، مديرية الأكاديمية. وكان للأكاديمية الدور الأكبر للمشاركة النسوية في معارض غلطة سراي للفنون طوال العشرينات من ذلك القرن وبعدها. ولم يعد دور المرأة في الفن أن تكون مجرد موديل للوحة بل ساهمت في مسيرة الفن ذاتها، الأمر الذي كان له الدور الأكبر في صياغة الحياة الثقافية المعاصرة.

كانت جليلة خاتوم إحدى عضوات الرعيل الأول من جيل الفنانات، وكان لها بشكل أو آخرخلفية الثقافية نفسها التي تميز بها جيلها المولود في ثمانينيات القرن التاسع عشر. فكان التعليم الذي نالته لا يمنع إلا لعلة القوم، من العائلات الثرية والمتعلمة، ورغم كل ما أحاط هذه الأجيال من تميز، إلا أن الصعوبات التي واجهتهن، كفنانات، كانت كبيرة من أجل بناء جسور بين معاهن الفن والضغط العائلي. ولم يكن الأمر سهلاً للكثيرات منهن للتوفيق بين هذه الظروف.

الجذور: ألمانية بولندية !!

ولدت جليلة خاتوم بمدينة استانبول في نهاية العام ١٨٨٣، من عائلة لها أصول ألمانية بولندية، وعمل والدها إنفر باشا يقسر السلطان عبد الحميد الثاني، وهو ابن مصطفى جلال الدين باشا، أحد اللاجئين إلى تركيا خلال الثورة البولندية، وقد اعتقد الإسلام، ورجل بطلاً في جيوش الإمبراطورية العثمانية. قسطنطين بورزنسكي (اسمها في السابق) وصل استانبول طفلاً، في العام ١٨٤٨، بعد أن هرب من بلاده بسبب ما لاقاه من تعذيب، فقرف الصبي من على ظهر سفينة تغير البوسفور وسيح حتى شاطيء المدينة، وكان أن تعهدد على باشا كبير الوزراء آنذاك. بسبب ذكائه الفطري ووسامته، ورتب لتحوله إلى الإسلام ليحمل اسم مصطفى جلال الدين. وبعد أن أتم الشاب دراسته المتوسطة، دفع به إلى المدرسة الإمبراطورية للهندسة، وهناك أعجب به مدير المدرسة عمر باشا، فقربه إليه وزوجه ابنته صديقة. ورزق الزوجان باشن سمياه إنفر، وهو والد جليلة.

وبالإضافة إلى معرفته باللغات الأجنبية، كان جلال الدين باشا رساماً موهوباً وخطاطاً بارعاً، لذا لم يكن مدهشاً أن ترث حفيته تلك المواهب الفنية. أما أم جليلة، ليلي خاتوم، فهي ابنة المارشال محمد علي باشا، وهو أحد من لجاوا إلى تركيا من أصول ألمانية.

أمضى إنفر بأشا فترة شبابه في باريس، وعرف لغات عده، لذا كان تأثيره في تعليم ابنته واضحًا ، فدرست فن الرقص وتعلمت العزف على البيانو، وفي سن صغيرة تعلمت اللغتين الألمانية والفرنسية، حتى صارت الفرنسية لسانها الطلق في التواصل مع أصدقائها من الجنسيات غير التركية في استانبول. ولم تكن تبلغ من المراهقة حتى كتلت أفكارها وسلحتها للتعبير عن نفسها بتميزها. ومنحتها الشجاعة عقل متفتح وشخصية أحسنت تكوينها مما دفعها لتكون صوتاً قوياً ضد تميز الرجل وسطوته، في وقت كانت فيه أفكار النسوية وصراعاتها لا تزال في المهد.

وقد خصص إنفر بأشا لابنته مدرسین خصوصیین، وبفضل خدمته في القصر، أصبح من الأصدقاء المقربین للفنان إيطالي بوهیمی، هو فاوستو زوتارو، الذي أقام في القصر السلطاني خلال وجوده في استانبول. وبفضل تلك العلاقة بينهما، كان من السهل لإنفر بأشا أن يرتب لابنته سلسلة من الدروس الخاصة على يد الرسام الامبراطوري. وهو ما ساعدتها في حياتها الفنية، إلى جانب دراستها الأكاديمية في روما وباريس.

غرام جليلة الجميلة!

ولم يكن الذكاء فضيلة جليلة الوحيدة بل جمالها الأخاذ والنادر. رآها حكمت بيك في أحد حفلات الزفاف فوق في غرامها منذ النظرة الأولى وتزوجها، ثم انتقلت للعيش مع أسرته في مدينة حلب، وكانت جليلة مضرب الجمال هناك حتى أن نسوة حلب كمن يتحسن بشرتها كلما رأينها للتأكد من أنها حقيقة! لكن زواج جليلة من حكمت بيك لم يدم طويلاً، فكان الطلق، وفي سن الأربعين انطلقت إلى باريس.

كان توقيع جليلة مفروضاً بالحروف اللاتينية غالباً والعربية نادراً يذيل لوحات الرسامة، إلا أنها اختارت لقب أوغارالديم بعد قبول قانون ١٩٣٤ الذي يسمح للأثراك باخاذ ألقاب. وجينأخذ نظام إلى المستشفى لإسعافه عقب إضرابه عن الطعام، لم تستخدِم جليلة اسم حكمت بيك مما يدل باعتراضها بنفسها كرسامة مستقلة بشخصيتها واسمها عن الجميع. في استانبول نالت جليلة خانوم شهرة واسعة بسبب جمالها الأخاذ خلال بواكير العشرينيات من القرن الماضي، وقد تزوجت من حكمت بيك، ابن ناظم بأشا أحد أفضل حكام المقاطعات في تلك الحين، كما كان معروفاً بالمثل كشاعر يكتب قصائد غامضة، وقد خدم حكمت بيك في مناصب هامة (عمل قنصلاً في المانيا، و مدیراً للصحافة والمطبوعات ورئيساً لبروتوكول) لكن زواجهما انتهى في نهاية سنوات الحرب العالمية الأولى. وانتقلت جليلة هاتم بعد ذلك إلى برلين، وكانت إقامتها بها آنذاك أكثر فترات حياتها الفنية خصوصية.

وفي برلين أغرم يحيى كمال بأشا بجليلة خانوم لكن علاقتهما انتهت في العام ١٩١٧، ضحية للشائعات التي أحاطت بهما. وطافت على يحيى كمال مشاعر الرفض حتى أنه حاول الانتحار بتناول السم حينها.



بورتريه عائشة الخفيدة بريشة جليلة

ويقول الكاتب محمود فؤاد مؤرخاً إن العاشق كتب لجليلة هام قصائد عنونها: التوحد مع المشوق .. تعالى معي ... الربيع في أريناكويو.. رسالة قيمة وانتهت الشائعات حينما قطعت جليلة كل انشطتها في ألمانيا وسافرت إلى باريس لاستكمال رحلتها الفنية. ولدراسة الرسم على أصوله الأكاديمية، وهناك استحوذت دراسة الجسد الأنثوي العربي، حتى أنها استأجرت حماماً خاصاً في العاصمة الفرنسية لترسم ما شاء لها.

رسامة الجسد الأنثوي!

عندما عادت جليلة إلى تركيا ظلت تمارس فنها الأثير الرسم، مخصصة له جل وقتها وجهدها، لتكون رائدة من رائدات الفن الحديث في الدولة التركية. واستمرت في أسلوبها ترسم الموديلات العارية بعد أن نقلتها إلى جو الحمامات التركية ، ورغم براعتها في رسم البورتريه إلا أن شهرة الفنانة جليلة في تركيا ارتبطت برسومها لتلك الأنثى العارية في مشاهد الحمامات التركية. وكان منزل جليلة خاتوم في استنبول مرسماً آخر لفنانة الكبيرة

ركزت جليلة على لوحة الجسد العربي، بشكل مثلى في تلك المرحلة المبكرة اتجاهها صارخًا، واختارت كذلك - مثل كل فنانات المرحلة - الانحراف في رسم البورتريه وكان تركيزها الأساسي على رسم بورتريهات لأفراد عائلتها، وظل رسم البورتريه جزءاً هاماً من حياتها كموهبة ولدت معها، ويعكس بورتريه ذاتي من مجموعة ابنتها موهبتها الأصلية في هذا المجال. ويبدو من الرسوم الخاصة بدراسة الموديلات العارية أن جليلة خاتوم كانت تعنى تماماً كل أسرار النسب والتشريح للجسد البشري، بفضل ما تلقته من دروس خاصة سواء في الاستوديوهات، أو على أيدي الرسامين المشهورين.

وشاركت الفنانة خلال سنوات الحرب في معرض ليفيسيه - خلطة سراي بلوحنة عنوانها: امرأة تشرب القهوة، كما تخربنا الصحف أنها افتتحت معرض أضنة في الأربعينيات من القرن الماضي، وفيما عدا هذين المعرضين، لا يتوارد أي ذليل حول إقامتها لمعرض فردي آخر، حتى توفيت في انفورة في العام ١٩٥٦ ميلادية. وفي العام ١٩٨٨ ميلادية أقيم معرض لرسومها نظمته ابنته سامية بالترим في مركز باكروكيه للفنون ضم ٢٢ رسماً و ٢٢ لوحة.
بورتريه عائشة

يعد هذا البورتريه أحد أهم أعمال الفنانة جليلة، ولا تقل قصتها أهمية عن البورتريه نفسه. فعلى الرغم من التوصلات الكثيرة للفنانة لحفيتها عائشة التي كان لها نفس جمال جدتتها الأخاذ، حتى تستطيع تسجيل محبوبتها الصغيرة، إلا أن عائشة يلتزم كانت تمتلك طاقة أكبر من أن تجلس في وضع البورتريه، وأخيراً رضخت للتوصيات جدتتها ولكن لمرة واحدة.

واستطاعت الفنانة بمهارة لم تكن نادرة بالنسبة إليها أن تحفظ بملامح الحفيدة الجميلة، في البورتريه المرسوم بالزيت على الكانفاد، وبخاصة تعبير العينين.

تم تعليق هذا البورتريه في منزل العائلة بضاحية الموضة باستنبول. وذات يوم زار البيت صديق لعائشة كانت تخرج معه بين الحين والأخر وقال لوالدتها زيادة يلتريم: إن كنتم لم تسمعوا لي بالزواج من عائشة، فلتنحووني على الأقل فرصة الاحتفاظ بصورتها. وكان له ما أراد، واحتفظ الصديق المجهول باللوحة.

بعد مرور سنوات، كانت خلالها عائشة قد تزوجت، وطلقت مثل جدتها، أثير موضوع اللوحة في إحدى الأسپيات، وأخبرها أحد الأصدقاء أن صاحب اللوحة؛ صديقها السابق قد سافر إلى ألمانيا وأن اللوحة معه، وأنها شاهدت تلك اللوحة في داره هناك وأنها تأثرت بها أنها تأثر.

وذكرت عائشة البورتريه النادر وبدأت رحلة استعادته، ونفع إلى علمها ذات يوم أن صاحب اللوحة قد عاد إلى استنبول فاتصلت به هاتفيًا وأخبرته عن رغبتها في استعادة اللوحة ، وكانت إجابته: لقد ظلت أحمل هذه اللوحة معي سنوات حتى أخذتها مني إلى ألمانيا، وأن أوقاتاً عديدة مررت عليه دون أن يفك في بيعها. وأن اللوحة تحتل مقام الشرف في منزله، وحينما أصرت عائشة أجابها بأنه مستعد لبيعه البورتريه بلوحة أخرى للفنانة جليلة تصوّر صياد سمك فقيراً . وحين تم الاتفاق استبدلت اللوحة في احتفال عقب حفل عشاء وعادت اللوحة للأصل مرة أخرى.

فن وثلاث نظارات !!

لم تكن جليلة فنانة وحسب بل كانت من أكثر الفنانات إنتاجاً، تعمل منذ ضوء الفجر الأول وحتى غروب الشمس، في زاوية من بيتها وحين تقدم بها العمر وضعف بصرها بسبب مرض الكثاركت بدرجة لم تكن جراحة تلك الأيام تقوى على إصلاح ما أفسده الدهر، ولكنها لم تفقد حبها للرسم، فكانت تتضع على عينيها ثلاثة نظارات مرة واحدة لتوسيع عملها.

وكان إنتاج الفنانة جليلة الضخم يتوزع على شكل هدايا مجانية، للأصدقاء والأقارب بشكل لم يبق منه الكثير، وتتبع كميات هائلة من هذا الإنتاج الآن خارج إطار العائلة، وكانت صور حماماتها التركية هي الأكثر شعبية، وحين كانت تهدي إهداماً لأحد الأصدقاء أو الصديقات كانت تشرط: أن توضع اللوحة في قاعة المعيشة لا غرفة النوم؟



العاديون

● فاروق خلف ●

لتعرفنا أنفسنا ،
نتبادل أدوارنا ..
فصرخت زهرة في البرية
وخرست صرحة في ازدحام الألم :
انظروا ، هذا هو البطل !
لا ، هذه هي الخرقة ..
وقرب النهاية ،
سنسمِّر أشواقنا على أديم السماء !
نحن العاديون ، أبناء العاديين ،
جئنا من صلب المعتاد
ومن رحم العادة

نحن العاديون
أبناء العاديين
نريد أن نجبر الطبيعة والكتائب :
البحر ، النهر ، الطفل ، الطريق ،
الريح
على السير بطريقه ليست طبيعية
مثلنا ..
نسمي رفضها خيانة
وعندما نلتقي في مرايا الزمان /
المكان / العواطف /

أدب ونقد

شعر



المشقة لم تكن في القتل

حسن خضر

ناحية السماء
المشقة لم تكن في القتل
ألف جثة
الفنان ربما،
فى دقيقتة
سوف يأكل ملأ البكاء - للليال عديدة
جفون الملائكة التادررين

وهو يتفقد الجثث
كم يبحث عن حبة
بين الحصار
بدارشاشة الثقيل خفياً
وضعيفاً فوق كتفه:
عصا خشب
تنظر بفوهه باردة



معذرات لله البصير
عن عدم غسل الموتى لأسباب عديدة
وممتازات للقتلة الأجنبيين
عن النظرة الأخيرة في وجوه من
ماتوا:

هل ترون هذا القليل
من الرضا في الموت؟
المشقة لم تكن في القتل
بل في البحث عن رمالٍ
خلط ذراحتها من حطام عربٍ ميتين،
عن أرض تقبل الجث الجديدة
كل يوم - تحت عين الله
في الشهر الحرام
المشقة لم تكن في القتل أبداً
كل المشقة في النظر
والصمت.

الذين بدوا - كعادتهم - عاجزين
عن فعل شيء
ونادمين على بقائهم إلى الآن
في حياة كهذه.
لم تكن المشقة في القتل

ولا في اقتسام جثة القتيل
سوف يتعب المتشيعون الأطفالُ
الذين صاروا رجالاً
حين توارت طفولتهم مع الآباء
الميتين للتلوّن
تحت التراب
ستتعب المتشييعات الازاملُ
اللاتي أكدن دون عويلٍ
على ضرورة لف أجساد رجالهنَّ
بقمash أبيض
قبل الدفن..

شهادة



النص جوهر الروح بوصفه نوراً

* أحمد الشهاوى *

سعيت إلى أن تكون لغتي مصورة باطنى، وأن تعبر عن سماوات روحى ، وأن يكون الوصل بين روحي يمر عبر طريق اللغة ذلك الطريق الذى سار فيه قبلى شيوخ وأقطاب وأئمة وشعراء وواصلون وعشاق جاء فى مقدمتهم عمر ابن الفارض وجلال الدين الرومى والحسين بن منصور الحلاج والنفرى وابن عربى وأبو يزيد البسطامى ، «فقد تعمقت الأحوال الصوفية ودققت المعانى وتفردت ، فلم يعد بإمكان اللغة العادبة أن تصور

الدقائق الصوفية التي يود أهل الطريق البوح بها(١).

كانت مشكلتى أن أطير داخلى لأعبر وأمحو ما اعتيد قرائته ، وأن لا أسيء فى سياق القاموس الذى أقره الصوفية حتى لا يصير ما أكتب صوتا لنظرى ورؤاي ، بدلأ عن أن يكون تعبيرا لغويًا عن أحوالى وتجاربى ونظراتى ومعاناة طرقى ، فكان الشطح طرقى حتى أهلكنى جنونى وصيرنى أنا واللغة شيئا واحدا.

كان طموحى أن أذهب إلى بعيد ، وأن أصل إلى النقطة التى توحد فيها لغتى بحالى ، سلوكى بحلمى ، وأن تغرق ذاتى فى النور ، وأن ألوذ بشواهدى ، وأستقضى بما أعرف وأعيش ،لتبدو صورتى متجلية فى نصى كأحسن ما تكون.

فالشاعر يكشف بلغته حيث إن الباطن مكشوف بال بصيرة ومتطور إليه بعين القلب وقلب الروح ، ولا مجال هنا - في هذه الحالة - لبناء نص يتهندس بأساس الذهن وعمود التعمد ومواد القصدية.

وهذا الكشف من شأنه أن يسم النص بالستر والإيانة معاً ، لأن فى البيان ترجمة لاحوال الشاعر ، تلك التى تتقلب وتتحول ومن ثم يخلق نصا لا يستغير لغة السابقين ويبنى بناء غير مطروح ، لا يراعى المتعارف عليه والمواضيع المستقرة والتقاليد الفنية الثابتة ، فالروح تجرب وتوسس لغتها طالما هي فى أساسها فريدة لا تتشابه أو تتقاطع أو تقلد ، لأنها خلقت لتكون نفسها ، وذلك من طبائع البشر وصنع الخالق.

إذا كان الأشراقيون من الصوفية قد سعوا إلى خلق لغة جديدة رفت الشعر المكتوب بالعربية والفارسية على وجه الخصوص وجعلته يبتعد عن اللغة الشائعة المتداولة المتاحة بين أيدي الشعراء التى ابتذلت من فرط استعمالها وتشابهها ، فإن الطموح الدائم لديهم كان يتبدى فى العودة إلى «أصل اللغة : الحرف . وإلى التجلى الأتم لها : القرآن»(٢).

ولم يكن الإعلان عن ميلاد لغة أخرى مغایرة إلا بداية لتفكيك ما راكمته اللغة العربية من إرث على مستوى الدلالة والصوت والإيقاع والتشكيل ، والنظر فى تقديم لغة لا تكرر نفسها ولا تراكم ما أنجزه السابقون فى التراث العربى ، وإن كان قد حدث هذا من

طبقات الصوفية المتأخرین ، الذين أعادوا إنتاج أسلافهم ، وقد طالت هذه الإعادة –أيضاً– شعراً . يفصل بينهم وبين الأوائل ألف سنة أو يزيد.

والصوفي في شعره . يخلق علاقات جديدة ، لم تعتدتها الذانقة ، ويقدم رموزاً تكشف طريقة ، لأنها بالرمز يجلب المكنون ، ويبوح بالسر وتطرح نفسه أسماعها وحروفها وما انطبع في كتاب مرآة هذه النفس من سياحات وسباحات.

الشاعر يسعى نحو «سر الظرف المودع في الحرف» (٢) وقبله أودع الجنيد أسراره في رسائله والحلال في ديوانه وطواويسه ، والنفرى في مواقفه ومخاطباته ، وابن عربي في فصوص حكمه وفتוחاته وغيرها من تجلياته المهمة ورسائله المتوعدة الباقية ، وابن الفارض في ديوانه الأهم وغيرهم من الاشرافيين الأقطاب الذين أضاءوا روحي ، وأثروا طريقى وقادوني نحو قلقى باتجاه النور الأسى والعشق الذى فتحت به بابى.

استتر في شعري لأعرف ، غايتى أن أدرك ، ولا يكون ثمة حجاب بين نصى أنا (العاشق) وبين متنقى«المشوق» ، كونت مكانى وليس لي مكان ، أنا الذى فى» اللامكان« أوجد ، أطمح أن أفهم بالقلب وأحس بالروح ، وفهم معنائى لا يشغلنى ، فـ» العجز عن درك الإدراك إدراك« وقد أودعته سرى تاء متكلمى . وقادنى المقدس إلى البشرى وبالبشرى إلى المقدس ، ولم أشاً أن أنقلق فى شكل ، بل حاولت أن أفتح لى أكثر من طريق نحو أكثر من شكل وكانت حياتى فى تجاربها وخصوصيتها قد ساقتني لأن أكتب بلغتى ، فدخلت قفص وجودى لأتحرر ، وكان لى نCHAN فى نص ، نص معلن وأخر مضمر وبينهما يولد التأويل وتنعدد القراءة ، ولم أكن فى ذلك مراوغًا أو لاعبًا (مع أن الشعر لعب ومراوغة) بل كنت صورتى فى مرأتى ، لا حجاب بيني وبيني ، ولم يكن ثم إلا أنا.

طموحى سطحى الصوفى والشاعر –أن أجدى الكنز الأكبر، وأصل إلى السر الأعظم ، وكل محاولة في الكتابة هي تمريرن ومجاهدة نحو الوصول والوصول إلى النص الأكمل أو النهائي أو الأخير أو الصياغة الأبقى للوجود لا ينتهي إلا بالموت ، ففيه نملك ولا نملك . طمحت أن أشرك قارئي فيما أكتب، بأن يولد دلالة ما عبر قراءته ، وأن يتحد حاله

بحالى ، ويصل إلى الحالة السماوية عبر ما لا يقال ، وهو ما أترك من بياض وفراغ ،
هما - في الحقيقة يشيران إلى نص غير مرئي أقصده ليس ضنا مني بالمعنى أن يشيع
في غير أهله ، ولكن لأن العبارة دائمة ما تضيق علىَ.

مدركًا أن الطرق إلى القصيدة على عدد أنفاس الشعراء وأن السفر في الباطن يبعد الظاهر عن الواقع في أسر الشكل والاحتفاء بالخارجي المؤقت.

كنت ما زلت -أحلم أن تكون لدى قدرة على أن أنتقل من مكان إلى آخر ، وأن يوجد
في أكثر من مكان في زمن واحد ، داخل روحي ومن ثم داخل نصي الشعري أو التثري
، وربما لازمني هذا الحلم من فرط إيماني بكرامات الأولياء الذين لهم مسالك جلية
، ولأسرارهم بهجة ولأنوارهم معادن وهذا ما جعلني أعيش حالة القرب والاتصال فيما
اكتب ، لأخرج سرى المختبئ ولأننى أدرك أن الكرامة خرق للعادة وكسر للمألوف ،
فكنت أسعى إلى أن يكون نصي فى لغته وبيناته وتشكيله كrama يختلف عليها ، باعتبارها
لم تقم من قبل.

فوجدتني أحبي الكرامة في نصي خصوصاً في: كلام الموتى ، انفلات البحر والمشي في ، انزواء الأرض وطى المكان ، كلام الجنادث والحيوانات على الزمان ، الاطلاع على نخاثر الأرض وكنوزها ، وغيرها من أنواع الكرامات التي صنفها اليافعي والبنهانى ومن مراقبتى لنفسى رأيت أن هذا يتحقق عندما أكون في حالة وجد عظيم وهذا الحال كثيراً ما يدور معي .

والصوفى سره دائماً مكشوف ، ولكن ليس متاحاً للعامة، بل يحتاج إلى متلقٍ من نوع خاص ، يحتفى قلبه وتحتفظ روحه بما تنتجه نفسه من فيوضات وإشرافات وتجليات والصوفى فى شعره أو شره ، يبتغى خلوداً وبقاء ، لا يكتب نصه للراهن أو الحدث أو جرياً للعادة ، أو تماشياً مع عارض مؤقت ، بل إنه يسعى لأن تحفظه الذاكرة وتبقيه الأيام وكان ابن النفيس يقول: لو لم أعلم أن تصانيفي تبقى بعدى عشرة آلاف سنة، ما وضعتها» ، لأن الصوفى يعلم أنه حينما يبدأ في الكتابة فإنه يبدأ في فتح قوس روحه ومن ثم يكون في حال من الوجود والشطح والمحبة والسكر يجعله يوسع أكثر من

أفق في خياله، هو والخيال العربي بوجه عام ، لأن الصوفيين قدموا في نصوصهم إضافات ساهمت في إثراء المدونة العربية الإبداعية ، وألغت الشعرية العربية، في حين أن الشعر العربي الحديث لم يلقي إلى الإبداع الصوفي إلا متأخرا ، بينما كان شعراء أوربيون وأمريكيون قد التفتوا إلى التراث الصوفي العربي والإسلامي وأقادوا من منجزة الزاخم. هذه التجربة الروحية التي عشتها في نقاوتها ويساطتها وعمقها ، جعلتني أ Skinner من المعنى ، وأن أتخذ المحبة طريقا لي، حتى صار العشق يدل على ويشير إلى خصوصاً أنتي لم آخن في الهوى قط، مستعيناً بيتي الحال:

لي حبيب حبه وسط الحشا
إن يشا يمشي على خدى مشى
روحه روحي وروحى روحه
إن يش شئت وإن شئت يشا

هذه الوحدة ، لم تجعلني أتعامل مع المحبوب باعتباره آخر ، أو أنا غريبة نائية عنى بوكوني أذوب فيه ، لا يعني أبداً استلاب ذاتي ، أو ذوبانها بوضياع هويتها ومسخها ، أو نفيي وإقصائي أنا المحب بل إن هذا الاتحاد الذي لا أسميه أرضيا ، هو عين التجلّي وبعث المكامن وهتك المخبوء وكشف المحجوب والروح لا تنطلق تلقائياً إلا بمثيرها والدخول في حالة أبدية غير متقطعة سواء كان فيها الشاعر في حالة كتابة ، أو تحضير كتابة لأنني أعتبر الصمت كتابة والورقة البيضاء التي تنتظر حبرى أرضاً محرومة بذاكرتها ، مكتوبة بتاريخها منذ كانت ورقة خضراء.

هذا المحبوب يبحث معي عن صوتي ، يهدبني إلى نفسي يكشف لي ما غمض في ، يجلّي عتمتي ، يضوئ داخلي ، عارفاً أن لكل شيخ طريقة ، وكل شاعر قصيدة ولا تتطابق الأنفاس أبداً ، لأن للروح إيقاعاً وعالمًا مختلف من ذات إلى أخرى ، من حيث إن للذات تاريخاً من شأنه أن تنشأ القصيدة من دمه ، خالقة شكلاً تعبريراً غير مسبوق ويعتمد على الأساس على تاريخية الروح وزخمها ، حينما تسطع شمس المحبوب عمودية غامرة قلب العاشق ، فتدان له الأسرار ، وتتنزل عليه المواهب ، ويصير وحيد زمانه في

العشق ، لأن النهايات كما يقول الصوفيون - لا تصح إلا بصحة البدائيات ، كما أن المسافة التي بين المحب ومحبوبه قد طويت وليس ثم انفصل ، أو هوة ، وإنما هناك محبة منتجة تأسست على الامتلاء والفيض ، تشير في توحدها إلى نهجها الإشرافي الفلسفي . حيث يتآله المحبوب ويقتدُس ويتنزه عن المعابِد والأخطاء ، ويرقى إلى مصاف الإله الذي يصير إنساناً ويحدث الاتحاد بالذات الإلهية .

ولم أر اتحاداً أو حلولاً بين اثنين كانا ، إلا جاءا بعد فنائهما ، حتى لا يكون بينهما فرق في نفس وجودهما « ولعل الحسى والروحى يمتزجان فى التجربة الصوفية ، متوجين نصا له جنوره القديمة عندما أخذت الصوفية من الغزل العربى الصرير والعذرى معاً المرأة رمزاً للحب الإلهي ، وهذا لم نجده إلا في الشعر الصوفى الفلسفى الذى لم يهتم بهدى الشريعة حيث يتوحد الشاعر ويخلق نصا له واحدة من حيث المكان والزمان واللغة ، باعتبار أننا أمام ذات واحدة بعدها اتحاد بـ « وحلّت » في من تعشق .

حاولت أن أقدم نصا له معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر ، لا يظفر به إلا أهله ، حسبما قال السراج الطوسي يخفى ويوحى ، لا يعطي دلائله منذ الكشف الأول ، يحتاج إلى تبصر ونظر في الباطن ، ومكابدة . لأن روحي دوماً بين ترق في معارجها ومحبوبى هو الكل ، لم أستطع وأنأنا منشغل به - أن أعبر إلا رمزاً ، لم أستخدم وسيطاً في سبيل الوصول إلى المحبوب ، بل وصلت إليه وصلته مدركاً أنه . لأنى لم أكن في نقطة زمانى، حيث أخرجنى محبوبى من حدود الوقت ، وصررت خالياً من ذاتى وكلما اقتربت مرات المسافة وخلقت الشعرية التي أسعى إليها والتي ولدت عبر سفر روحي في ذاتى التي تحمل زمانى ومكانى معاً .

ولا يبني النص على المطلق ، إذ في الإمكانية أن يتجسد « العلو » رمزاً فيما نتحد به جوهرياً ولا يصير هناك غائب وحاضر أو تضاد بين حالين ، لأنه في مثل هذه الحالة لا يمكن للشاعر أن يبني نصا له اكتماله ودماهنة النقية ، وإنما النص يخلق من « مسيل ذهب » قلبان صارا إنساناً كاملاً ، يتلقى عبر معرفة نوقية من قبل متلق يرتفع إلى المقدس داخلاً فيه كأنه إله ، إذ يرتفع إلى مرتبة الكمال .

اجتهدت لأن آمزق حبّي كي أراني ، وأدرك حقيقتي محررا طاقتى ، مستخدما
مالدى من خرق للحدود معمولا على ذاتى بالأساس باعتبارها المصدر الأول الذى ينتج
النص موهما نفسى أنتى «لم آر فى العشاق مثلّى». وأننى فى حالة نقصان ، ونصى
يسعى إلى تمامه ، كونه خرج من ذات واحدة ذات صفات متعددة ، تجهرت وطابت
نفسها بخصوصا أنها تستقبل صورا متنوعة وتمتص واردات المعشوق ، وينعكس
الوجود بكليته داخل هذه الذات التى صار مركزها «أنا أنت» و«أنت أنا» حيث يمحى
الزمان والمكان عن كونى ، مرددا قول عفيف الدين التلمسانى:

«هذه خمرتى فأين وجودى

غيت عن شاهدى فأين أراني»

فالنص لدى هو جوهر روحي ، وعلى أن أخلقه بوصفه نورا يسرى في أرض كلها
تحت حكمى ، «وطبولي تدق فوق السماء».

١- يوسف زيدان - المتواлиات - دراسات في التصوف - الدار المصرية اللبنانية
القاهرة ١٩٩٨ ميلادية ص ١٥ .

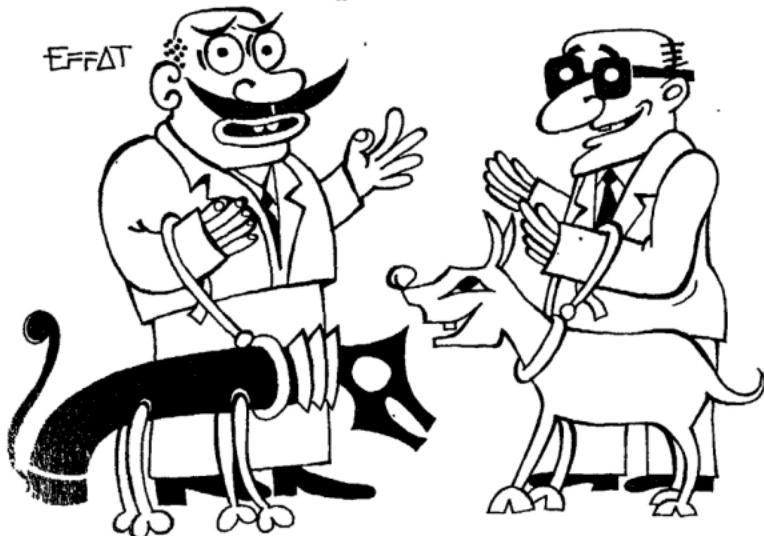
٢- المصدر نفسه - ص ٢٥ .

٣- اسم كتاب لعبد الكريم الجيلي المتوفى سنة ٨٣٦ هجرية.

* النص شهادة لألقاها الشاعر في الملتقى الثاني للتعبيرات الثقافية والفنية عن
المتوسطية (التصوف المتوسطي بين العلامة التراثية والاشارة التحديثية) ، المستير ،
تونس ، أكتوبر ٢٠٠١ .

أدب ونقد

قصة قصيرة



لم يسمع نداءها في الجويدة

نازك ضمرة - الأردن

كان يركب سيارة فخمة ، ويطل برأسه من إحدى نوافذها ، اقتربت منه وتحادثه طويلاً ، كان ينظر يمنة ويسرة يبحث عن صاحبته ، فاتنى أن أسأله ما الذي أتى به وبسيارته وصاحبه إلى هنا وهو يتباهى بوصف أسلوب حياته لى .
يا إلهي لم أصدق ما قاله لي كلب الداليشن ، أتلقوه حتى أنه أصبح لا يريد أن يتحرك أو يفعل شيئاً لأهله ، لا هم إلا التبخّر والتتمدد وعرض طوله وعرضه ولون شعره الأبيض والأسود كأن جزراً أو خلجاناً تربط بحاراً رسمت على جسده ، كثيرون من الإنس ومن أقارب أصحابه تمنوا أن يكون لهم جلد أو رسوم على جلودهم كما حال

جلده ، المهم كم أغاظنني حين قال : أنه لم يعد يطيق أكل اللحوم المعلبة كالدجاج أو السمك ومن كثرة تعلق ربة البيت به اضطرت أن تشتري له لحم كالدجاج أو العجل طازجا كل يوم وهل تصدق ما قاله كذلك؟.

-وماذا قال أيضا يا صديقي أصبح لعابي يسيل، ولا أحب أن أسمع الحديث عن الطعام فالكل يعيش ، ونستطيع التحرك لحماية أهلنا وجيранنا ، أو لتسليتهم ومداعبتهم . لكن أكمل بالله عليك؟.

اقترب شبه متخصص منه ، أراد أن يمازحه فاقترب من مؤخرته ، اشتبه ثم سحب ذيله قليلاً ومازحا بجفل الكلب الآخر قائلا له:

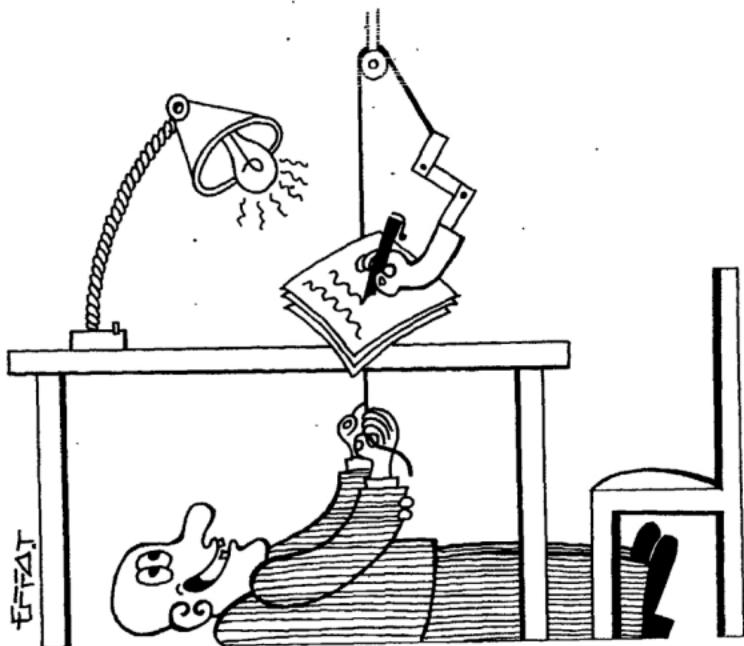
-أنا كلب ذكر مثلك ، ألهذا الحد أو هل أنت مجنون؟.

نبع استهزاء به ، لكن الآخر دعا للاقتراب ليكلم حديثهما عن الداليمشن .

-أكدر لي كلب الداليمشن أنه لم يعد يطيق أكل لحم أجنحة الدجاج ، بها عظام كثيرة ولحم قليل ، والأدهى من ذلك ، يقول : إن كثرة الجلد عليها يجعلها تحتوى على الكثير من الدهون والكوليسترول سمع صاحبة البيت تقول إنها لا تزيد أن تضر الكلب فيسمن فيشيخ فيمرض من كثرة أكل الطعام الدسم ، لكنه مد لسانه خارج فمه ، ولحس مقدمة فمه وشفتيه وأنفه وزضاف قائلا لا تستطيع أن تقابو حين تقدم أجنحة الدجاج مشوية أو مقلية أو من محلات كنتاكى فراید تشكن ، يا إلهي ما أذنها ، لكن كلب الداليمشن أكدر لي أنه لا يريد أن يكشف أهله ، فيأكل مجاملة وقال أيضا مع أنه لذيد وباهر ، إلا أنه يخشى على صحته كما سمع ربة البيت بوعم ذلك لا يوفر الوجبة ، بل يأكل بنهم يجعل صاحبة البيت تتحمس وتحس بالسعادة لأنها أحبها وأحب طعامها فتشبعه تربينا وتلمسا . تضمه إلى صدرها ويغفوان على الكتبة أو في فراش واحد.

كل هذا يحصل ونحن لا نعلم ماذا يجرى حتى في عالمنا الكلبي ، نشقق ونعمل ونجوع ونبرد ، وكلب الداليمشن تتعنم بما ذكرت ، أحس بألم في بطني وفي حلقي وفي مؤخرتي ، اعتدنا على تلك الآلام ، نعيشها ونتعايش معها ، والكل سيشيخ ويمرض ويموت يا صديقي ، فماذا أنت فاعل الآن؟!.

ولما هم بآجابت شاهدا كلبة عابرة راكضة ، قفزا وراعها ، أعجبهما شكلها ونحافة بدنها ، مع أن الشعر الذى يسكن جلدتها كان متسخا ، نسيوا الجوع لحظتها ، وأراد كل



واحد منها التقرب لها ، تبت الكلبة من الجري ، قربت مؤخرتها إلى جدار وقعدت لترى نفسها ، هرّ أحدهما ، فقابلها الآخر برفع صوته أكثر ، المهم سرعان ما تصارعا ، نسيا الجوع والبرد ، صار هدف كل منها كسب ودها ، هدأتهما الكلبة قائلة ، أشفلتمني وأخترتمني عن هدفي دون فائدة ترجى من أحدكما ، شمممت رائحة أكل وزمرة كلاب أقوباء في مكان قريب ، كنت أجري كى أصله قبل سواعي وقبل أن تسقني كلبة أخرى أحس بالجوع هل تفهمان؟ ، أريد طعاماً ودهناً ، فمن منكم يعرف مكاناً فيه طعام ودهن قساكنون صديقه ، فلا تختصما .

وكأنهما لم يسمعا ندائها ، نظر كل منها في وجه الآخر ، نبح أحدهما بصوت أجيش ضعيف ، رد عليه الآخر بصوت أضعف ، ثم غادرا المكان يجران أنبيال الخيبة ، لم يجرؤ واحد منها الادعاء بأنه مؤهل لطاليها ، سمع الكلب الأول رفيقه الكلب الثاني يحادث نفسه : (طعام ودهن وأمان) ..



تهويمه صوفية عن حال [الدال]

● خالد سليمان

كان يسيرا على غير هدى كالمعتاد .. الحياة رتيبة والأيام تتشابه ، كما كان الأمر لا يخلو من مغامرة صغيرة لكسر الملل .. لكن الملل كان لا يتزعزع كالطвод الشامخ .. كان لا يستطيع أن يحيا إلا بالحب في ذلك الزمن الضئين .. لم يكن ليجد من يفهم لغته من بين أبناء ذلك الزمن الذي لا ينتهي إليه .. وتمكن منه اليأس في أن يجد من يحب .. ولكن كيف يتوب عن وعد الهوى المحبوب .. فما بالك بالمحب .. استهلكته الأيام فترة طويلة جداً .. كان خلالها يتخطى في التيه .. وكاد أن يكفر بكل شيء كما كفر أصحاب "موسي" .. إلا أنه وجدها تخرج فجأة من ذلك العدم .. السرمدي كاتبا نورانياً مخلصاً ملائكيًّا .. رقيقة القلب والأنامل .. كأنها مسيح جديد جاء ليمنحة المسحة المقدسة .. لكنه يتراجع عن ذلك في آخر لحظة ، عرف واستوعب

كل معانٍ اللوعة والاشتياق وتجرعاها حتى الثمالة ، كانت تملك الوجه القاسي لل المسيح .. بالرغم من أن المسيح لم يمتلك مثله أبداً ، لكن ذلك الوجه القاسي كان هو القناع الذي يخفى كل مشاعر الرقة والمطيبة والتسامح .. كانت تتمكن وراءه كل الرسائل السامية التي ظهرت منذ بدء الخليقة ، غرق في محيطها اللامتناهى .. كان لا يموت فيها ولا يحيا .. ونسى كل ما يعرفه عن السباحة .. حتى لو كانت ضد التيار ، ولم يكن هناك من يستطيع تشخيص الحالة أو وصفها ، ترى أكانت شطحاً أو سكرًا .. أو وجداً ، "فسكر الوجد في معناه صحو .. وصحو الوجد سكر في الوصال" .. *، أم هو ما وصفه البعض بالتخبطات .. ، هو نفسه فقد القدرة على التعبير .. وأصبح غير قادر على البوح إلا بالرمز أو الترميم ، كان يتسمّع عن روحه وأين استقرت في عالم المقامات والأحوال .. وأنى لها أن تستقر؟! كانت روحه تتوجه وتتألّج في حال (الدال) .. ولجت في مقام الفنان وأصبحت تسبّي كالبرق إلى فناء الفنان .. كان كورقة زهرة ألقيت في مهب الريح لتعانى لجاجة البعد والقرب والإقصاء ، عمره فيispans عشقها بالقدر الذي كان يتجلّى عليها الفيض الريانى بالسمو والبهاء والجلال .. أصبحت قبساً من نور الحق المطلق يسعى في ذلك العالم الأرضى .. وهنا بيت القصيدة ، فلم يكن من المقبول أن يتسرّق السمو مع الدنيا ، كانت الأحداث تتصاعد لتقترب من النزوة ، وأصبح غير قادر على الكتمان .. أدركه زمن البوح بالسر .. زمن سدرة متنهي العشق .. كيف يكتُم السر وكل خلجانه تفضحه .. وهي أيضاً .. وهو يعرف تماماً عقوبة إفشاء السر" بالسر إن ياحوا تباخ دمائهم .. وكذا دماء الباحثين تباخ" * كانت نفسها تردد ذلك القول دائمًا ، لم يكن قادرًا على الكلام .. بيد أن كل سكتاته وحركاته تتشى به العالمين ، وكيف يمكنه الكلام .. ألم يسمع أحدهم قول "النفرى" (كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة .. ، وهو الذي أصبح لا يرى سواها .. كان لسان حال صفتة يصرخ بشدة فتتمزق حجب السر .. ياغوثاه بالله من فيوضاته وتبجيشه على المخلوق .. أدركوني يا عباد الله لكن كان يرى خناجر الغدر تقطر من دمه المسقوح سلفاً بتائدي الناس .. وهذا الأمر من سمات حال (الدال) لم تحدث تلك الرؤيا لكنه كان يراها بعيني روحه التي لا يحدوها زمان أو مكان .. أصبح توافقاً إلى السمو صوب عالمها الحقيقي .. عالمها التورانى .. ، أما هي أو الظروف .. أحدهما أو كلاهما لا يدرك .. يزداد إمعاناً في إلقاءه من حلق إلى هاوية العالم الأرضى ، أصبح متائكاً من أنه يساق إلى حتفه كأصحاب "الصبين" لكنه لا يرضي بغير ذلك بديلاً ، ترى هل تحل عليه لعنة أبدية كالتي حلّت على "سيزيف" أو ..

بروميثيوس؟ لكنه لن يرضى عن ذلك الحال بديلاً ، ويتسائل هل ستقرأ سطور حكايته يوما .. وهل تستطيع فهمها .. وإن استطاعت فهمها . هل تستوعب مابين السطور ؟ أصبح الآن لاتهمه الإجابة .. فما جدوى التردد بعد الإبحار؟ .. الأمر المؤكد إنها ستفهم أن كل عذابات الكون تهون من أجلها .. ففهمها غدر به الناس .. هو لا يعبأ بسوها ، ومهمها صبت عليه حمم براكين غضبها كما تمرست خلف ذلك الوجه الخاص القاسى المستعار .. سيظل دائماً فى انتظار تلك المسحة المقدسة .. من أطراف أظافر أناملها الرقيقة .. ، ومهمها ادعت أنها تجيد الظلم .. تفشل تماماً فى ممارسته .. لأن رقة عيناتها تفضح مكتون قلبها الأرق لينعكس على وجهها الملائكي الذى يستطيع محو كل عذابات العالم وأحزانه ، ولم يكن لديه القدرة على تصوير صوت ترتيل الملائكة المقربين قبل أن يسمع صوت همسها القادم من قدس الأقداس.

ولايروعه الأن سوى الرحلة الآتية فى سدرة منتهى العشق .. فالقرب يبذره شجنًا ويشعله وجداً ، والبعد يزيده شوقاً ويحصده لوعة .. ومابين أحوال البسط والقبض فى مقام الفنان عند سدرة منتهى عشق النور الخالص إلا حال " الدال " .. ، ولا هو يعرف لماذا يروى حكايات المفعمة بالأسى .. عن إراداته السلبية ودمه المهراق ونزف شرايين وجده .. هو فى مقام الفنان يقترب من فناء الفنان ولايعرف لهذا نهاية إن كان للأحوال والمقامات نهاية ، ويتأرجح بين قبض ويسط .. وأناه وأنتها .. وما الفرق بعد أن صار يفتى فيها حتى أصبح هو هي .. وهي هو .. وليس بعد الدلال إلا الوصال .. وليس بعد الوصول إلا الدلال .. والكيسانى لايرحم ورشفة منه تتعقل به ماتعقل .. حتى أضحت لايرى شيئاً عن الكون وعن نفسه سوى أنه فى " حال الدال " .. إن كان قد عرف ، وإن كانت هي هو ، أو هو هي .. وهو مغمور فى شطحه وهذيانه .. : فهى هو ... وهو هي .. ، فى أروع لحظات الوجد فى مقام الفنان عند سدرة منتهى عشق النور الخالص ...، فى حال (الدال).

* من أشعار المتصوفة (الحلاج)

- مصطلح الكيسانى :- هو خمر معنوى تحدث عنه بعض فرقـة الصوفية ، فهو غير عادى أو ملموس ولا يذاق إلا بالروح . (وهي جمع كأس أيضاً فى اللهجة المغاربية ومن هنا المصدر) ويستخدمه أبناء الطريقة العيساوية غالباً.



لِوْدَاتٍ

● بسيونى سالم

اللوحة الأولى ..

حين رفضت باتريشيا الزواج من فان جوخ .. كان لديها كل الحق فيما فعلت .
كان الولد مجنونا تماما وعلى باب الله .. لم يكن يملك مقدما لشقة ومتطلبا تماما .
فقطع أذنه وأرسلها لها ... لا أحد يدرى حتى الآن ماذا كان يتوقع وقتها ؟ أن تحررها
بقطعة بصل وتكلها على الغذاء .. أم تضرب عليها بيسفيتين وتعملها عجة .. من المؤكد
أن رد الفعل كان قرفا زائداً وإيماناً أشد بجنونه المطلق .. ومن المؤكد أنها ألقت بها
فى صفيحة الزبالة الخاصة بالجيران .

وهين اصطحبه أخوه إلى مستشفى الأمراض العقلية .. كان هذا قرارا حكيمـا
 بكل المقاييس .

ونظرا لاختلاف القيم السلوكية لدى الشعب .. لم تقدم صاحبة الحجرة التي
يسكنها على إلقاء لوحاته في الشارع أو بيعها لبائع الروبابيكـا كما جرى العرف في

أماكن أخرى من العالم الواسع وتمحو بهذا الفعل المنطقي سيرة فان جوخ من سجل التاريخ .. لكن جمعها أخوه وعرضها في متحف الزمن لتصبح شاهدا على إبداع الإنسان.

اللوحة الثانية ..

حين دخل علينا أحد الأصدقاء حجرتنا الخاصة في قصر الثقافة العتيق والتي امتلكناها بحكم الرخامة والعنفنة على مدير القصر معلنًا افتتاح أول أتيليه في البلد كحدث تاريخي يحرك المياه الراكدة في الحياة الثقافية في بلدنا .. كدت أسقط من فوق مقعدي ذي الثلاث أرجل .. أضطررت بعدها أن أشعل سيجارة جديدة بعد أن سقط مني العقب الذي كنت أشربه على الأرض المليئة بأعقاب السجائر.

خرجنا بعدها للشارع نتسابق لنصل إلى الحدث وهو يكتمل لنصير جزءاً من التاريخ التوسيعى لبلدنا .. كان فناننا يعلق اليافطة الملونة .. حمراء بلون الدم المسقوف على لوحة بيضاء .. مضيئاً ولامعاً وسط اللوحات المغيرة للدكاكين المجاورة .. وهو بهيكله النحيل يملاً كل الفراغ.

اللوحة الثالثة ..

وسط دخان السجائر الكثيف الذي يملأ الحجرة الداخلية للأتيليه .. سحرتني الألوان .. كانت ألوانه كما خلقها الله .. ضوء النهار وخضرة البرسيم .. وصفاء الندى .. ألوان فرحانة تبسم وتشع بالبهجة .. كنت أنظر إلى هيكله النحيل وهو يرسم وفي فمه دائمًا سيجارة لاتطفئ .. أتعجب ؟ .. من أين يأتي بكل هذا الفرح ؟ كأنما اختزن بداخله كل الألوان وتحولت الحياة على فرشاته إلى صور دافقة عنيدة وريانة كما خلقها الله .. لوحات تملأ كل جدران الأتيليه .

انتقلت جلساتنا الليلية من مقهي شحاته القريب من المقابر إلى الأتيليه ..اليوتوبيا الجديدة .. حيث تستطيع أن تناقش مقالات هيكل ومسرحيات نعمان عاشور وتسمع أغاني الشيخ إمام ونجم والفرق بين الاشتراكية الفاية والاشتراكية العلمية .. وبلا حرج تسمع آخر أخبار النساء وأخر إصدارات مجلة الشبكة اللبنانية في جو دافئ معبق برائحة الأصدقاء والسجائر وألق الألوان في اللوحات المعلقة على كل جدران الحجرة.

اللوحة الرابعة :

أخيرا .. عندما وصلت الرسالة إلى باتريشيا .. رق قلبها .. وارتدى قميصها الداخلي الأحمر وجلبابها الأسود وطرحتها الجديدة ودلفت إلى الأتيليه في عز الظهر



الأحمر .. حين تقبل العقارب ويفعل الشارع.

لها صبي العجلاتى الذى يعمل فى الدكان المجاور وأسرع بابلاع الأسطى الذى كان يضرب حجر معسل داخل الدكان بعد أكلة كشري حرقة .. ومع تأثير الشطة الحارة وحرارة صيف الجنوب وهمس الصبي الملىء بالغمزات وإشارات الأصابع .. انقض الأسطى ساحبا سيخا حديديا من خلف باب الدكان واندفع إلى باب الأتيليه المجاور .. وينكأ وحادة صبيان الصناعية المدربين جيدا .. أدرك الصبي أن حدثاً كهذا يستحق جمهوراً مناسباً .. وسرعان ما ثارت جهوده عن تجمع لباس به اكتظ به الرصيف والشارع أمام الأتيليه.

ولم يكن فان جوخ يحتاج إلى السيخ الحديدى الذى امتشقه العجلاتى .. فذراع العجلاتى المدربة على الدق كانت كفيلة باطفاء كل ألوان الفرحة داخله .. بتعرضاً يابن الكلب وتقولى موديل ”

وساعدت كلماته الجمهور الحاضر على تبين الحق من الباطل .. والتقت الأمة وتوحدت أخيراً على قضية واضحة وضوح الشمس .. فكان عملاً جماعياً شاملـاً وكاملـاً .. أسفـر عن تدمير وكر الفساد وتجريـس بـاتـريـشـيا بـقمـيـصـها الداخـلـى الأـحـمـر .. والأـهم .. سـحلـ فـنانـناـ الأولـ علىـ رـصـيفـ الشـارـعـ.

اللوحة الأخيرة:

في حجرتـهـ المـعتمـةـ الرـطـبةـ فـىـ المـسـتـشـفىـ ..ـ كانـ يـرـقـدـ فوقـ فـراـشـ مـعـدـنـىـ كالـحـلـونـ وـمـلـأـةـ بـلـاـ لـونـ ..ـ وـقـدـ تـنـاثـرـ حـولـهـ الـأـصـدـقاءـ يـجـلـسـونـ فـوقـ السـرـائـرـ المـصـفـوفـةـ كـعـساـكـرـ الجـيشـ دـاخـلـ العـتـيرـ المـعـبـ بـرـائـحةـ الفـتـنـ.

كانوا يـتـشـاغـلـونـ بـالـتـنـاظـرـ إـلـىـ الـأـرـضـيـةـ الـبـاهـتـةـ ..ـ وـهـينـ نـظـرتـ فـىـ عـيـنـيـهـ لـمـ أـجـدـ لـوـنـ واحدـاـ ..ـ وـلـمـ أـجـدـ فـىـ قـمـىـ كـلـمـةـ تـسـتـحـقـ أـنـ تـقـالـ ..ـ وـأـخـيرـاـ عـنـدـمـ اـنـكـسـ الصـمتـ حـولـنـاـ سـأـلـنـاهـ عـنـ مـصـيـرـ لـوـحـاتـهـ ..ـ أـشـاحـ بـيـدـهـ التـحـيلـةـ كـاـنـهـ يـطـردـ ذـبـابـ حـطـتـ عـلـىـ وجـهـهـ المـخـتـلطـ الـأـلـوـانـ ..ـ وـكـانـتـ هـىـ الـأـلـوـانـ الـوـحـيدـ بـالـحـجـرـ ..ـ لـونـ الشـاشـ وـالـدـمـ.

تكريم



جار النبي الحلو:
حلم ..
على نهر الإبداع!

تابع الاحتفالية

عید عبد الحليم

شهادات
فريدة النقاش
سعید الكفراوي
فريد أبو سعدة
محمد المنسي قنديل

جار النبي الحلو .. حلم على نهر الإبداع

● عيد عبد الدايم

جار النبي الحلو حلم على نهر الإبداع تجسد من خلال أعمال كان محورها المكان ، مضفراً بقطرة الأشياء وبراءة الناس البسطاء الذين ارتكعوا على اليوتوبيا فجروا نقاء السيرة رغم قسوة الزمن.

وقد تحصن جار النبي .. بهؤلاء وجاؤهم فأينعت فوق غصن الإبداع ثمرة طيبة . وتأتى الاحتفالية التي أقامتها الإدارة العامة للثقافة بالغريبة بقصر ثقافة سوزان مبارك للطفل بمدينة طنطا في الفترة ما بين ٢٧ حتى ٢٩ أكتوبر الماضي تتوجياً للعطاء المتميز لذلك الأديب الملائكي الذي يطل على العالم من حجرة فوق السطح .

تضمنت الاحتفالية عدة حلقات نقاشية بدأت بندوة عن "الرواية عند جار النبي الحلو" شارك فيها د. سيد البحراوى والقاص سعيد الكفراوى وأدارها الشاعر فريد أبو سعدة.

ثم أقيمت ندوة تحت عنوان " القصة القصيرة - وجار النبي الحلو" شارك فيها الناقدة فريدة النقاش والناقد السيد إمام وأدارها الشاعر عبد الستار محمود.

أما الندوة الثالثة فقد جاءت تحت عنوان " أدب ودراما الطفل عند جار النبي الحلو" وشارك فيها الناقدة زينب العسال والمخرجة فايزة حسين والمخرج محمود إبراهيم والفنان حسن العدل . وقد حضر هذه الندوة على على الرقلى رئيس مدينة طنطا نائباً عن محافظ الغربية ، الذى قال إن جار النبي الحلو يكتب للأطفال من أجل غد مشرق ، فى عالم أصبح يكره الأطفال ، لكننا نحب العالم الذى يريد لنا جار النبي أن نعيش فيه.

وأكملت الناقدة زينب العسال أن سلسلة قطر الندى فى أول أعدادها حرصت أن يكون إصدارها الأول كتاباً لجار النبي الحلو ، وهو مجموعة " قط سiamي جميل" ، وهناك كتاب آخر ينتظر الصدور وهو " ليلة سعيدة يا جادتى " ..

(وصف الأشياء)

وأضافت زينب العسال أن جار النبي الحلو - دائمًا - ما يصف الأشياء ، منذ بداية عناوين قصصه ، ولنأخذ مثالاً على ذلك عنوان مجموعته « قط سiamي جميل » ، بالإضافة إلى أنها ستجد مناقشة جادة لقضايا فكرية وفلسفية ، بين ثانياً المجموعة ، تهتم كثيراً بالإنسان في إطلاقه وعمومه.

ومن التيمات الفارقة في قصص الأطفال عنده أنه يؤنسن الأشياء من خلال الحوار، وفي مجموعته الثانية " ليلة سعيدة يا جادتى " - تحت الطبع - يضعنا أمام سؤال مهم وهو : ما قيمة الحرية ؟ فالحرية التي يريد لها " جار " لاتعني الفوضى ، فلا جور على حرية الآخر من خلال نموج يعتمد على الثواب والخطأ ، وهو بذلك يتوازى مع " كليلة ودمنة " لكنه يقدم نصاً أكثر حبكة فيه الكثير من السمات الأسلوبية وأهمها إثارة المشكلة من البداية ، ثم يأتي بالحل مسلسلاً ، وأجمل ما اعتمد عليه أن تأتى الحكاية بأصوات متعددة وهو ما ينفي التكرار وينبع الرؤى مما يشير مخيلاً الطفل.

(دراما الطفل والسؤال الصعب)

وأشارت المخرجة فايزة حسين أنها عرفت "جار النبي الحلو" من خلال أعمال المخرج محمود ابراهيم ، والذى كان مرشحاً للجائزه الذهبية فى مهرجان التليفزيون من خلال عمل من تأليف "جار النبي".

وأضافت فايزة حسين أنها قرأت حين رأت هذا العمل أن يؤلف "جار" عملاً يجدد المرأة الريفية ، وعرضت عليه الأمر ، فرحب بالفكرة ، وبدأنا بالفعل فى حلقات "حكايات جدتي" ، التى سوف تذاع فى رمضان بعد القادم وهو مسلسل يمزج بين الماضي والحاضر.

أما المخرج محمود ابراهيم فقال فى شهادته : إن أهم ما يميز أعمال "جار النبي" أنه ترى من خلالها جار نفسه .. ، فأهم شيء فى العملية الإبداعية أن يكتشف المبدع نفسه من البداية وهو محدث عنده جار ، والذى تعامل فى كتابته للقضايا العميقة بحس قوى ولغة بسيطة.

وتساءل محمود إبراهيم عن خصوصية الفن المقدم للطفل المصرى ، الذى يكاد يكون غائباً على خريطة الإعلام المصرى - فأين عرائسنا ؟ وأين شخصياتنا ؟ فتحن دائماً نهرب من أنفسنا .

وهو ما أكدته أيضاً الفنان حسن العدل الذى طالب بضرورة الاهتمام بالطفل المصرى وإعادة المسرح المدرسى واكتشاف المواهب فى مراحلها المبكرة.

(شهادات عن العمر الجميل)

تضمنت الاحتفالية عدة شهادات إبداعية من رفقاء الدرب، ورفقاء حجرة السطح ، محمد المنسى قدليل ، وفريد أبو سعدة ، وسعيد الكفراوى ، وعبد الستار محمود ومحمد الرفاعى ، ومحترف عيسى .

وشهادات أخرى للأدباء وشعراء المحلة : فريد معرض وإيهاب الورданى ، والمرسى محمد البدوى ، ومحمد عبد الحافظ ناصف ، وإبراهيم عبد الفتاح رمضان ، وميرفت العزونى ، وسعيد عبد الرانق. والثمرة الجديدة فى شجرة إبداع عائلة الحلو « وسام جار النبي » الحلو» والتى جاءت شهادتها تحت عنوان « جار النبي الحلو .. بابا النهر والبيت والوردة».

دواير خادعة تتفجر

فريدة النقاش

الصديق جار النبي الحلو
الصديقات والأصدقاء
مساء الخير

أود قبل أن أقدم قرائتي القصيرة لقصصتين من قصص «جار النبي الحلو» آن أتحدث قليلاً عن الإنسان .. ففي زمن المتجارة هذا الذي ابتدىء فيه الإنسان وأذل حيث يقيم كل شيء بسعر السوق نقداً وعداً في عالم السوق لا يرحم الفراشات الضعيفة ويعوضها عن الطيران ولا الورود الرقيقة ولا لحظات الحنان الدافئ التي يمتلك بها عالم جار النبي الحلو، إذ يقول المصريون أن الإنسان هو الشيء الوحيد الذي لا سعر له الآن لشدة ما يتعرض له المهانة والاستغلال، أود أن أحكي جار النبي الحلو الإنسان الدمت المفعم بالشاعر الصادقة المدافعة عن القيم النبيلة قليل الكلام سخى الود المنتهي للشعب دون طقطنة الباحث بلا كلل عن المعاني الجميلة وهو يسائل الثابت الراكد العاجز ليكشف عن التحول في الأعمق، عن ضوء شحيح في عالم حمال الظلمة.

اخترت قصصتين من مجموعةي «القبiq والوردة» وطعم القرنفل» مما.. البيوت» و«طعم القرنفل» حاولت أن أستكشف فيهما الملامح البنائية جنباً إلى جنب رؤية العالم لدى «جار النبي» ككاتب متميز للقصة القصيرة بين أبناء جيله ووجدته أقرأ «البيوت» و«طعم القرنفل» قراءة نقدية آنية .. لأنهما معاً ترددان على سؤال مازاً يبقى من الأدب بعد زمن كتابته وبعد ما زوال الزمن المضارع الذي كانت اكتملت هذه الكتابة في؟ لاكتشف أننا نستطيع دائماً أن نستكمِل الكتابة الأصلية بكشف مستويات جديدة للمعنى فيها يتحول ويکاد يخرج على الدائرة التي تتغلق بانتهاء النص فاتحاً أبواباً على المستقبل في عالم هو في حالة إنقال.

في البيوت نحن مع أسرة في الريف تحرز أشياءها الفقيرة للرحيل لأن الحكومة سوف تسترجع البيوت التي كان الفلاحون قد استأجروها بعد أن تراكمت الديون على سكانها وهي بيوت كان قد بناها الانجليز في زمن الاحتلال وسكنها الفلاحون طبعاً بعد الاستقلال والتحرر وهذا هم في الزمن الجديد مضطرون للرحيل والنوم في الخلاء.. عند الرحيل.. وفي بدايته تلوح الأشياء بالداخل صامتة .. يلفها الحزن .. على الحيطان كتابة بالطبashir . وفي الختام . ولا شيء غير الحزن في القلوب .. البيت الانجليزي قاتم .. كما هو .. بنوافذه مغلقة».

وهكذا فيما بين البداية والنهاية يكون البيت الذي استخدمه الفلاحون وتآلفوا معه قد تحول مرة أخرى إلى كيان غريب مقلق وم哉د، أى أن هناك تحولاً في الدالة الرمزية لهذا البيت تعينه إلى الأصل قوة غريبة أيا كان الغريب هذه المرة . ومع تغير الدالة الرمزية تكون البنية الدائرية هي نفسها قد تفجرت وتجرى ترجمة ذلك التفجر في التفاصيل الصغيرة . إن انتقال الفلاحين من زمن الاستعمار إلى زمن الاستقلال قد غير بعض أطر حياتهم لا كلها وشكل انتقالاً فيها ارتبط «بصورة الزعيم الخالد» الذي تستنتج أنه جمال عبد الناصر، وكان الفلاحون ضلعاً مثليث قوى الشعب العامل في زمنه وضلعاه الآخرين العمال والمثقفون جمال عبد الناصر . نحن نستنتاج ذلك إذ أن الصورة موضوعة في قلب الأشياء الفقيرة التي ستتحملها الأسرة معها في الزمن الجديد حيث تواجه مصيرها التعيس مطرودة من بيتها بعد أن كان أبناء العمدة يحسون أن هؤلاء الفلاحين نفخوا صدورهم منذ أن أغلقوا على أنفسهم باباً خشبياً .. وإن فإن عالمهم يتناكل ويصل الحديث دائمًا إلى حماره الأب عبد المنعم التي ماتت وفاحت رائحتها ، ويضحكون عند ذكر أجزاء خاتمة الشفاء المغلقة دائمًا». إن الباب الآن سيفتح على مصراعيه حتى يخرجوا بعفشهما إلى الخلاء .. لتكميل دائرة الهوان .

وفي ظل هذا الخلاء الفاسد .. يعلو صوت الخطاب الديني في لفته ذكية من المؤلف -الراوي فالخطاب الديني الذي ارتبط انتشاره الواسع بحالة التدهور الاجتماعي في أواسط القراء والكافحين ليس من الضروري أن يكون إسلامياً لأن إسلامية هذا الخطاب أو مسيحيته ليست هي جوهر الظاهرة إنما جوهرها هو ارتباطها بتفاقم البؤس والشعور بالعجز وقلة الحيلة واليأس والبحث عن قوة عليا يلوذ بها البشر. ولا تفوتها

أيضا دلالة الاختيار من كلمات السيد المسيح المقصود بها العزاء
–طوبى للمساكين

ويجري تكرار هذا الخطاب مرة أخرى بصيغته الاسلامية عندما يرد أحدهم على
سؤال ماذما نعم قائلـا
ـالعمل عمل ربنا
ـويتكرر في صيغة ثلاثة
ـطوبى للغلابة

فيكاد يكون خطابا رئيسيا على ندرته في الحوار ، وفي ظل الهزيمة التي يتلقاها
الفلاحون يأتي اختيار الحكايات الفرعية محكم الدلالة، فثمة مكسب وهمى يتحقق .. ما
دام الواقع لا يوجد إلا بالخسارة عندما يكسب صبحى عوضين دورين دومينو من «أبى
مجاهد»

إنه العالم الواقعى الكابى الذى يجرى الاستعاضة عنه بالأحلام والأوهام . وغالبا ما
كان يطل جار النبي الحلو بعلم بنهر واسع عميق ..يفتسل فيه ويسبح . يوسعنا الأن أن
نقرأ هذه القصة كأنها استشراف لما سيجرى لل فلاحين بعد ذلك بعقد من الزمان حين
صدرت القوانين التى تطرد الفلاحين من الأرض لتسليمها للملك بحججة تحرير الزراعة
في خسر الفلاحون وصغار الملك معا وتعيش بعض مواقع الريف مأسى فعلية..
البرودة تلف العالم فى بداية طعم» القرنفل» وفى النهاية حيث هذه البنية الدائرية
الخادعة مرة أخرى ..

يبداً القصة على هذا النحو: « طرقت الباب أول مرة، وكانت قد خلفت ورائى الظلمة
والبرد اللاسع والكلاب الضالة...».

وفي النهاية» واجهت البرد مرة أخرى ..كان أشد وطأة...»
والبرد أشد وطأة ليس لأنها ليلة أمشيرة فقط .. ولكن لأن العالم المرسوم كله عالم
معزول يكاد الخواء يغلقه على ذاته ..ذهب الرواى ليقضى الليلة عند صديقة وهو لا يعرف
أين سبييت ..فلا يجده .. وعلى امتداد السرد يخبل إلينا أن الصديق لولا بعض التفاصيل
هو شخص وهمى لا وجود له لأن «عايدة» الزوجة تتحدث عنه بحياد كامل . ولا نجده
حبيما أبدا إلا في حلمها بعالم جديد ديناميكى وبهيج وبرجوازى على المقاس فضلا عن

أنها امرأة وحيدة وحدها مطلقة في عالمها المعزول هذا وكتابها الوطن الذي يقف على منحنى طريق قد يؤدي أو لا يؤدي إلى مسالك كثيرة .. يقف بين الحداثة وما قبل الحداثة ..

وحديننا نعيش في هذا المكان الذي يقع بين الريف والطاحونة والقاهرة ، لا أحد يزورنا .. ثم تأتي المقارنة مع الماضي القريب قبل زمن العزلة والبرودة ، قبل أن يتفرض العالم القديم بقيمة البسيطة الجماعية لتحل قيم المنفعة العاربة قبل أن تتطوى جذوة الغليان الثوري ..

«كنا زمان نزور الأصدقاء نفرح ونتناقش وننزعل ونعود نجري وراء التاكسيات نعود مرهقين فرحين فنأكل لقمة وننام ونشبع ..»
هناك إذن فقدان للتواصل وللدفء الذي يجده الراوى في الكرسى .. كأنما الأشياء تحل محل البشر ..

ثمة إشارات إلى أن «عايدة» كانت مناضلة ثورية إشتراكية سجنت مرتين ، مرة قبل أن تصبح أما ومرة أخرى بعد أن أنجبت ابنتها ، وفي المرة الثانية كانت طفلتها ليلى هي سجنها الحقيقي .. اتهمها رفاقها ورفيقاتها بالضعف ، وعلينا تحزن أن نستنتاج أن ذلك الاتهام هو سبب عزلتها وانقطاع الأصدقاء عنها .. أو لعله حلمها هي بالخروج كلية من عالم النضال والمخاطر إلى الاستقرار والأسرة ونلاحظ أن اسمها عايدة فلائي شيء تعود.

إن الفن الأصيل قادر على الإيحاء بما هو أشمل وأعم .. بما يمكننا أن نسميه ملامع كلية للزمن .. فإن كان الفلاحون يطردون من البيوت دون أي مقاومة منتظمة فإن المثقفين الثوريين لا بد أن يكونوا معزولين من البعد والبرودة فهذا ليس فحسب ابتعادا عن بعضهم البعض ولكنه أيضاً ابتعاد عن الجماهير التي كانت كعبة الرجاء لهم ، حيث أصبح انغماسهم في أنفسهم وأحلامهم الخاصة وحدها صنوا للبرودة.

إنها رسالة حب حزين شفيف لحركة ثورية أخذت تنوى .. لكن المجرى التحتى للتحولات الذي يكشف لنا مرواغة البنية الملغقة تتفجر بعنزة «عايدة» . لاحظ اختيار اسمها الذي يدل على أن تراجعها هو من أجل بداية أخرى إنها تعود .. لقد أخذت عايدة تذكرة تفتح لنفسها آفاق معرفة جديدة لعلها تدلها مجددا على الطريق إلى الخروج من



وحدثها القاتلة وألمها العظيم الذى ارتبطت عملية إخلاء البيوت بالانقلاب الاجتماعى الهائل الذى صاحب الخيارات الاقتصادية -السياسية المسماة بالانفتاح الاقتصادي ، أو لعلها تعود رلى عالمها الطبقى القديم ف تكون المعرفة الجديدة سبيلا للارتقاء المهني .

يخيل إلى أحيانا أن الروح الشاعرية المكثفة واللغة الشفيفية الحزينة تحجب عنفوان الحقيقة الشعبية بينما هي تبتغي الغوص فى الأعماق ، لعل مرد ذلك إلى النزعة العاطفية والروائى والتكرار غير الفنى الذى نجده هنا وهناك مع توجه صارم للتخلص منه كلما كان بناء القصة عند «جار النبي الحلو» أكثر تركيبا .

هذه القراءة القصيرة هي تحية لكم ولصديق الفنان جار النبي الحلو.

الحنو الجار النبى

* سعيد الكفراوى

دونوعى منى ، باعتبار أن كل الأشياء الطيبة تكمن في الوعى لذاتها ، وبذاتها ، لذلك فاتنى أحمل في داخل روحي كل الذكريات الطيبة التي جمعتني رغم مرور السنين ، والتي في كل أحوالها باقية لا يصيّبها العمي ، لذلك الرجل المحب والذى كنيته «جار النبى الحلو».

تلك أيام مضت .. منتصف السبعينيات حيث التقى بجار وجماعته . (أستطيع أن أسترسل طويلاً في الكتابة عن تلك الأيام ، وعن هذه الرقة الجليلة ، الا أننا تكلمنا بما فيه الكفاية عن رقة هذا العمر الجليل).
دعوني هذه المرة أتكلم عن ذلك الوهج الذي يمكن مشعاً في روح هذا الكاتب الجميل

من بين كل الأصدقاء الذين عرفتهم كان جار النبى في نفسي ذلك الأثر الذي لا يمحى عبر تواتر المشاعر .. الصدق .. المحبة .. التبل .. الولاء للحقيقة ، وشجاعة الدفاع عنها ، واحلاصه لمن أحبهم بصدق ودافع عن وجودهم في المكان والزمان .
كانت تلك مشاعر جار النبى الحلو .. الفن مواز للحقيقة ، لنا واصل طوال عمره اكتشافه لحقيقة هؤلاء الناس الذين أبدعهم على الورق .. يجوس خلال أرواحهم ، ويسعى عبر دروب الحياة الحقيقية محتازاً دروب الأشياء الصغيرة المدهشة مجسداً تلك القيم التي تعمّر بها أرواح المصريين . إدراك جليل لمعنى الحياة والموت ، والفرح بالحياة ذاتها باعتبارها عطية الإله للإنسان .. معرفة أسمى من الشعر للتعبير عن واقع تعرف عليه ، وكان يخصه هو وحده فانعكس في نصه الفني ، وانعكس في

علاقته بالبشر . هؤلاء الأطفال الأكثر جمالاً وبهاءً بلا ملامحهم المصرية الحالمة، الذين يعبرون الصفحات ، ويجلسون على الورق ، باحثين عن عزاء طيب لجروحهم الصغيرة ، ولجيئ لهم الإنسانية يمسحون دمعة الفطرة الأولى ، ويجهدون في البحث عن زمن لتحقيق عدل مفتقد يطروحون على متغيرات الواقع أسئلتهم المحبحة عن الروح، والظلم ، ينشق من حنايا ضلوعهم ضوء يشع لاكتشاف أول بذرة تبت عبرياً عن حياة طالعة .
ولأن جار النبي - الذي أعرفه - ينتهي لرheet هائل من القراء . هؤلاء الذين يسكنون على ضفاف المدن ، ويتشبّثون بالهاشم حيث الخلاء الفسيح (كان بيت جار النبي قديماً يقع هناك بين العمار والفراغ المفتوح على حقول وحيدة ، وعلى اتساع الأبدية) . وكنا حين زوره مغادرين أماكن إقامتنا المتوحدة ، مخترقين تلك الشوارع الزحمة في ليل المدينة الشاحب ، مجتازين مراً تشه بعض الأشجار ، عنابة مشمرة بعنقده لها لون المرجان . نصعد حتى حجرة إقامته على سطوح خالية (كتب جار النبي الحلو روایتين عن عالم هذه الحجرة الموازي للحياة ذاتها) ، وعبر السطح الحالى كنا نسمع أصوات الليل . ما الذي كان يشغلنا في تلك الأمسيات من شؤون الحياة والفن ؟ ما الذي كنا نحدق فيه خلال الليل باحثين عن موطن قدم حياتنا ؟ الشمس كانت تغيب وتطلع في اليوم التالي ، دورة بعد دورة ، علامة على مرور السنين ، ونحن رغبتنا في المعرفة ، معرفة ذلك المجهول الذي يزور حياتنا ، وجار في الوسط مثل عمود الخيمة يتحدث ويشير صوته فيها الشجن ، وصور على الحائط لشوار ومطربين وقصائد من الشعر تحلم بصياغة عالم جديد لا يعرف الجهل .

كنت أنا وجار النبي نختلف كثيراً حول قضيّا الكتابة .. الشكل والمضمون .. المعنى والدلالة .. كتاب بعينهم يحبهم جار ولا أحبهم .. قراءة لما نكتب ، ونقاشه بحد السكين الخارج . كان عقله يجهد في توصيل ما أود توصيله لجار النبي الحلو ، وكان انفعاله حاداً وعصبياً ، ونفترق ويدخلنا قدر من التقدمة على أنفسنا وعلى العالم . في اليوم التالي أراه يقترب بخطواته المحسوسة ، يتسلل خفيناً مثل الهواء ، أشعر



بوهج عاطفته التى تنبثق من حنايا روحه ، يقترب بشكل مفاجئ ، دانياً مني هاماً
فى أذنى .

لسه زعلان ؟

انحنى مقبلاً رأسه ، ويداخلى ذلك الإحساس الطاغى من الخنو الراسخ هاماً لنفسى
ببيت الشعر « الحياة من غيرك لا تكون جميلة ، ونحن جديرون بأن نحيها ».
لماذا ؟

لأن الأصدقاء الطيبين قليلون فى زماننا هذا إلى حد الوجيعة . ولأن جار أول من يسأل
عنك ، وعن أمك ووچعك ، وأول من يوصل لك محبته بما تكتب ، وأول من يسأل عن
أخبار عيالك .. ويهمس فى أذنك (أعمالك كلها على مكتبى .. حين أكتب اقرأ لك)
تسعد بما قاله ، وتحزن عندما يشكوا لك خيانة من خان ، وغدر من غدر . يدميه
خيانات الأصدقاء الصغيرة ، والويل لك إن لدغت شخصاً أحبه جار .

ترحل بعيداً عن المدينة التى احتوتنا مثل أسراب الطيور المهاجرة . نجتمع أشلامنا شلوا
بعد شلو فى غربتنا مغادرين عشنا باحثين عن ملاذ لأرواحنا الجريحة ، وهو هناك فى
الزمان والمكان مثل ذكر التوت المغروس على شاطئ النهر ، ترحل ونعود إليه ..
يحسن وقادتنا ، ويحمل فى روحه لنا ذلك الخنو الجميل والمحبة الحالصة .

جارو .. أو الوعل الجميل

* محمد فريد أبو سعد*

في خريف ١٩٦٥ تعرفت على المنسى قنديل ، وفي نفس الخريف قدمني لصديقه «جار النبي» شاب أسمه حاد ، مجنون بالكرة والتمثيل ، مدلل في أسرة ميسورة ، يعكف أحد أبنائها على قراءة الأدب الفرنسي ، ويترجم لأناتول فرانس ، بينما يخرج الابن الأكبر في العصاري ممتطياً فرسه في نزهة لاتخلو من الكبار أو الكبriاء!! أما الأب فقد أضاع عينيه في رسم عبد الوهاب واسمها ، وفي قراءة ألف ليلة وليلة وكتب الطب والسحر والتنجيم!

كان البيت ، منذ رأيته في هذا الخريف البعيد ، يبدو وكأنه خارج على السياق ، ليس فقط لأنه بيت بحديقة ، وليس فقط لأنه يضم هذه العناصر الغريبة في اجتماعها معاً ، ولكن لأنه بدا وكأنه بني ، كالمحلل ، على حافة مهددة بالانهيار . إنه على أية حال بيت جار النبي الذي كتبه في « بيت على نهر » و« حجرة فوق السطح » ولابد أنه ينتهي ، كأسطورة ، في الجزء الثالث « قمر الشتاء ». قدمه لي المنسى ، في هذا الخريف الجميل ، باعتباره كاتباً ، وأنهما معاً كانوا يملآن صحف الحائط بقصصهما في مدرسة الأقباط الاعدادية.

ترى ما الذي فتح وعي الصبي على الكتابة ؟

هل هي رؤية الأخ المثقف يكر وهو يحظى باحترام العائلة ؟

أم مراقبة الأب . الذي ظل يقرأ ويرسم حتى كف بصره ؟

كان ينكر قارئاً ومترجماً ممتازاً ، لكنه لم يتحول إلى كاتب أبداً . وكان الأب رساماً وقارئاً وحكماً فذاً ، لكنه لم يكتسب أبداً فهلاً كان جار النبي متذمراً لاكمال هذا

النشيد هل كل عليه أن يحرر هذه العوالم المحبوسة ويخرجها من القمقم لتنطلق وتشكل وجдан من تصادفه . رعا . ورعا أيضاً أخذ جار النبي عن أخيه محمد ، الأكبر ، عناده واعتداده ، بل وحدته غير المبررة أحياناً ، غير أن المدهش بحق هو الكيفية التي استطاع بها جار النبي أن يقصى هذه الحدة بعيداً تحت طبقات من العذوبة ، العذوبة التي تشكل وتقود انتطباعات الآخرين عنه.

لابد أنها الكتابة ، الخبرة بالحياة والعالم ، هي التي مكتته من أن يبدو لنا على هذا النحو من العذوبة والعفة .

لماذا سارت شهادتى في هذا الاتجاه ، ولماذا أرادت ، دون قصد مني ، اكتشاف أصول إبداعه ، أو مصادره البعيدة . وهل هذا ممكن ، قصدنا أو لم نقصد ؟ ! جار النبي كاتب له قضية ، ومنذ هذا الخريف البعيد راحت حكاياته تتتحول عبر التجربة والخبرة من علامه على العالم بما هو عليه ، إلى العالم كما ينبغي أن تكون . رافق هذا التحول في الكتابة تحول عميق في روئيته الاجتماعية . أذكر أنا ، هو والمنسى وأنا ، كتبنا على جدار « الغرفة » رؤيتنا للفن ، قال المنسى ؛ الفن للفن . وقال جار : الفن للناس . وقلت الفن للحياة .

كنا هو وأنا نشكل موقفاً مختلفاً عن موقف المنسى آنذاك ، كنا مملوءين بالرغبة في تغيير العالم ، مصدقين أن الكتابة قادرة على ذلك ، محترقين بهذا الوهم الجميل . كان المنسى يتقلب في فنون الكتابة ، مولعاً بالتجريب ، ينزلق خفيفاً بين المدارس والاتجاهات الأدبية وإن ظل في كل ماكتبه وفيما تتصدعه الروح ومكابدات عدم التحقق .

عالم جار ، وبشكل عام ، قد يفسد بعض التفاصيل المهمة ، هو عالم المهمشين ، عالم يبدو محشراً ومتآكلاً في أن بين المدينة والريف ، عالم يبدو طازجاً لأنه مرسوم بخيلة طفل ، وعميقاً لأنه سليل الحكاية المنتحة ، الحكاية بعد أن أصبحت أمثلة على التناقض ، وإشارة على المكان الذي ينبغي أن يتلقى الضربة الأولى من الفأس

لتنطلق المياه .

لأعرف هل يختار جار النبي من رصيده الحكائى ما يدل على المعنى أم أن المعنى هو الذى يقوده إلى الاختيار من حكاياته وهل هناك فرق كبير!

لم يعر جار اهتماماً لغواية التجريب ، بل ظل وفياً لسرده الغنائى الذى يلامس الشعر ، الذى ما إن نستشعر أفقته حتى يفاجئنا بأن الحكاية ليست سوى سطح مراوغ جميل كفخ وأن مانأله منها يقودنا إلى مالم نائف.

ما الذى يراهن عليه جار النبي ، وقد أصبح كاتباً محترفاً ومرموقاً . ما الذى يسكن الحكايات والقصص والروايات ، والدراما التليفزيونية قد أجازف وأقول إن كل ماكتبه جار حتى الآن ليس إلا بكتائية على ظلل.

بكتائية تفتد من الأسى وحتى النحيب ، بكتائية على زمن برىء ، زمن البراح السعيد ، أناس طبيون تخذلهم التحولات ، وتقتل أشواقهم للحرية والعدل.

إنها تفرس لا يخلو من غنائية فى التدابير الغريبة للمصائر ، إنها بكتائية الحكاء الشاعر الذى عاد فلم يجد سوى الأطلال أما القبيلة فقد اختفت !
أعتقد أن كل ماكتبه جار ليس إلا تداعيات لوقفته تلك ، كما أعتقد أن عمله الكبير ، رياعيته الروائية ، هو علامة بارزة ودالة على هذا العالم الجميل الذى اندثر أو كاد .

وهو ما يجعلنىأشعر أن جار النبي ، وهو يغلق هذا القوس الهائل ، ويستنقذ لنا هذا العالم قبل أن يختفى تماماً مع ردم النهر ، قد أصبح مهيناً لافتتاح قوس جديد وتقديم كتابة أخرى مغايرة.

لأعرف هل ماقلت هنا ، الآن ، يمكن أن يقتضى بعضًا من معرفتى بهذا الوعل الجميل . لا أظن .

جار النبي ..
والشئ الصغير الباقي

* محمد المنسي قنديل

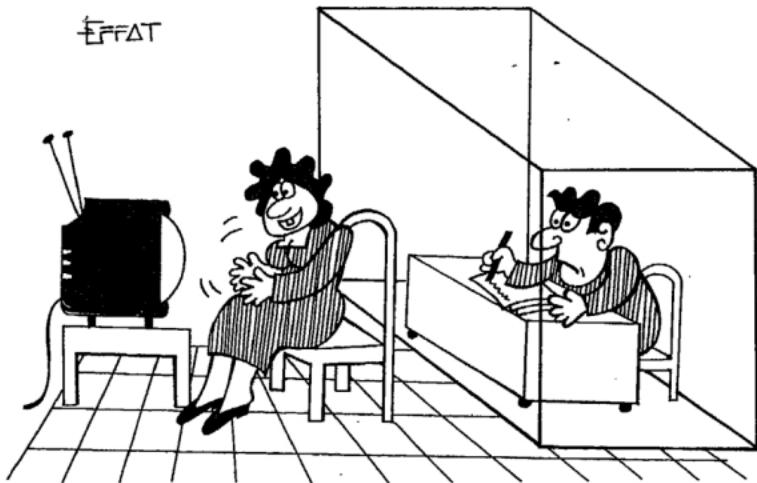
معرفتى بجار النبي هي الشئ الوحيد الذى يكشف عن عمرى وعن حقيقتي . ربما يمكننى أن أخسر بعض من السنوات . أو أخفى بعضاً من الحقائق ولكن علاقتى مع جار النبي تكشف كل شئ . ربما كان هو الوحيد . وربما كنت أنا أيضاً الوحيد . اللذان عشنا معاً لحظات التكربن الأولى بكل مافيها من عفوية وترقب . وربما كان أهم الاكتشافات فى حياتي هي التى اكتشفتها معه . لقد غادرت المحلة فى مرحلة مبكرة . وطفت معظم أرجاء العالم فى مرحلة متأخرة ولكنى فعلت ذلك بعقل واع قد أتم تكوينه . ولم تفعل بي هذه الرحلة الطويلة أكثر من أنها أضافت إلى المزيد من التفاصيل ولكنها لم تغير شيئاً من قناعاتى . كانت تجاري الأساسية قد اكتملت . وكانت جروح الروح قد التأمت . ولم يعد هناك مجال للتراجع أو التأسي . واجهت أنا وجار النبي تجربة الموت للمرة الأولى حين مات واحد من أعز أصدقائنا أمام أعيننا غرقاً في بحر كفر حجازى . وقد طبعت هذه التجربة حياتنا بالخوف لفتره طويلة وقربت المسافة بيننا إلى حد بعيد . كنا خائفين ومرتعفين وقد فرض علينا السيد الموت وجوده منذ زمن مبكر وكان ثالثنا في هذه التجربة المفزعة الشاعر فريد أبو سعده . وأعتقد أن الصدقة العميقه التي نمت بين ثلاثتنا في تلك الأيام لن تفصل عراها تلك الأيام الضئيلة مهما تباعدت المسافات . ولا أستطيع أن أذكر عدد الساعات التي قضيناها نحن الثلاثة في تلك الغرفة العلوية في منزل جار النبي . كانت هذه أكثر غرفة في العالم جمعت عدداً من الأصدقاء . وكنا نحن الثلاثة أكثر من عاش فيها . ذاكرنا فيها معظم مراحل الدراسة قبل الجامعة . وكتبنا فيها بدايات القصص والأشعار :

وقرأنا الكتب التي طبعت بداياتنا . وعشنا فيها أيضا كل خيبات الحب الأولى . ماذا كان في العالم غير ذلك ! من الغريب إننا رغم كل طول هذه العشرة لم نكن متشابهين . كل واحد هنا كان نسيجا مختلفا . جار النبي آمن بالواقعية الاشتراكية إلى حد متزمن . وكتب الكثير من القصص في هذا المجال . ثم تخلى عن غرفته عندما تمكن من حرفته وأدواته الأدبية وبدأ مثل كل القصاصين المهووبين يضع مفردات عالمه الخاص . ولم يخرج هذا العالم عن مدینتنا الصغيرة " المحلة " ولكنه صنع مدينة مختلفة . تشبهها وتبتعد عنها في الوقت نفسه . لقد دخلت تفاصيل البيوت والشوارع ومصنع النسيج الضخم والحقول والترع التي تحيط بها إلى ذاته . وخرجت منها مدينة مختلفة أكثر طفولية وبراءة . ولكنها براعة خادعة أحيانا لأنها تخفي داخلها عنف الحياة وقوتها وصراعاتها . لقد كانت اختيارات جار النبي دائما صعبة للغاية . ففي الوقت الذي سعى فيه معظم أبناء جيله - بين فيهم أنا وفريد أبو سعد وسعيد الكفراوى ومحمد صالح ونصر أبو زيد - إلى السفر إلى القاهرة حيث تتوفّر أدوات النشر وتتسليط أجهزة الإعلام فضل هو البقاء . قرر أن يغزو القاهرة من موقعه في المحلة وهي معركة شبه خاسرة لكل من حاول أن يجريها . ولكن دهشتي الشديدة فقد صمد جار النبي طويلا . وهو مازال صامدا على أى حال . وهو لم يكتف بأن يجد له مكانا على الصفحات الثقافية في القاهرة فقط ولكن في العديد من العواصم العربية . لقد تحدى الغول الكامن في العاصمة وحافظ على سلامته النفس التي فقدناها جميعا في بحثنا اللاهث عن مكان وسط هذا الزحام والضخب . ولم يحسن جار النبي استثمار هذا المكان الصغير فقط ، ولكنه أحسن استثمار المتع الصغيرة أيضا ولعل هذا الأمر هو الذي جنبه الكثير من الاغراءات وأعتقد لو أن الشيطان جاء إليه وهو يستريح إلى ظل شجرة ووعده بكل مافي العالم من أضواء ساطعة لفضل بمواصلة الراحة في ظل الشجرة . لقد حول كل أحلامه وطموحاته ولحظات ضعفه ومخاوفه وضيقه من الآخرين إلى كلمات . مجرد كلمات مجردة .

مركبة . لا تؤذى ولا تسيل دماً . ولكنها كفيلة بأن تطهره أولاً بأول . ولعل هذا هو الذي أهله حتى يدخل عالم الأطفال ويقص عليهم العديد من القصص . لقد استطاع أن يتحول إلى عالم الطفل بسهولة بالغة لأنه كان يملأ كل مؤهلات هذا التحول . شئ من البراءة والكثير من الصدق وقدرة على الغوص في عالم آخر كان دائمًا ما يأخذه بعيداً عن الحيز الضيق الذي يحيط به . كان جار النبي الذي عاش محاصراً بكل ظروف الحياة يرفض هذا المصار ويسمو عليه وبخلق عالماً بلا حدود . ألم أقل لكم من قبل أنه أقام مدینته الخاصة . وهو لم يملأ هذه المدينة بالتفاصيل فقط ولكنه ملأها بضمكته المجلجلة . إنها ضمحة لازمته منذ زمن الطفولة حتى بداية الكهولة . وهي الشئ الوحيد الذي لم يشيخ حتى الآن . ر بما كان قلبه لم يشيخ أيضاً . ولكن الله عليم بالقلوب . المهم أنه كان يقابلني دائمًا بهذه الضمحة . مهما عدت اليه مشخناً بالجروح حاملاً معى حفتان من الهزائم والاختيارات . كان يحزن من أجلى قليلاً ثم ماتلبث ضمكته أن تخونه فترتفع مجلجلة . وإذا كانت الموهبة لا تورث فإنه أيضاً خالف هذه القاعدة وأعطي جزءاً من قبس إبداعه لإبنته « وسام » . هذه الآنسة الصغيرة هي بلا شك قصاصة موهبة . ولها أفكار وملحات تثير الحسد في نفوسنا نحن القصاصين . وربما كانت هذه أيضاً إحدى هبات الطبيعة لجار النبي أن يرى من يتبع خطاه أو بالأحرى يرى ظلاله مفعماً بالرقة والحياة . لقد ابتعدت في السنوات الأخيرة عن مدینتي بأكملها . وعشت وسط ديار العديد من المدن . وتركت جزءاً من ذاكرتي في كل مكان . وأحسست بالألم واللوامة والخين والاشتياق . ووقفت على حافة ذلك الخط الوهی الذي تحترق فيه الروح لأى الأماكن تنتهي وفي أيها يمكن أن تجد راحتها . ولكنني كنت أدرك بطريقة غامضة أن قبرى لن يوجد إلا في مكان واحد حيث يوجد من يضع عليه زهرة من الصبار ويرش قليلاً من الماء ويقرأ الفاتحة وأعتقد أن جار النبي سوف يقوم من أجلى بكل هذه الأشياء .

أدب ونقد

مقال



أدب السيرة الذاتية

فهي ضوء ما بعد الحداثة

نجاة أبو عجاج

تلقي ما بعد الحداثة بظلال الشك حول مفهومين أساسيين يتعلكان بأدب السيرة الذاتية ، وهما مفهوم «الذات» ومفهوم «الواقع»، فيقول ديفيد هوكس «إن ما بعد الحداثة تشكك في وجود وعي منفصل وفي وجود ما يعرف بالذات المستقلة (١) ولقد كان الفكر الغربي قد دأب على وضع حدود فاصلة بين أمرين هما «الذات» «والموضوع» فالذات تخبر العالم وتكون أفكاراً عنه ، أما الموضوع فهو عبارة عن الأشياء الخارجية

المادية التي توجد خارج الذات ، ولكن فكر ما بعد الحداثة يرفض هذه الثنائية كما في قول هووكس بأن الذات هي مجرد نوع من الوحدة الظاهرية الكاذبة التي تجمع عدداً من الخبرات والمارسات الخاصة بالموضوع^(٢) أى أن تعريف الذات كما عرفه الفكر الغربي لسنوات طويلة قد أصبح موضع شك كبير وكذلك فإن الواقع أيضاً أو الموضوع قد تعرض تعريفه لاهتزازات عنيفة ، كما أوضحت زيد الدين ساردار في كتابه «ما بعد الحداثة والآخر : ثقافة الغرب الاستعمارية الجديدة» إذ قال إن فلسفة ما بعد الحداثة لا ترى أن هناك واقعاً أو حقيقة وراء الأشياء^(٣).

ولما كان تعريف أدب السيرة الذاتية كما أورده جي . بي. روس في مقالته «عند زيارة الحياة مرة أخرى : علاقة أدب السيرة الذاتية بالمرجعية في عالم ما بعد الحداثة وما بعد البنية^(٤)» هو محاولة الكاتب تقديم قصة حياته الفعلية بهدف الكشف عن الواقع وراء بعض التصرفات والأفعال التي لم يكن لمعاصريه إلا أن يروا ظاهراً ، فإن هذه العملية تشير مشكلتين أساسيتين ، تتعلق إحداهما بالذات التي تكتب أحداثاً دارت في حياتها وأخرى تتعلق بالأحداث ذاتها ، وهذا يرجع إلى أننا عندما نرى العالم أو نصفه فإننا لا نقوم فقط بفعل «الرؤية» أو بفعل «الوصف» بصورة مجردة ، إنما نحن ننقل صورة عن هذا العالم كما نراه نحن ، أى أن الأمر يتطلب وسيطاً بشرياً وليس هناك اتفاق حول مفهوم هذا الوسيط البشري ، الذي هو «الذات» ، هذا إلى جانب أنه ليس هناك وسيلة تمكننا من التأكد من أن ما نراه في هذا العالم هو الحقيقة ، فعند ميشيل فوكو ليس هناك جوهر وراء الأشياء فكل شيء يخضع لتفسير من يراه ، وبالتالي فإنه من وجهة نظر فلسفة ما بعد الحداثة ليست هناك جدوى لمشروع كتابة السيرة الذاتية نهائياً.

ولكن يقدم روس عدة نقاط تثير البحث في هذا النوع من الكتابة إذ يتبين إلى أهمية دراسة تقنيات السرد الذي هو عنصر مهم من عناصر السيرة الذاتية ، كما أن العلاقة بين المؤلف والذات التي يقدمها في كتاباته ، الواقع هي أيضاً مجال خصب للبحث ، هذا بالإضافة إلى مشكلة الهوية في أدب السيرة الذاتية وحقاً إن النصوص التي ينتجها لنا أدب السيرة الذاتية هي الشيء الوحيد الذي نملكه والذي هو بين يدينا ، فلا توجد حياة خارج النصوص ولا توجد وسيلة لتكوين مقولات عن الحياة إلا عن طريق هذه النصوص

، وبالتالي فإنه من العيب أن نتحدث عن حياة حقيقة خارج النص أو الكلمة المنطوقة ، ولكن هذه النصوص أيضاً لاقية لها إذا لم تربطها بالعالم الخارجي ، بشيء ما خارج حدود هذه النصوص تقوم بوصفه بصورة متفاوتة من حيث الدقة ، وهنا يمكن أن نقول إن روس يدعون إلى اعتبار أدب السيرة الذاتية جزءاً من الواقع ، ويجب أن ننظر إليه على أنه نوع من الأدب يأخذ الحقيقة في الاعتبار ولكن الحقيقة التي يقدمها هي الحقيقة كما تراها عين فريدة محددة هي عين الكاتب الذي هو الرواوى والذات موضوع الكتابة في أن واحد وحتى تتم كتابة السيرة الذاتية فإن كل ما يحتاج إليه الكاتب هو المرجعية ، حقاً إنه سيقوم بحكاية حدث مر بالفعل في حياته ، وستساعد له كثيراً معرفته بذاته ، أو ما يظن أنها ذاته ، في ذلك الأمر ، كما أن هذا النوع من الكتابة يعد أيضاً من بين وسائل معرفة الذات أو خلقها أو إعادة خلقها .

وهذا هو ما قامت به «وردة» الشخصية الرئيسية في رواية صنع الله ابراهيم التي تحمل هذا الاسم ، فإن كل الأحداث المتعلقة بالجهاد في سبيل تحرير الوطن في سلطنة عمان وفي سبيل نشر الأفكار التقدمية تأتي في مذكرات وردة والتي تقوم بكتابتها أثناء الأحداث الفاجرة التي تدور في حياتها بدءاً من انضمامها للتقديرين عندما كانت تدرس بالجامعة في لبنان ومروراً باتخاذ القرار بالعودة إلى السلطنة من أجل الكفاح المسلح وانتهاءً بمسيرها الذي لم تقصّ عنه المذكرات وإنما أشارت إليه فقط ، وربما أرادت وردة أن تكتب مذكراتها في محاولة لوضع إطار لحياتها يجمع بين الأحداث المنفردة لتكوين كل متكامل له دلالة ما ، ففي كلمات وردة «اليوميات هي الطريقة الوحيدة للمحافظة على الواقع ودراستها واستخلاص الدروس منها . سلاحنا الوحيد ضد الغدر والهزيمة»^(٥) ولما كانت لهذه المذكرات أهمية كبيرة فقد أوصت وردة أن يتم تسليمها لصديق مصرى تثق فيه وهو رشدى رفيق الدراسة بال القاهرة قبل أن تنتقل وردة إلى لبنان وعندما يصل رشدى إلى مسقط ويدأ في رحلة البحث يتعرض لعدة أحداث غامضة منها أن يتصل به شخص ما بغرض أن يساعده في الوصول إلى المذكرات ويطلب منه أن يلقاه بصورة سرية مريبة ومنها أيضاً محاولة للقتل وهذا يعطى للمذكرات أهمية وقد تكمن في أن لها القدرة على تفكك الأيديولوجيا التي تحكم المجتمع

الحالى فى السلطة ، وذلك عن طريق إماتة اللثام عن نقاط مجهلة فى حياة وردة والمحيطين بها ، ومن بينهم مثلاً يعرب شقيقها الذى أصبح الآن أحد المسؤولين الكبار بعد أن خان وردة وخان الفكر التقدمي وغير اسمه إلى «الحارث بن عيسى» ، أى أن هذه المذكرات وهى نموذج لأدب السيرة الذاتية، هى جزء من الواقع ، كما أنها تقوم بتقديم شخصية وردة بصورة تمثل تهديداً للمجتمع المحافظ الذى تصفه الرواية ، وربما يؤدى هذا إلى إحداث نوع من الاهتزاز لفكر هذا المجتمع وهكذا يثبت الدور الذى تقوم به هذه المذكرات فى رواية «وردة» رؤية روس بأن موجة ما بعد الحادثة ستتحسر وتنترك الساحة لنظرية اجتماعية جديدة تقترب من الواقعية ولكن لا سبيل إلى التكهن بتفاصيلها الآن(٦).

الهوامش:

1- DAVID HAWKES . IDEOLOGY . LONDON NEW YORK ROU-
LEDGE..P.4

2-DAVID HAWKES.P.5

3-ZIAUDDIN SARDAR . POSTODERNISM AND THE OTHER

4-THE NEW IMPERIALISM OF WESTERN CULTURE LONDON : PLUTO
PRESS 1998.

5- J. R THE TRUE LIFE REVISITED :AUTOBIOGRAPHY AND REF-
ERENTIALITY AFTER HE "POSTS" HTTP: WWW. VALT . HELSINKI FI
/STAFF / JPROOS / TRUELIFE. HT M//

٦- صنع الله إبراهيم «وردة» القاهرة : دار المستقبل العربى ، ٢٠٠٠ ص ٣٦٨.

أدب ونقد

دراسة



الخبز الحافي لمحمد شكري: ظاهرة الأبيسية في الأدب

إبراهيم المنصوري

هي سيرة ذاتية روائية، تغطي العشرين سنة الأولى من حياة محمد شكري. (من سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٥٦). على أساس أن سيرته الذاتية الروائية الثانية: الشطار (أو « زمن الأخطاء» كما سماها الناشر). تغطي العشرين سنة الثانية وهي سيرة الليلين كما يحلو للكاتب أن يعيش السكارى والخاشين والنشالين والعاطلين والفقراء ، ورواد المقهى الليلي الرخيص .. الذين يحكى عن ذكرياتهم معه ، وذكرياته معهم .

تضم هذه السيرة الذاتية الروائية ، ثلاثة عشر فصلاً. الأول : يصور فيه الكاتب عائلته داخل المشهد المخيف ، مجاعة بداية الأربعينيات الشهير ، التي ضربت المغرب. حيث معاناة الكاتب صحبة أسرته من ويلات وألام الجوع ، ويحثه غير المجدى ، عن فضلات الطعام فى المزابل ! والأب المتسلط المستبد ، الذى يقتل طفله الصغير ، الذى يتضور جوعاً ! ثم يدخل السجن ، ليس بسبب هذه الجريمة ، بل بأمر آخر ، متعلق بعمله القديم ، كجندى بالجيش الأسبانى .. كل هذه الذكريات الفجة ، يرصدها الكاتب ، بمدينة طنجة التى هاجر إليها الكاتب - صحبة أسرته من قبيلة بنى شيكرا ، بإقليم الريف الغربى . هروباً من الموت جوعاً . لكن طنجة لم تكن أكثر خبراً ، كما تصور ..

والفصل الأخير : يحكى فيه عن الشاب الأمى الجاهل ، الذى بلغ العشرين ، لكن لعبة القراءة والكتابة ، ينكهتها الغريبة وقت ذاك ، أغرتة إلى الانكفاء بنارها .. ذلك أن الطالب القادم من مدينة تطوان والمسمي عبد المالك ، استفزت شكري صولات وجولاته فى قراءة المجالس المصرية والتعليق على الأحداث السياسية وغير السياسية والكتابة للأخرين ، بالمقاهى العمومية ، فقرر شكري الذهاب إلى مدينة العرائش ، ليتعلم القراءة والكتابة فى سن العشرين ! غير أنه قبل رحلته ، يقرر الذهاب صحبة عبد المالك نفسه إلى المقبرة ، حيث متوى أخيه الطفل ويطلب من عبد المالك (القارئ) . أن يقرأ عليه بعض سور القرآن الكريم ويفكر الكاتب الليلى ، غير الظاهر ، كيف أن أخاه مات طفلاً ، نقياً من أدران الحياة ، وسيصير وبالتالي ملائكة . أما هو فيقول لنفسه : «لقد فاتني أن أكون ملائكة» .

إيذاناً بحياة الجنس القادم ، التى قد تفوق فى حدتها ، ما مضى من حياة الشارع . وبين هذين الفصلين يغور محمد شكري فى سرد ذكرياته فى الفشل الاجتماعى ، والسرقة والعمل فى التهريب والبيع بالتجوال . وهى حياة بوهيمية ، قوامها إدمان الخمر والمخدرات . ربما هي حياة ، أبى الكاتب إلا أن تكون ، كما نادى فى كلمته التقديمية :

« لا تنسوا أن لعبة الزمن أقوى منا . لعبة مميتة هي . لا يمكن أن نواجهها إلا بـ أن نعيش الموت السابق لموتنا ، لإماتتنا : أن نرقص على حبال المخاطرة نشداناً للحياة » (٣) . وتحضر المرأة ، عبر هذه السيرة الروائية ، بضاعة حقيقة باشمنة متباعدة ، تبادل المواхير والبورديلات ودور البغى ! فهى تارة عاهرة «ملوكة من طرف ربة بيت الدعارة

وتارة أخرى أُسيرة في كوخ المهربيين.

والجنس دائمًا هو الخدمة الأكثر جللاً، التي تقدمها هذه الأنثى -البضاعة!.

الأبيسيّة في الشخصيات

إن تقديم محمد شكرى للشخصيات ، فى الخبر الحافى ، كان كلاسيكياً إذ قدم لنا أول من قدم- شخصية أبيه المتسلطة ، الغارقة فى حب السيطرة والقمع ، لدرجة ارتبطت مفهوا هذه الشخصية المستبدة ، فى ذهن الكاتب حين كان طفلاً بصورة وحش غابوى شرس:

«إن أبي وحش ، عندما يدخل لا حركة ، لا كلمة إلا بإذنه ، كما هو كل شيء لا يحدث إلا بإذن الله . كما سمعت الناس يقولون يضرب أمي بدون سبب أعرفه»!(٤)

هذا الأب الذى سيقتل ابنه الأصغر ، على مرأى الكاتب- الطفل ، وأمه .
كما يأمر هذه الأم بالغروب للعمل ، ليستند هو حياة البطالة والكيف . مستحوذاً كذلك على أجرة الطفل (الكاتب) ، الذى سيذهب به إلى إحدى المقاهى ، ليعلم نادلاً .

ومقابل هذه الشخصية الذكورية المتسلطة ، نجد شخصية الأم - الزوجة (أم الكاتب وزوجة أبيه المتسلط) تستوفى كل خصائص الأنثى المقهورة فى مجتمع الرجال : تعمل وتكد لتعول الأسرة . وتخدم الزوج جنسياً بكل طاعة وجراوة لها الضرب واللكم والرفس والسب .. كما جاء على لسان الكاتب ، الذى بدا له الوضع -فى طفولته -غريباً غير مفهوم:

«لماذا ليست قوية مثله؟ الرجال يضربون النساء ، وهن يبكين ويصرخن»(٥)

إن هذا الوضع البطريركى الشائن ، بين هذين الزوجين -أم وأب الكاتب- نتاج عن وضع سابق مماثل له . ويتجزء وضعاً بطريقتكاً مماثلاً كذلك وهو ما تتحقق فى هذه السيرة الروائية ، عبر شخصية ابنتهما محمد (الكاتب) وشخصية ابنتهما رحيمو إذ أنت رحيمو هذه ، نسخة طبق أمها: تذهب إلى السوق لتساعدها فى التجارة الكاسدة وتدير شئون المنزل ، وتمثل لأوامر الأب والأخ الذكورية بالمقابل نجد شخصية محمد ، برغم رفضها طريقة الأب فى التعامل غير الإنساني مع الأنثى بضربيها وقهرها جسدياً ونفسياً ، فإن هذه الشخصية تظل أبيسيّة ، ما دام كل مرادها ، هو المخدرات والخمر والنقود والنساء..

إنها تكلف ألف بسيطة أو ألفا وخمسمائة بسيطة(٧).

وبالتمثيل والتوحد: يصبح الكاتب نفسه أبيسيا مشيناً للمرأة .
يتعامل معها كسلعة مغربية . يفكر في الثمن المقابل للحصول عليها ، أو استهلاكها ! .
ثمة حدث آخر، في هذه السيرة الروائية ينطوي بالسلط الذكوري . يذكرنا بالحفلة
التي أقامها تاليفيير في رواية **La Peau de Chagrin**: التي كتبها الكاتب
الفرنسي الشهير **Honoré de Balzac**. عام ١٨٢٠ حيث تقدم النساء كهدايا
رائعة للضيوف الذكور . والحفلة هذه المرة في «الخبز الحافي» كانت أروع ، إذ إقيمت
بالهواء الطلق وتكررت بصفة شبه دورية . كلما احتاج هؤلاء الذكور إلى الاستراحة من
وعاء المعيش اليومي «بالنبيذ والنساء» .

يغري التفريسيي صديقه الكاتب بهذه السهرة قائلاً:

«حينما يسكنون ، ينهضون إحدى الفتيات ، لترقص لهم عريانة»(٨)

وأول ما يظهر للكاتب من جو الحفلة ، منظر البستان الزاهي بالورود والرياحين ،
والنساء والرجال يمرحون ، غير أنه مرة ذكرى مبنى على استخدام جسم الأنثى ،
لجلب هذا السرور:

«جاءت أنيسة في مشية راقصة . ترقص وتوزع علينا بسماتها . لم تكن تلبس سوى
غلافة شفافة بلا رافعة للصدر ، إن الشيطان يرقص الآن في جسدها شيطان
سکران»(٩) .

ثم يزيد التفريسيي من دهشة الكاتب ، فيحكى له ماذا فعل الذكور - في مجتمع
الذكور بهذه الفتاة ، ذات ليلة مشابهة بعد انتهاء من الرقص:

«لقد أجسلوها عريانة في جفنة كبيرة ، وصبوا عليها غرفتين من النبيذ الأسباني .

ثم راحوا يملؤن كؤوسهم ويشربون»(١٠) :
ونكتفي بهذا القدر ، من أمثلة الأحداث الأبيسية ، أو الأبيسية في الأحداث . من هذه
السيرة الروائية(١١) .

الإشعاعات الأبيسية في «الخبز الحافي»

إذ يلم محمد (الكاتب) بعده ، حين يصير رجلا وكيف ستكون له علاقة مع فتاة ما .

تبعد هذه العلاقة المنتظرة ، تسلطية محضة ، يقتفي من خلالها خطى أبيه ، ويأقى رجال

«عندما أكبر ستكون لي امرأة سأخاصمها في النهار بالضرب والشتم وأصالحها في الليل بالعرى والعناق إنها لعبة جميلة هذه ومسليلة ، بين الرجل والمرأة(١٢)».

لعبة جميلة ، بالنسبة للرجل المريض بالفكر البطيركي لأن الإنسان السوى ، ذكر كان أو أنثى . يدرك -كامل الإدراك -أن أول شروط تحقيق إنسانيته ، وبالتالي سعادته هو التعامل الإنساني البعيد عن كافة أشكال الاستعباد.

ولنقرأ في موضع آخر ، من هذه السيرة الروائية ، هذه العبارة ، التي ينصح بها الأب ابنه (الكاتب) وهو يعظه لا يثق أبداً في المرأة:

«يُثْقِلُ الْإِنْسَانُ فِي الشَّيْطَانِ ، وَلَا يُثْقِلُ فِي النِّسَاءِ»(١٣).

وهو المعنى نفسه ، الذي يتكرر في مجموعة من الأمثل الشعيبة الأبوية ، إذ تحمل هذه العبارة نظرة شك أزلية ، تجاه المرأة ، كمخلوق لا يستقر على حال ، ولا يتلزم بالتزام ، ولا يفي بوعده .. وهذا ما تروج له الأيديولوجيا البطيريكية.

واذ يمضي الأب في نصح ابنه ، ينتقل به إلى التحذير ، بطاعته هو الأب دون الأم ، ما دام حياً:

« هي أمك . لكنني أنا أبوك . إذا كان هناك من يجب أن تطيعه ، فهو أنا . الطاعة لى وحدي ما دمت حياً»(١٤).

فلا يمكن في مجتمع الرجال ، أن تكون الطاعة للأمهات النساء وهذا ما يقطن إليه الآباء ، فيدرك بأسى بالغ مدى التسلط الأبوى الذي يسود هذا المجتمع . فيصبح في قراره نفسه . عاجزاً أمام هذا الالتزام الأبوى القاهر:

«أسمعك يا خليفة الله في أرضه ، التي يحكمها آباء مثلك»(١٥).

فهذا هو المجتمع الذكوري ، الذي يكون فيه الحكم للذكر المتسلط ، بدل القيادة المساواتية المشتركة بين الجنسين.

ونكتفي بهذا القدر من الأمثلة ، التي نعتقد أنها تحمل أدلة التسلط الذكوري المكرس له ، والمتوافق معه ، في هذا النص الأدبي مما يجعلنا نسجل سلبية الكاتب ، في تحقيق التغيير المتواخي من الأدب ، بصفة عامة . ودون أن ندخل في جدلية العلاقة بين الأديب ومجتمعه . وهل الأديب هو الذي يؤثر في المجتمع ؟ أم المجتمع هو الذي يؤثر في الأديب

؟ وما مدى التأثير والتآثير المتبادلين؟ ..

لابد من رفض تواطؤ الأدب . كفن تعبيرى راقٍ - مع كل أشكال الميز الجنسى غير المبرر . ما دام الأديب هو آخر من يقبل بالتسليم والتسويف والاستكانة ...
الهوماش

(١) الأبيضية . أو البطريركية . يقابلها بالفرنسية **Le Patriarcalisme** وبالأنجليزية **The Patriarchy** بمعنى التسلط الذكوري ، وتفوق الذكر على

الأنثى . خلافاً للمطريركية : **Le Matriarcalisme** :

(٢) الخبز الحافى محمد شكرى . الطبعة الثانية ١٩٨٣ طنجة ص-٦

(٤) المصدر المذكور- ص ١٠.

(٥) المصدر المذكور ص-١١

(٦) المصدر المذكور ص ١٠

(٧) المصدر المذكور ص ٧٤.

(٨) المصدر المذكور ص ٧٩.

(٩) المصدر المذكور ص ٨٢.

(١٠) المصدر المذكور ص-٨٢.

(١١) نستعمل مصطلح إنشاء . مقابل المصطلح الفرنسي **Dis-cour** والإنجليزى **discourse** . بدل مصطلح خطاب . الذى يحمل إشكالية معان ضمئية مغایرة .

(١٢) المصدر المذكور ص ٢٧.

(١٣) المصدر المذكور ص ٨٦.

(١٤) المصدر المذكور ص ٨٧.

(١٥) المصدر المذكور ص ٨٧.

EFFAT

بر شكل



"فانلة ولباس" لكل مواطن !

● طاعت الشايب

القرار الجمهوري رقم ٤٦٩ لسنة ٢٠٠١ والخاص بالتعريفة الجمركية الجديدة نجح في تحريك الناس وإيقافتهم من غيبة الصدمات الاقتصادية المتلاحقة .. لكنها للاسف حركة في غير الاتجاه الذي تريده الحكومة الحرة . الرسوم الجمركية الفلكية على الملابس الجاهزة (٤٠٠ : ٥٠٠ %) فجرت غضب الناس المكتوم حيث اجتاحت المظاهرات مدينة بور سعيد وعم الإضراب المتاجر والأسواق وتحول شلل المدينة الحرة الجزئي إلى شلل كلی ببركة الاقتصاد الحر والقرارات الحرة في بلد حر يفعل فيه كل مواطن ما يريد بكل حرية ..

وطارت أخبار المظاهرات والاضطرابات في كل الدنيا عن طريق قنوات الإعلام المرئي والمسموع والمقرؤ باستثناء القنوات المسماة بالقومية عن تجمهر الآلوف أمام ديوان عام المحافظة وعن الفوضى أمام المنفذ الجمركي وعودة الزائرين إلى الأسواق لاسترداد قيمة البضائع . السيد المحافظ "نزل" للمتظاهرين لتهديتهم ووعد خيرا

وأعلن أنه سيلتقي بالسيد رئيس الوزراء صباح اليوم التالي (٤/١/٢٠٠٢) ، أما وزير المالية فنفى حدوث الارتفاع " مفيش أى حاجة" .. وقال لافض فوه ومات مخصوصه في مؤتمر صحفي إن زيادة الرسوم الجمركية تقع على عاتق وزارة التجارة الخارجية وال المجالس السلعية (أو لعلها السلعة لأنني لم أستمع جيدا) ، يعني باختصار أنه " مالوش دعوة" ، ثم جاء من له " دعوة" وهو الدكتور يوسف بطرس " غالى نار" ليقول إن التعديلات جاءت " بعد دراسة متأتية" ولم يفهم الناس شيئاً من عبارته لأن كلمة " متأتية" هذه لاوجود لها في قاموس الاقتصاد المصري . بعد ٢٤ ساعة كان المنشي رئيس لجريدة الأهرام يقول " قرارات فورية بمساواة زوار بور سعيد بمقدار المطارات والموانئ في إعفاءات الملابس الجاهزة" ، و تفصيل " الخبر أن القرارات الفورية تشمل إعفاء الخارج من التعريفة على أن يقتصر الإعفاء للزائر الواحد على خمس قطع فقط للاستخدام الشخصي تتجسد في قطعتين من الملابس الداخلية (يعني فانلة ولباس) " وقميص أو بلوزة وفستان أو بدلة وجيب أو بنطلون .

يعنى باختصار أن المواطن عليه أن يختار بكامل حريته من بدائل أمامه فالمدينة حرة والاقتصاد حر . أما صديقنا الذي كان ينوى " بفكاكة " المصريين المعروفة أن يذهب إلى بور سعيد كل يوم مصطحبًا أهله ونويه لكن يخرج كل منهم بخمس قطع قانونية . قبل أن تتبه الحكومة وتتصدر جوازات سفر لزوار المدينة ، صديقنا أصيب بالإحباط بعد أن اكتشف أن الدكتور وزير المالية الحرة قد أصدر قراراً بالقواعد التنفيذية لقرار رئيس الوزراء من بينها تسجيل بيانات المشترى على الحاسب الآلى بالمنفذ منعاً للتكرار وأن الإعفاء سيكون لمرة واحدة سنويًا ، ثم أصابته حمى الضحك بعد أن وجد قاعدة أخرى تنص على أن الملابس المغافة " لاتعرض للبيع أو يتم التنازل عنها" ، ولذلك فهو لايستبعد أن يصدر قريباً قراراً بتشكيل قوة خاصة من الداخلية والضرائب للتفتيش على " فانلة ولباس" كل مواطن ذهب إلى بور سعيد واشتري وسجلت بياناته ، هذا وسوف يخضع للتفتيش كل من هم فوق ١٨ سنة لأن من بين قواعد الإعفاء مادة أضافها " الترزي" الذي " فصل" الحكاية تنص على أن " المنتفع بهذا الإعفاء يجب أن يكون راشداً ويحمل بطاقة شخصية أو عائلية وألا يقل عمره عن ١٨ عاماً " وعليه سيكون من حق القوة الخاصة أن " تشلح" أي مواطن لم يذهب إلى بور سعيد أو أقل من ١٨ وتسأله : من أين لك هذا؟ ومؤكّد أنه ستكون هناك إجابات من نوع: " سعادتك بتتسائل عن إيه بالضبط؟"

علم اجتماع العلوم

تأليف: دومينيك فينك

عرض: ماجدة أباظة

ترجع أهمية كتاب «علم اجتماع العلوم» إلى أسباب بعضها ظاهر والآخر خفي.

أما الأسباب الظاهرة فترجع إلى تناول الكتاب العلوم من منظور اجتماعي وهو منظور يعتبر جديداً في عالمنا الثقافي. فقد درجنا لسنوات طويلة على فصل الأشياء بعضها عن بعض، «نسياقاً دوام المدارس الفكرية الغربية التي كانت تميل في سياق تطورها إلى مفهوم التخصص وقد تناستنا بالرغم من أهمية مفهوم التخصص -أهمية ربط الوحدة وعلاقتها الأكثر شمولًا بالوحدات الأخرى».

أما الأسباب الخفية فترجع إلى مدى تأثير السياسة والتياريات الفكرية والمصالح الاقتصادية على ما كانا يطلق عليه «علمًا خالصاً»، ونحن في هذه الآونة في أمس الحاجة لمصياغة الذات مجدداً.

يدخلنا الكتاب في العوالم السرية لصناعة العلم والمؤسسات العلمية والشبكات الاجتماعية الفاعلة في المجال العلمي.

إن مقولة العالم أصبحت قرية صغيرة، تخضع بدورها إلى وجهات نظر، إذ أن صغر حجم العالم قد يكون سبباً لسهولة السيطرة عليه وسهولة التجوال داخله بحرية.

يقدم هذا الكتاب -بأسلوب بسيط أموراً معقدة يستطيع أن يفید منه المتخصص وغير المتخصص. عبر هذا التحديد قدمت الباحثة القانونية والترجمة ماجدة أباظة ترجمة كتاب «علم اجتماع العلوم» للكاتب وعالم الاجتماع «دومينيك» وعلى الرغم من أنها المحاولة الأولى للترجمة فإنها قدمت الترجمة في أفضل أشكالها وصورها، فقد أمعنت باللغة والإيقاع والحفاظ على المعنى وحرصت على أن تقدم موضوعها الجديد خارج السياق الأكاديمي حتى يسهل على المتلقى -عاماً كان أم متخصصاً -أن يستفيد من هذه الأفكار الجديدة.

ونحن ننشر مقدمة الكتاب وهي تتضمن أهم مسارات البحث وأهدافه كى تعطى القارئ العربي موجزاً سريعاً ومكتفياً لما يدور في العالم من أفكار وأبحاث ورقى تستحق الإشادة والتقريم.

«أدب ونقد».

قصة إندماج :

في يوم ٢٣ مارس ١٩٨٩ ، هز العالم ، خبر التوصل إلى طريقة انتاج تفاعلات للاندماج النووي ، في درجة حرارة المحيط ، باستخدام جهاز اختبار معلق على جانب الطاولة وقد أعلن هذا الخبر ، عن طريق الصحافة، اثنان من علماء الكيمياء (مارتن فليشمان وستانلى بونس) . وكانت جريدة الفايكنثال تايمز قد سبق أن أعلنت عن هذا الاكتشاف قبل ذلك بعده قصيرة وقد حضر المؤتمر الصحفي - الذي عقد من أجل هذا الخبر - مائتا صحفى.

هل العلم نشاط معزول عن المجتمع (الفصل ٥، ٢.١) ؟ ما هي علاقاته بالعالم؟ ولماذا يهزم مثل هذا الإعلان العالم بهذه الصورة ؟ لماذا مؤتمر صحفي (الفصل ٥، ٢) ؟ ولماذا يتم تعبيته هذا العدد من الصحفيين على مستوى العالم؟ ما الذي يجعل من عمل علمي حدثاً صحيفياً مثيراً ؟ وما هو المثير في جهاز اختبار معلق على جانب الطاولة (الفصل ٤)؟.

لقد أعلن عن الأبحاث، حول الاندماج الساخن منذ الخمسينيات من هذا القرن أنها تهدف إلى تطوير أنواع ضخمة من أجل انسلاخ المادة في درجات حرارة تصل إلى عدة ملايين وخاصة إلى حبس البلازماء المخلقة لفترة طويلة تسبباً من أجل انتاج حرارة منبعثة تتفوق بكثير الطاقة المستخدمة ، ونتيجة لارتفاع تكاليف هذه الأبحاث، فإن كلًا من الولايات المتحدة وأوروبا تتعاون فيما بينها لتعطية التكاليف الباهظة لهذه الأبحاث . ولا يتوقع أن تظهر النتائج إيجابية قبل قرن على الأقل. من الذي يدفع ولماذا ؟ من الذي اتخذ القرار باطلاق هذه الأبحاث ؟ . ما هي الشبكات التمويلية والسياسية التي تحول هذه المقامرات الجماعية إلى حقيقة (الفصل ٥) ؟ من هم الباحثون المشتركون ، من أين جاءوا ولماذا يفعلون؟.

فيشرمان عالم مرموق وهو أستاذ بجامعة ساوث هامتون (المملكة المتحدة) ومن المعروف أنه يتبنى أفكاراً جريئة ويتبع أبحاثاً ذات مخاطر كبيرة ويدافع عنها ، وقد أدى ذلك إلى نجاحه في الحصول على بعض الفوائد فقد عين في الجمعية الملكية (المملكة المتحدة) في عام ١٩٨٦ إلا أن سياسة إعادة إصلاح الميزانية في بريطانيا التي تبنتها رئيسة (تاتشر) . أدت إلى دفع فيشرمان للمعاش المبكر مما جعله يتبع أبحاثه بشكل مستقل.

يلتقط فيشرمان بالدير الشاب بونز (Pons) ، الذي يشغل منصب مدير إدارة الكيمياء بجامعة الولاة بمدينة سولت ليك بالولايات المتحدة فيقومان ب أعمال مشتركة منذ ١٩٨٦ حيث يختصمان ببعض عشرات من الدولارات من أموالهما الخاصة من أجل إجراء أبحاثهما الأولى . باحث آخر هو ستيفن جونز ، يعمل في الجامعة الخاصة لبريجهام يونج Brigham

Young، التي تبعد مسافة ٨٠ كيلو متراً عن جامعة الدولة، وهو يتابع أبحاثاً في نفس الموضوع أيضاً إلا أنهم لا يعرفون بعضهم البعض.

لماذا هذا الاهتمام المشترك حول نفس الموضوع من قبل باحثين لا تربطهم رابطة؟⁴.
كيف تأتى عدم معرفتهم بعضهم البعض برغم قربهم (الجغرافي والعلمي)؟⁵ توجد فوائل في العلم
، بين النظم العلمية على وجه الخصوص (فصول ٢ و ٣)؟.

في عام ١٩٩٨ ، يطلب وزير الطاقة من «جوائز» أن يعلق على طلب دعم مقدم من كل من «جوائز» و«فيشرمان» ، فيكشف «جوائز» عنده، إنها يتبعان نفس الأثر ويقابل الفريقان في سبتمبر ١٩٨٨ بناء على مبادرة من «جوائز» ولكنهما لا يتقاضان على العمل المشترك ولا على مقارنة تنازعهما.

وهي السادس من مارس، يتفقون على تشر أبحاثهم في نفس اليوم ليتقاسموا نسب هذا الاكتشاف البسيم جمجمة فتحة، يوم ٢٤ مارس، ١٩٩٩، مجلة الطبيعة Nature لنشروا.

Chemistry (كيمياء) متجاوzen بذلك اتقاهم مع «جونز» حيث يتم قراءة النص والتعليق عليه من قبل المعلقين العلميين ومراجعته بعناية من جانب أصحابه بوفي ٢٢ مارس يمكن النص جاهزاً للنشر وفي اليوم التالي ٢٣ مارس ، يعقد المؤتمر الصحفي وفي ٢٤ مارس ، يرسل «جونز» نصه - فجأة- إلى مجلة «الطباعة» عن طريق «الفاكس» وليس بالطائرة كما هو متفق عليه بينه وبينه «جونز» وفشرمان ، فيحصل نصه قبل نصهما.

رفض الجريدة نشر نص «جونز»، لاعتقادها أنه صيغة مصغرة من تص آخر سيتم نشره في مكان آخر، وهكذا يظهر في العاشر من أبريل نص بيونز، وفيشرمان، في مجلة الكيمياء الالكترو تحليلاً أما نص «جونز» فيظهر في، مجلة الطبيعة، يوم ٢٧ مارس.

لـ المـنـافـسـة؟ لـمـاـذـا وجـود فـارـق زـمنـي فـي أـولـيـة النـشـر؟ لـمـاـذـا هـذـا السـبـاق؟^٩
 أـصـبـحـت أـسـمـاء كـلـ مـنـ بـيـونـز وـفـيـشـرـمـانـ «الـيـوـمـ»، مـعـرـوفـة لـدـى الجـمـيعـ، أـمـا اـسـمـ «جـوـنـزـ» فـلمـ يـعـدـ يـعـرـفـهـ أـحـدـ، وـإـذـا كـانـ الـاـكـشـافـ كـبـيرـاـ فـيـانـهـ قدـ يـطـمـئـنـ إـلـىـ جـائـزةـ نـوـبـلـ، وـإـذـا كـانـ التـطـبـيقـاتـ مـهـمـةـ قـانـهاـ
 تـتـسـبـبـ فـيـ شـاءـ مـكـثـفـيـهاـ.

ومن جهة أخرى فإن جامعة «يوتا» Utah التي يعمل بها «بونز» و«جوينز» تواجه موقعاً مالياً صعباً وهي تعتبر جامعة مستقلة نسبياً، وعليها البحث عن عقود خاصة ودعم عام، وهذا الدعم لا يمكن إلا لفرق البحث المميز ولذا فإن عبد جامعة «يوتا» قام بطلب منع دعم قيمته ٢٥ مليون دولار لمساعدة «بونز» و«فيشرمان»، قبل انعقاد المؤتمر الصحفي بقليل فوجئت جامعة الدولة برسالت ليك، العلمانية نفسها، موقف تناقض مع جامعة بريجهام يوتا، الخاصة، الدينية والجامعتان تقعان في

ولاية يوتاه.

ما هو محرك البحث العلمي؟.. المال ،التنافس بين المؤسسات ،المنافسة بين المعتقدات الفلسفية والدينية؟.. هل توجه مسار العلم (فصل ٣ ره)؟.

وياعتبر أن تخصص «بوز» وفيسنمان» هو الكيمياء الالكترونية ، التي يستخدمانها في التحليل الكهربائي لإنتاج انبعاثات حرارية غير عادية ،فأنهما يهتمان أساسا بالجانب العملي للأشياء .أما «جونز» ،الذى يتخصص فى الفيزياء ،فإنه يعتمد فى أبحاثه على المياه الثقيلة لقياس وجود فضلات نووية ولكنه لا يهتم بالانبعاث الحرارى.

الكيمياء الالكترونية ، ليس بالعلم المرموق ،فهي تتجه إلى التطبيقات وتركت على النتائج الملموسة للانبعاث الحراري والمركبات **Accumulateurs** وعلم الكيمياء يتلقى دعما متواضعا مقارنة بالدعم الذى يوجه إلى علم الفيزياء والذى يعد علمًا متوجاً يهتم كثيراً بما هو نظرى ، ولذا فالتنافس بين أنظمته أمر ملحوظ ، وخلال خمسين عاماً ، انفتقت ملايين الدولارات على الاندماج الساخن الذى هو عمل الفيزيائين ، دون أن يؤدي ذلك إلى النتائج المأمولة وعلى التقىض شان الاكتشاف الذى توصل إليه «بوز» وفيسنمان لم يكفل إلا ٢٠٠٠٠ دولار فقد نجح عالمان حيث فشل آلاف الفيزيائين خلال خمسين عاماً.

لماذا توجد علوم كبرى وعلوم صغرى؟.. هل العلاقة بالتطبيقات تعتبر مصدرًا لعدم الطهارة؟ .. لماذا يوجد تنافس بين التخصصات العلمية وإلى أي مدى يؤثر ذلك على التطور العلمي؟.

يمجد اتفاقاد المؤتمر الصحفى له «بوز» وفيسنمان» ،قام العديد من الباحثين بإجراء البحوث للتتأكد من نتائج هذا الاكتشاف ولم يتذمروا نشر المقالات وفي الليلة التالية للمؤتمر الصحفى بمحاول عدد من طلبة جامعة الـ M (أى تى) إعادة إنتاج التجربة معتمدين على تسجيل الفيديو المصوّر الذى أتيحت مقتطفات منه عبر شاشات التلفزيون وفي اليوم التالي تم تجنيده كل العاملين لكتابه وتوزيع النسخ الأولى، بالإضافة إلى إرسال المعلومات المختلفة عبر الأجهزة الالكترونية في كل الاتجاهات .وفي نفس الوقت قام «وجلاس موريسون» الفيزيائي الذي يعمل في الـ CERN بتحليل المعلومات المرسلة إليكترونياً وجمع بيانات حول الاندماج البارد وإصدار نشرة معلومات وفي خلال الأشهر التالية ،كان هناك أكثر من أربعين تجربة ، بل إن بعض العلماء أرجعوا أبحاثهم ليركزوا فقط على هذه الظاهرة وتسابق الباحثون للإعلان عن آخر ما توصلوا إليه من نتائج بظهورت العديد من المقالات العلمية على صفحات المجالات المختلفة حول العالم حتى أن الرئيس «بوش» كان يطلع على نتائج الأبحاث أولاً بأول.

كيف يمكن تفسير هذه الموجة من محاولات التحقق؟.. هل تحول العلماء إلى باحثين عن الذهب يهرونون وراء أي آثار جديدة؟ هل يتتنافسون من أجل اكتشاف مناجم جديدة؟ (الفصل ٢) .. ولكن إذا كان الاكتشاف قد تم بالفعل ،ماذا يمكن أن يجذبوا من مجد جديد؟ أم أنهم يتصرفون على هذا التحو

لأن المؤسسة العلمية تفرض عليهم أسلوباً معيناً .. هل توجد مقاييس ترشد العلماء إلى طريقة محددة للتصرف؟ ما هي هذه المقاييس؟ وكيف تمارس سلطتها (الفصل ١)؟ وكيف تجنب سمعة الشخص اهتمام الناس بموضوعه؟ (الفصل ٤).

نتائج التحقيقات كانت سلبية بشكل عام، فقد ظهر أجماع على رفض الاندماج البارد . ويبو أن البريد الإلكتروني قد لعب دوراً كبيراً في التطور السريع لهذا الاجتماع . إلا أنه ب رغم ذلك ، هناك البعض ظلوا يبحثون في هذه الظاهرة ، لكن الغالبية أصيبوا بخيبة أمل.

في مايو ١٩٨٩ قدم أحد الفيزيائيين كل الاحتلالات النظرية أمام مؤتمر الاتحاد الأمريكي للفيزياء وبين أن كل التبريرات النظرية التي قدمت حتى الآن غير معقولة فحتى رغم انها كل الأدلة المختبرة الواحدة تلو الأخرى ، يكون من الأفضل النسبة للفيزيائي أن يتنتي إلى الحكم الرسمية.

كيف يستمر البعض إذا كانت النتائج سلبية؟ لماذا أصبحت الأقلية بخيبة الأمل؟ .. هل العلم مرتبط بالآهام وبخيبة الأمل؟ .. وما يدفع الباحث أن يعمل في اتجاه معين؟.

في أبريل ١٩٩٠ ، يشكل وزير الطاقة الأمريكي (DOD) لجنة من خبراء ليقيموا الأعمال المنجزة شكلت اللجنة من ٢٢ عاماً ذوي مستوى رفيع برئاسة عالم كيمياء سيحصل على جائزة نوبل فيما بعد . وفي خلال ستة أشهر تقوم اللجنة بالتقدير لكل الأعمال المرتبطة بالاندماج البارد . تناقش اللجنة كل شيء: التجارب والنظريات والتطبيقات.

لماذا يتدخل السياسيون في هذا الموضوع؟ .. لماذا يستعنون العلماء ليقوموا بالتقدير؟ .. لا يتم هذا التقييم بين الباحثين ، بل تلقائية (الفصل ١ و ٢) .. لماذا علماء ذوو مستوى رفيع؟ .. لماذا يدفع إلى وجود علماء ذو مستوى رفيع دون علماء آخرين (الفصل ١ و ٢)؟ .. وما علاقة جائزة نوبل بالعمل العلمي؟ (الفصل ٤).

توصيل اللجنة إلى أنه: «لا توجد أدلة مقنعة» ، وأن الاندماج البارد يتعارض مع كل النظريات المتراكمة عبر خمسين عاماً . بدءاً من صعوبة إعادة إنتاج النتائج إلى التشكيك في التجربة الأولى وصولاً إلى التشكيك في القائمين على الاكتشاف نفسه.

كيف تكون تجربة ما ، مقتنة (الفصل ٣ و ٤)؟ .. هل الجديد يجب أن يطابق النظريات المعترف بها؟ .. كيف تلقى الضوء على الماضي (الفصل ٣)؟ .. كيف لعلم جديد أو لنظرية جديدة أن تظهر؟.

ويبدأ الانتهار - الذي كان يسرى عالمياً منذ الإعلان عن الاكتشاف - في التهادى . توجه الجامعة التي يعمل بها «بونز» و«فيشرمان»، الشكر لها على جهودهما ويتم استبعادهما من الجماعة العلمية بالولايات المتحدة . وتتصبّع كل دراسة عن الاندماج البارد شائنة حتى أن المنظر «هاجستين» Hagelstein يجد وضعه غير مستقر في جامعة MIT . ولذلك حين قرر الاستثمار في البحث حول الشروخات النظرية للاندماج البارد . أما في فرنسا فإن الباحثين المشتغلين بهذا الموضوع أصبحوا ضحايا لعنة مرض السخرية: الخوف من أن يتم الإشارة إليهم.

مع الكتب

أشرف أبو اليزيد

تبدو حيرتي اليوم أكبر من كل شهر، والكتب والدوريات تجد مكانها أمامي، محرضة للكتابة عنها في زاوية لا تسهب إلا قليلاً، وأرى أن هذه النافذة قد تكون بدلاً لعدم نشوء قراءة مطلولة عن الكتاب (في أدب ونقد)، لا تتسع لها صفحات المجلة الحريصة على (محاولة) متابعة المشهد الثقافي في الوطن العربي قدر الإمكان، وخاصة ما تطرحه الكتب من قضايا؛ والتوصوص من أفكار، والدوريات من موضوعات.

إشكالية ترجمة معاني القرآن الكريم

هاجس الباحث الدكتور سعيد اللاوندي هو الولع بجدل الأسئلة الفلقية، لن أستعرض قائمة كتبه، فهي كثيرة، لكنني اليوم أقف عند هذا الكتاب: إشكالية ترجمة معاني القرآن الكريم الذي يتناول تلك المعركة التي دشنها ظهور الترجمة الفرنسية للمستشرق جاك بيرك، مع رصد تفاصيل الإدانة والحيثيات والحكم، ساعده على توثيق الملف كاملاً فربه من العلامة الفرنسي. الغريب أننا نقرأ الآلم في كلمات بيرك، الذي حر في نفسه كثيراً أن أحداً من علماء الأزهر، بعد أن أرسل لهم نسخة ترجمة معاني القرآن الكريم، لأخذ رأيهما، لم يهتم بها، في حين رد عليه علماء من المغرب والجزائر وتونس وحتى السنغال وإندونيسيا والفلبين، مبدين ملاحظات قيمة، أما الرد المصري فلم يزد سوى على حملة ضد في مجلة أسبوعية متخصصة في الإذاعة والتليفزيون!

عربة تجرها خيول

بغوص الرواخي حسين عبد الرحيم في التاريخ، ليقدم لنا (عربة تجرها خيول)، وتحملنا إلى ما صار بعد ذلك (قناة السويس)، وبين صوت الأذان في مفتاح الرواية، والصوت نفسه في خاتمتها، عزف لغوي على وتر النص القرائي والتراث الصوفي، والحكى الشعري، بل والشفاهي الفولكلوري، يستعين به ليستحضر صورة كاملة ل بتاريخ أط رسول معركة في تاريخ مصر: سنوات حفر القتال، مع العمال والنساء والأطفال، في الشوارع والخيام والمقاهي، في البحر بسفنه والليل وبحكاياته، بعين مدرسة تلقط التفاصيل، وبحس تاريجي يقرأ الأحداث وعينه على الآتي.

وحين نقرأ لصاحب الصوت في الرواية يقصّ لنا عن عربة السوارس الخشبية: عربة ذهبية تجرها خيول حنطور بديع.. كابينة زجاجية بستيقنة نايلون زرقاء .. تسمع من الركاب ألفا.. إلخ، يتتأكد لنا تقمصه لدور العاشق لماضيه، يرى منه ما يريد، ويحتفظ له بالصورة الوردية، ولعل الرواخي نفسه؛ الذي يعد شبيهاً لوالدته، امتداداً لماضي.

يقتصر الكاتب أكرم هنية في مجموعته (أسرار الدوري) لحظات التوتر، اللحظات التي يعيشها مواطنون فلسطينيون، سواء في أرضهم المحتلة، أو على عتبات الدول في المنافذ الحدودية بالموانئ. مفردات القاص تبدأ بالرصاص، وخوذات جنود الاحتلال، وتتمر بطاريات الآباتشى. ورغم أنه يفتر بأن العدو لم يبق سلاحاً لم يستخدمه، ولم يعد سوى القبلة الذرية (ص ٤) إلا أنه يفتر: بأن الورود التي تفتح أمامي في الحديقة يجب أن أزين بها سيارة الزفاف عندما أحفل بزفافي وخطيبتي بعد أسبوع.

بعد صلاة الجمعة

تشتد حيرتي مع هدية الروائي والقاص محمد عبد السلام العمرى: روايته (الخيال الملكى) (اهبطوا مصر)، مجموعته القصصية الصادرة بالإنجليزية (ترجمة الروائية د. سحر الموجى) أم الكتاب / الملف الذى يحمل عنوان (بعد صلاة الجمعة)، والحيرة فيما اختاره لكتابه فى هذه الزاوية المقتصدة، فى إصدارات العمرى تجد لها متسعًا.

إلا أننى أود هنا أن أستعرض أهمية كتابه الملف، والذي ساهمت فيه مجلة (أدب ونقد) بإثارتها لحرية الكتابة والإبداع، منذ أكثر من عشر سنوات. المدهش أن الأمر بعد هذه السنوات (محلك سر)، فلا تزال القضايا المطروحة يعاد طرحها من جديد - وربما بشكل أكثر رتابة وسوءاً - في كل مرة يخرج الكاتب إلى هامش الحرية. ترى كم ملماً نحتاج لنخطو للأمام؟

رانية وسوزان وجولوا!

جولو، ذلك الرسام البديع، الذي يعيش القاهرة في خطوطه، مثلما تعيش القاهرة الزاحمة في دمه. يشتراك مع الكاتبة سوزان شنودة، ليقدم لنا - وللأطفال - ثلاثة كتب جميلة في كل شيء، تعيد فيها دار إلياس العصرية للطباعة والتشر الإحترام لكتاب الطفل. الكتب التي ترجمتها القاصة رانية حسين أمين: البحيرة المقدسة، البنديقية الهiero-غليفية، وشجرة أوزيريس، تضع قارئها أمام نص مصرى صميم، يربط بين تاريخ فرعونى، وشخصيات معاصرة، تأخذ الأفكار الجافة من كتب التاريخ، لتضعها بسلسة في أسلوب قصصي، وبخطوط ليست غريبة عن رسوم المعابد.

ولفتة عمرية أقل تكتب رانية حسين أمين وعن الدار نفسها (سيوة؛ قصة حب صغيرة صغيرة)، نصاً مزدوج اللغة. الرحلة التي تقصد سيوة، الواحة التي تحضنها رمال الصحراء الغربية في مصر، تقص علينا قصة حب صغير ينشأ بين رفيقي السفر: أمينة وطوني. جميل أن يقرأ أطفالنا قصصاً عن الآلفة بين جميع أبنائنا على اختلاف معتقداتهم.

جليل لمتحضر

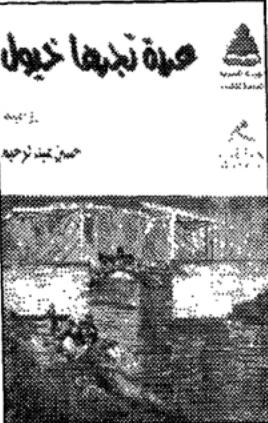
الشاعر محمد فريد أبو سعدة، والرسام عمر جهان يقدمان لنا هذا الديوان: جليس لمتحضر، الذي تستعيد فيه القصائد شريط العمر الذي انتهى أو يكاد، بعد أن فاجأته التحولات الأكثر مراارة. يخضب الشاعر السخرية بالحكمة التي يزرعها في بساطة المتأمل: زرعت نخلة بالقرب من سريري / ورحت أتابعها وهي تنمو / كنت عندما أخلد للنوم / أتخيل اللحظة التي سيصبح فيها البلح / قريباً من يدي / والصباحات التي سأستيقظ فيها / على صوت العصافير / هكذا / راحت تنمو / ورحت أنتظر / أمس / سمعت طقطقة / ورأيت النخلة تتدفع إلى أعلى / عيناً حاولت الإمساك بها / فقد عبرت السقف / وطارت. وأقول لأبي سعدة: نعم طارت النخلة، لكن الحكمة تساطط بين أيدينا.

الرافد

في العدد ٤٨ من مجلة الرافد الشعرية الصادر عن دائرة الثقافة والاعلام في الشارقة يثير الكاتب السوري تركي علي الريبيع قضية المثقف العربي في ضوء التحليل النفسي وبمعنى آخر محاكمة المثقف، مشيراً إلى اعمال المؤذجين العرب أمثال عبدالله العروة وياسين الحافظ وحسين مروة والطيب تيزيني، ومستشهدًا بكتابات محمد عابد الجابري وجورج طرابيشي ونماذج جري الحديث عنها مثل حسن حنفي وبرهان غليون وأنور عبد الملك حاكم الحداد يكتب عن ديوان الشاعرة الاماراتية صالحة غاش (الآن عرفت)، ود. الصادق رابح يناقش الأبعاد الطوباوية في ظاهرة الانترنت، ويعتبر د. خير الدين عبدالرحمن الألم حافزاً للنهوض. ويجرى جعفر الجنشي حواراً مع طالب الرفاعي عن القصة والعمل الثقافي ودور الكويت كعاصرة ثقافية، وعلاء عبدالهادي يستعرض تأثير بريشت في مسرح السينات المصري، ود. معن على يقدم مطالعة نقدية مهمة عن روایة: المطعون بشرفهم لوفق يوسف، أما فريدة النقاش فتكتب عن العالم القصصي لأمين يوسف غراب.

مجلة الشعراء الفلسطينيين

في وطن يتصف به الموت والاحتلال يصدر العدد الخامس عشر من فصلية الشعراء الثقافية عن المركز الثقافي الفلسطيني بيت الشعر، ويؤكد الشاعر أمجد ناصر ضيفافتتاحية العدد وعنوانها: مشهد شعرى فلسطينى جديد ، إلى أن عدداً من الشعراء والأصوات الجديدة بدأت تظهر حديثة اتساعاً في خريطة الإبداع الفلسطيني، على رغم ما يمارسه الاحتلال من قتل يومي وهجمية ضد الوجود الفلسطيني بكل مقوماته. وأشار إلى الدوريات التي تصدر من فلسطين باعتبارها منابر للأصوات الجديدة .. ودليل حياة على قوة الإبداع على تراب فلسطين في مواجهة التقيض. وتوزعت نصوص العدد: أحمد دحبور (زانة السفرجل)، أحمد الشهاوي (السان النار)، نوري الجراح (كل خدام مطاف)، إبراهيم الوافي (ملء دمي شهقة نانمة)، باسمة النبريص (مقال في معنى الريح ونداء مرتجي). واختتمت بزاوية بيت القصيد للشاعر المتوكل طه: نقش على منديل عناء . من زوايا المجلة (٣١٢ صفحة) ملف مهجريون جدد فجاء تحت عنوان: جبال غير رحيمة وبيضاء للشاعر أحمد يعقوب، وهو الجزء الثالث من كتاب سيصدر قريباً عن بيت الشعر.



باتبيال

تحتفل مجلة باتبيال الفصلية الانكليزية التي تعنى بترجمة الادب العربي الحديث بصدر عددها الثاني عشر، وتفسح الناشرة والمحررة مارجريت اوينانك حيز افتتاحيتها للعدد الجديد، لتنشر بدلا منها البيان الذي اصدره بيت الشعر في المغرب حول احداث ١١ سبتمبر. كما تختار باتبيال الرسام العراقي سعد على، ليكون فنان العدد، وهو من مواليد مدينة الديوانية في العراق عام ١٩٥٢، مارس الفن منذ طفولته. درس الرسم في مشغل الفنان هاشم الوردي بالكافظمية وتعرف على اساتذة الفن هناك. تأثر سعد على بالمدرسة الواقعية البعدادية ومدرسة جواد سليم للفنون بما فيها من تأثيرات اوروبية انصهرت في تراث الفن العراقي. واقام الفنان سعد على معارض عديدة في موسكو وباريس وهولندا وفينيسيا وروما وغيرها. وبعد سنوات من الاقامة في هولندا وفينيسيا، يقيم حالياً في جنوب فرنسا. أما شاعر العدد الجديد فـ سركون بولص، العراقي المقيم في سان فرانسيسكو منذ السبعينيات، حيث تنشر له المجلة ثمانى قصائد جديدة قام الشاعر بترجمتها خصيصاً لباتبيال، مع كلمة تحيه من الشاعر سعدي يوسف. مع قصائد له ضمن مختارات شعرية للشاعرة اللبنانية عنانة جابر والشاعر الفلسطيني غسان رقطان والشاعرة السورية الامريكية مهجة قحف، والشعراء العراقيين كاظم جهاد وفاضل الغزاوي ومؤيد الرواوى ومقاطع من قصيدة طويلة للشاعر المغربي محمد بنیس (ترجمة جيمس كيركب).

فضاءات أخرى للطائر الضليل

ومعنا مقتطف من ديوان الشاعر عاد غزالى (فضاءات أخرى للطائر الضليل) الذي فاز عنه بجازة الدولة التشجيعية للعام ٢٠٠٠، حيث يقول في قصيدة عنوانها (سما لك شوق): لا أندس الفوضى/ فقط/ أريد أن أخلخل الأشياء/ للثبات/ راححة نهر ميت، ولتغير / عبر راعف، وللمدى الممزق وجه فتاة تكشف نهديها/ لقبضة أولى، وللحطام الباسق / طعم حلم يجيء...../ فهل أقوض البناء؟



الفريد فرج: ثورة الحجارة

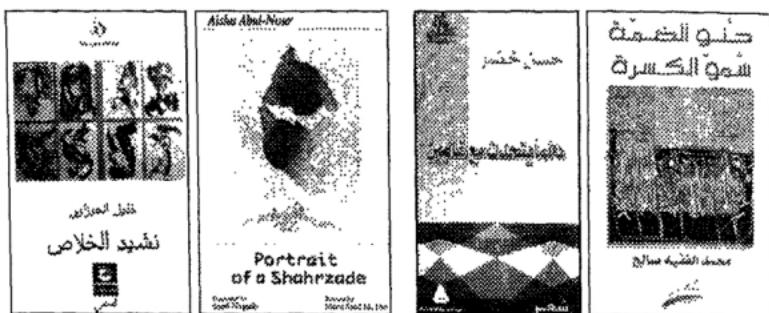
يجمع المسرحي الكبير الفريد فرج في أحد إصداراته عن السدار المصرية اللبنانية بعنوان (ثورة الحجارة) المسرحية التي تحمل العنوان نفسه مع عدد من الدراسات عن المسرح المجهول والاتجاهات الحديثة عالميا.

أشرف الصباغ: انهيار الإتحاد السوفييتي

الباحث والمترجم والقاص الدكتور أشرف الصباغ المقيم في موسكو، أهدى للأصدقاء في رحلة سريعة للقاهرة أحد كتابين له: روسيا إلى أين، الصادر عن سطور، وغواية إسرائيل، الصادر عن جماعة حور الثقافية، يرصد فيها المشهد الروسي بعد ١٠ سنوات من الانهيار.

محمد أبو الذهب: نصف لحية كثيفة

القاص محمد أبو الذهب، صاحب مجموعة (آخر المولى) التي صدرت ضمن سلسلة انطلاقة بالإدارة العامة لثقافة القليوبية، وقدم لها الأديب سمير ندا، أصدر مجموعة الجديدة نصف لحية كثيفة في طبعة خاصة.



عائشة أبو النور: صورة شهزاد

سعاد نجيب ترجمت مجموعة قصص للروائية والصحفية عائشة أبو النور إلى الإنجليزية بعنوان [Portrait of a Shahrzade]. الترجمة التي راجعها مرسى سعد الدين صدرت ضمن سلسلة الأدب المترجم التي تصدرها وزارة الثقافة.

محمد الفقيه صالح: حنو الضمة .. سمو الكسرة

الشاعر الليبي محمد الفقيه صالح صدرت مجموعة الشعرية (حنو الضمة .. سمو الكسرة)، المجموعة الصادرة في القاهرة تختتم بدراسة للشاعر حلمي سالم يروي فيها طرقاً من سيرة الفقيه، الذي جايله جامعاً وشعرياً، بالإضافة إلى مدخل لقراءة الديوان.

حسن خضر: دائمًا يتحدث مع غائبين

بعد ديوانه عطر ميت (١٩٩٨) صدر للشاعر منذ أيام ديوانه (دائمًا يتحدث مع غائبين) ضمن سلسلة كتبات جديدة التي ترأس تحريرها الدكتورة سهير المصادفة. الديوان يضم ١١ قصيدة يهدي إحداها إلى حليم: أما أنت يا مغني/ نادرون من عرفوك بكمال حناتهك/ هؤلاء وحدهم لم يحتملوا حياة لست فيها/ صار بيتك مطعم سندويتشات سريعة/ تحوم في فنانه ليلاً/ الكلاب والقطط!

خليل الجيزاوي: نشيد الخلاص

مجموعة القاص والروائي خليل الجيزاوي التي تحمل عنوان (نشيد الخلاص) صدرت ضمن سلسلة إبداعات الأسبوعية. نشرت معظم قصص المجموعة في الدوريات المصرية وتُرجم بعضها إلى الإنجليزية والفرنسية.

أدب ونقد

تواصل

* رسالة أولى

بسم الله الرحمن الرحيم
الأستاذ القاضلة / فريدة النقاش
أخلص التحيه وأصدق التقدير

كنت أبكى وأتألم دراستي عن أمل نقل منشورة عبر المجلة «المحترمة» أدب ونقد
التي تشرف برئاستك لتحريرها.
وبسبب ذلك هو أتنى لأول مرة أرى عملاً لي منشوراً في مكان أعتز به بل ويعتز به
كل من يقدر الكلمة الجادة الصادقة.

لست أدرى كيف أسدى إليك شكري على هذا الجميل الغالي . فقد نشرت لي قصائد
عدة في أماكن عدة وصحف كثيرة ومجلات عربية -الشرق السعودية« وصحف الرأي
العام - والفجر الجديد - والأنباء - والسياسة الكويتية والأخبار والجمهورية والمساء
المصرية ولم تكن فرحتي بأي قصيدة نشرت في هذه الأماكن قدر فرحتي بدراساتي عن
أمل نقل التي قمت سيارتك مشكورة بنشرها «أو بالأحرى .. جزء منها» لا أمل إلا أن
أقول إنني الآن تأكدت أن هناك أناساً يمتهنون إخلاصاً وفيضون صدقاً ووفاءً . وزالت
تلك الغشاوة عن تفكيري أنني لم أخذ فرصتي.. فقد كنت أتوقع أنني سوف أظل هكذا
ـ مما دامت الفكرة السائدة هي أن ولادة أمر النشر في مصر يهتمون بأنفسهم فقط
ـ وبمعارفهم ولكنني بعد تفضلك على بالنشر أيقنت أن مصر ما زالت بكل الخير ..

الشكر لك مني بلا حدود.. والتعبير عنه فوق قدراتي.

تحياتي ختاماً
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

برهان غنيم

تبدل حستك أحلى وأبهى
تضُوَّع عودك بالحب ممكساً
فما فيك ليس بكل النساء
 وإنسيَّة من نعيم الجنان
هو الحب ينضج بالمعجزات
تغار الحسان واسألَّنْ :

وأيْنَعْ ورداً .. فـما أزهـرـهـا
أفاض على الكون ما عطـرـهـا
فـفيـكـ منـ الـحـسـنـ ماـ أـنـدـرـهـا
ـتـتـيـةـ كـحـورـيـةـ مـبـهـرـهـاـ!
ـوـيـضـفـيـ الجـمـالـ .. فـماـ أـكـبـرـهـاـ!
ـهـذـاـ بـهـاـوـكـ سـحـرـ .. فـمـنـ أـصـدـرـهـاـ؟ـ!

حسين محمد منصور

قصة قصيرة

من أوراق شخص عصري

يستمع إلى الأغنية الغربية التي لا يفهم منها شيئاً . يقرأ الكتاب المترجم عن «كيف تعيش سعيداً» ولا يخرج منه بشيء . يدخن السجارة «المارلبورو» .. طعمها ماسخ . ينظر إلى المصيدة التي تصيَّدت فتراً طالما أرق حياته . يخرج القلم ليكتب قصة قصيرة عن أحدهم الذي أنتحر عندما فشل في الزواج من حبيبته .. «قديمة» . يمسك بتلابيب الأوراق ويشعل النيران فيها .. يزفر . يخرج إلى الشارع المزدحم بالبشر الذين لا يعرفون عنه شيئاً ولا يعرفون بهم شيئاً .. المحلات التي لا تعرض سوى «الجيزة» والموديلات العارية .. السينما التي تعرض فيلم رعب أمريكي .. ما لاتعتقد فيه ، قد يقتلك .. العبادة المكتوبة على أغشى الفيلم .. بائع الجرائد الذي يصرخ «اقرأوا الحادثة» يهم بعبور الطريق .. تتحتك به سيارة سوداء خشنة .. يسقط أرضًا .. يساعدك البعض على الوقوف .. كوييس أنها جت على قد كده .. خاللي بالله .. يبتعد عنهم . يقترب من «السوبر ماركت» .. يجرع «الكوكاكولا» .. ازدادت حرارة الجو .. ألوف .. «البيت قفين؟ يفتح الباب .. يبضع شريط لذلك المعنى الشعبي .. قاعدين ساكتين .. تر لم لم .. ساكتين كده ليه» يستمتع بدخان «الـ أم» .. «ليتني مالبورور» .. يضحك . ينظر إلى المصيدة الخالية من أي فثاران . يضحك . يسقط نائماً فاغراً فاه.

محمد هشام عبيه

نادي أدب شربين

القهالية

أدب ونقد

بطاقة فنية

سيف وانلي



حين نشرت (مرايا) نجيب محفوظ للمرة الأولى منجمة في مجلة (الإذاعة والتليفزيون)، كانت كنزاً أدبياً يعبر به الروائي العالمي عن حركة التاريخ في مصر المعاصرة؛ بقادتها ومعاركها، وما تمور به، عبر حيوانات شخصوص المرايا التي استدعاهما من الطفولة والصبا والحياة؛ مصحوبة بكتنز فني خالقين قدمته ريشة صديقه فنان الأسكندرية سيف وانلي.

رسم سيف وانلي (١٣ مارس ١٩٠٦ - ١٥ يناير ١٩٧٩)، شخصوص محفوظ؛ الذي نسجها بالقلم؛ بريشة بسيطة وقوية في آن. كان التلخيص الباهر يحظى بـ لـ تنساهـا، فقد أعاد لها وانلي الحياة، وبفضل مهارة تركـ لـ تـ نـوـثـلـاثـةـ آـلـفـ لـوـحـةـ زـيـتـيـةـ وأـكـثـرـ من ٨٠ ألف رسمـاـ أولـيـاـ، عـرـفـ الضـرـبـاتـ القـوـيـةـ السـرـعـةـ وـالـمـوجـزـ كـيـفـ تـنـقـلـ لـنـارـقـةـ شـعـرـاوـيـ الـفـهـامـ، وـتـنـقـلـ دـمـ سـيدـ شـعـرـ، وـلـطـفـ سـعـادـ وـهـبـ، وـتـلـقـائـيـ رـضـاـ حـمـادـهـ. أوـ كـماـ نـرـىـ غـاثـمـ حـافـظـ وـمـاجـدـةـ عـبـدـ الرـازـقـ، وـخـلـيلـ زـكـيـ وـعـبـدـ الرـحـمـنـ شـعـبـانـ (الـغـلـافـ الـأـخـيـرـ) وـبـاقـيـ الـلـوـحـاتـ.

الأخوان سيف وأدهم وانلي مثلـاـ ظـاهـرـةـ فيـ التـشكـيلـ المـصـرـيـ الـمـعاـصـرـ، وـإـذـاـ كـانـ سـيفـ قدـ سـبـقـ أـخـادـ إلىـ الـحـيـاةـ بـعـامـيـنـ، فـانـ أـدـهـمـ سـبـقـ إـلـىـ الرـحـيلـ عـنـهـ، الـأـمـرـ النـذـيـ تـرـكـ الرـسـامـ الـكـبـيرـ فـرـيـسـةـ لـلـحـزـنـ وـالـأـلـوـانـ السـوـدـاءـ؛ يـقـولـ سـيفـ وـانـليـ: بـعـدـ أـنـ ذـهـبـ هـوـ إـلـىـ مـاـكـانـ لـمـ يـتـرـكـ لـيـ عـنـاهـ، أـصـبـحـ أـلـوـانـ سـوـدـاءـ.. بـلـ تـعـدـ.. مـاـ هـذـاـ؟! أـنـاـ الـذـيـ كـانـتـ أـلـوـانـ صـدـاحـةـ وـكـنـتـ مـعـرـوفـاـ بـهـاـ، أـنـاـ الـذـيـ كـنـتـ أـضـعـ اللـوـنـ الـأـلـرـقـ بـجـانـبـ الـلـوـنـ الـأـخـضـرـ، أـوـ الـأـخـضـرـ مـعـ الـأـخـضـرـ، وـالـأـحـمـرـ مـعـ الـأـحـمـرـ، مـتـحـدـياـ الـمـصـطـلـحـ فـيـ فـنـ التـصـوـيـرـ.. هـاـ أـنـاـ وـفـقـتـ أـخـيرـاـ إـلـىـ الـقـيـمةـ الـجـلـالـيـةـ لـلـوـنـ الـأـسـوـدـ وـمـشـقـاتـهـ الرـمـاديـةـ.

لمـ تـنـعـيـ المـرـايـاـ (الـمـلـوـنـةـ) فـيـ ٤٩ـ لـوـحـةـ مجـتمـعـةـ الـأـلـاـفيـ نـسـخـةـ تـرـجـمـهـاـ روـجـرـ آـلـنـ، وـصـدـرـتـ عـنـ جـامـعـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ فـيـ الـقـاـفـهـ، وـهـيـ الـمـجـمـوعـةـ الـتـيـ أـغـابـتـنـيـ إـلـىـ الـفـنـانـ الـعـاـشـقـ لـلـبـحـرـ وـالـتـجـرـيدـ، غـيـرـ الـإـنـتـاجـ. وـلـوـ مـحاـوـلـاتـ زـوـجـتـهـ الـفـنـانـةـ إـحـسانـ مـخـتـارـ لـلـحـفـاظـ عـلـىـ تـرـاثـهـ بـعـدـ رـحـيـلـهـ، لـتـسـرـيـتـ كـلـ أـعـمـالـهـ، قـبـلـ أـنـ تـعـرـفـ طـرـيـقـهـ إـلـىـ الـجـنـاحـ الـخـاصـ بـأـخـوانـ وـانـليـ فـيـ مـتـحـفـ الـفـنـانـ مـحـمـودـ سـعـيدـ. وـإـذـ كـانـتـ الدـوـلـةـ قـدـ كـرـمـتـ سـيفـ وـانـليـ فـيـ الـعـامـ ١٩٧٣ـ بـجـائزـتـهـ الـتـقـدـيرـيـةـ، فـانـ قـطـاعـ الـفـنـونـ الـتـشـكـيلـيـةـ مـطـالـبـ بـتـكـرـيمـهـ بـطـبـعـ أـسـطـواـنـةـ لـيـزـرـيـةـ مـاـمـائـةـ لـأـسـطـواـنـةـ مـحـمـودـ سـعـيدـ، تـحـمـلـ أـعـمـالـهـ لـلـأـجيـالـ الـعـاـشـقـةـ لـلـفـنـ فـيـ كـلـ مـكـانـ.

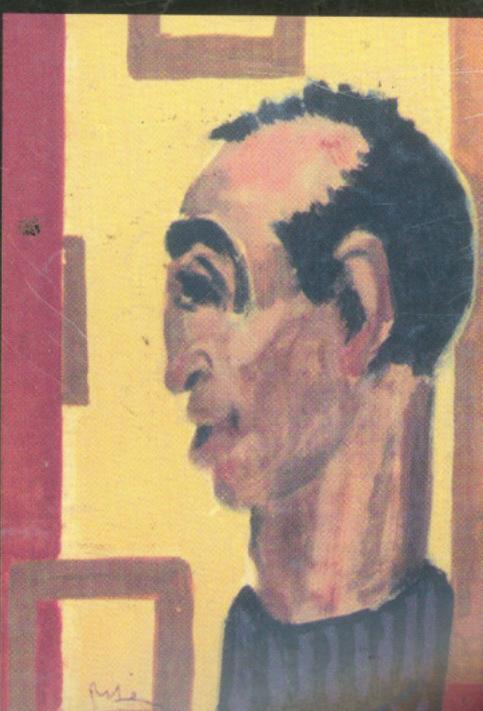
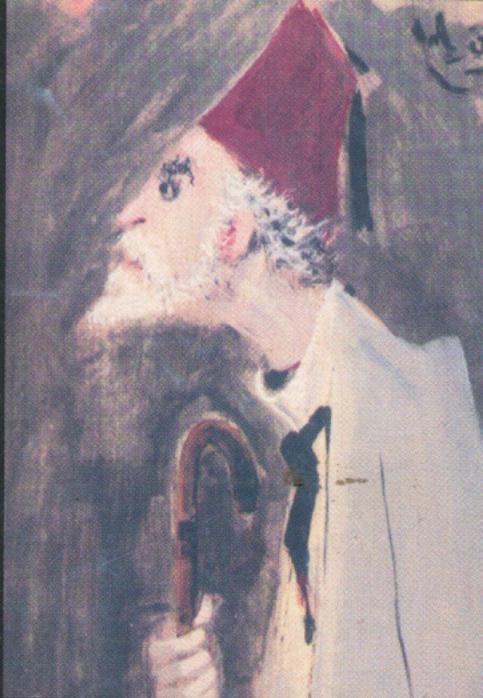
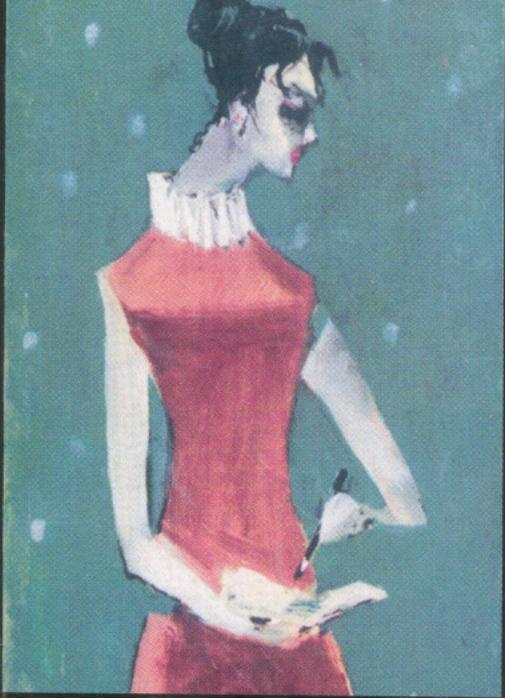
(الف)



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanerab.com رابط بديل



«الثمن: جنيهان»

رقم الاريداع ٩٢ / ٧٥١٢

الأمل للطباعة والنشر